رواق التصوف ٢

سلطان العارفين
صفي الدين أحمد بن عمر الزيلعي العقيلي

ثمرة الحقيقة ومرشد السالك إلى أوضح الطريقة

دراسة وتحقيق
علي إبراهيم العقيلي



مؤسسة أروقة للدراسات والترجمة والنشر

ثمرة الحقيقة ومرشد السالك إلى أوضح الطريقة
دراسة وتحقيق
علي إبراهيم محمد العقيلي 1440هـ -2019م

مؤسسة أروقة للدراسات والترجمة والنشر

القاهرة – ش الشيخ معروف متفرع من ش شمبليون – عمارة ج - وسط البلد

تلفون: 20225743534+

البريد الإلكتروني: arweqhhhh@gmail.com

رقم الإيداع:	2020/
الترقيم الدولي:	ISBN: 978-977-

الطبعة الأولى

2020

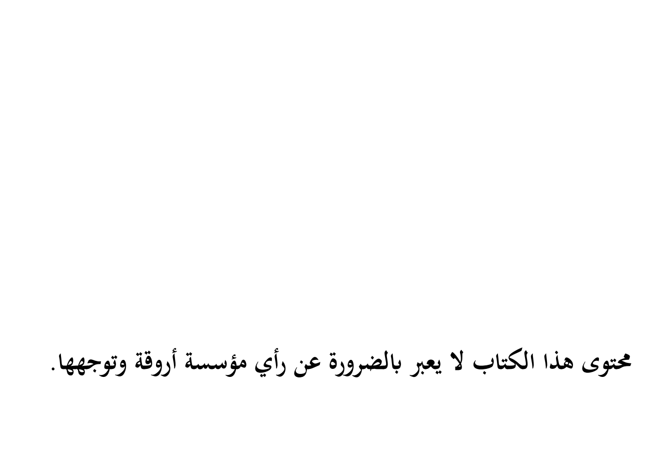


ثمرة الحقيقة
ومرشد السالك إلى أوضح الطريقة

دراسة وتحقيق:
علي إبراهيم محمد العقيلي

1440هـ-2019م

مؤسسة أروقة للدراسات والترجمة والنشر



محتوى هذا الكتاب لا يعبر بالضرورة عن رأي مؤسسة أروقة وتوجهها.

Π

فيا سَعَادَة من يَتّلوهُ مُعتَبِرًا
ويعملن بما فيهِ من الكَلِمِ
فأنهُ ثَمَرة التحقيق خالصة
وجوهر العلم والأسرار والحكمِ
ومرشدَ السَّالكِ المفضي بهمتهِ
إلى طريقِ ذوي الألبابِ والهِمَمِ

سلطان العارفين
أحمد بن عمر الزيلعي العقيلي

مقدمة

يمثل كتاب (ثمرة الحقيقة ومرشد السالك إلى أوضح الطريقة) لسلطان العارفين أحمد بن عمر الزيلعي العقيلي الهاشمي، واحدًا من أهم وأجمل ثمار التصوف في اليمن، فالرجل من كبار المربين، وزهده كان مضرب مثل بين أهل زمانه ومن بعدهم، ومعارفه تتمركز في تجربة عميقة تآزر فيها التأمل والفكر مع السلوك والتجارب، فكتب التاريخ والتراجم تتحدث عن سنوات طويلة من المجاهدات والاشتغال على تصفية النفس وتربية المريدين والتأثيث لمنهج خاص وطريقة مميزة، كما أن كتاباته تقول بأكثر من هذا ففي (ثمرة الحقيقة..) خلاصة تلك التأملات والتجارب التي قطرها معارف وعلومًا وتلامعت حكمها درًا خالصًا.

من جهة فقد تميز هذا القطب الكبير بميزات قل أن تتوفر في غيره فهو لم يكن من كبار صلحاء اليمن فحسب؛ بل كان جزءً من أسرة علمية كبيرة تمتد على جانبي البحر الأحمر في جهته الشرقية من اليمن إلى الحجاز وحتى بلاد الشام، وفي جهته الغربية من الصومال وجيبوتي وإرتيريا والحبشة وحتى السودان ومصر، هذا غير تمددها في بلدان أخرى.

وهناك ميزة ثانية على مستوى أسرته وسلالته هو فأسرة هذا الولي الصالح تعد من أهم وأشهر أسر العلم والولاية والثقافة والوجاهة الاجتماعية في تاريخ الاسلام حيث اشتهرت الأسرة بكثرة الأولياء والعلماء كما اشتهرت بأخلاق العناية وبقوة التأثير في نطاقات جغرافية واسعة.

وثمة ميزة ثالثة فهو رمز لمدينة من أهم مدن اليمن خلال القرون السبعة الماضية، أعني مدينة اللحية التي أخذت حضورها من شخصيته، فهي تنسب إليه وفيها مسجده وضريحه، ومنها انتشرت أربطته وزواياه من وادي مور وحتى مئات الكيلومترات شمالا في جهات جيزان وصبيا

وما بعدهما.وكان أشهر الأماكن التي ارتبطت بحضوره الفاره قرية المحمول التي ارتبط اسمها باسمه في المصادر التاريخية.

لقد احتفت كتب التراجم والمناقب والتاريخ بسلطان العارفين احتفاءً كبيرًا، لكن احتفاءنا اليوم به له طعم مختلف فهاهو كتابه (ثمرة الحقيقة ومرشد السالكين إلى الطريقة) يتبرج في أجمل حلة محققًا تحقيقًا جيدًا، على الباحث الأديب المحقق الجاد علي إبراهيم العقيلي، الذي جاء بعد سبعة قرون كاملة على رحيل جده ليصل الحبل، ويشتغل على تراث العقيلي ويعيد تقديمه للعالم بفهم ثاقب وبعد معايشة طويلة وخبرات تراكمت حول أصول التحقيق ومعاشرة المخطوطات والغوص في ثانيا التاريخ بكل جوانبه.

لقد قلت مرارًا إن الأستاذ على إبراهيم العقيلي تنعقد عليه آمال عريضة في خدمة الأدب والتراث بجوانبه كلها فهو معرفيًا يتأسس على منهج موسوعي شامل، وهو يتوفر على مقومات الباحث أعني الجد والاجتهاد والمثابرة والقدرة على ربط الأحداث وفهم الأشباه والنظائر والنفاذ ببصيرة ثاقبة إلى ما لا يستطيع الآخرون رؤيته.

إن انجازاته خلال السنوات الماضية في التنقيب والبحث والتوثيق لجديرة بوقفة احترام وتقدير حقيقية، ولعل نشر تحقيقه المميز لكتاب (ثمرة الحقيقة) بعد تعثر مؤسف أخره أكثر من عامين، يضعنا مع هذا الرجل المميز على الطريق الصحيح فثمة مؤلفات أخرى وكتابات وأبحاث تنتظر أن تأخذ دورها.

ها هو (ثمرة الحقيقة ومرشد السالك إلى أوضح الطريقة) بين أيديكم، وها هو علي إبراهيم العقيلي يساهم في رفع جانب مهم من الحيف والظلم والتهميش الذي نال تراثنا العظيم، اليوم سيرى المهتمون والباحثون وجها باذخًا من وجوه تاريخنا المجيد، نحتفي بالكتاب ونحتفي بالمحقق وننتظر ما سيأتي.

علوان مهدي الجيلاني

القاهرة 16 يونيو 2020م

مقدمة المحقق

الحمد لله الكريم المنان الرحيم الرحمن خلق الإنسان، علمه البيان وهداه إلى الإيمان وألبسه بفضله ملابس الإحسان وجعله في تركيب نسخة العالمين فأقر بفضله العالمان، وزيَّدهُ فخصّهُ سر الأكوان، خلقه في أحسن تقويم وأتم بيان، ونفخ فيه من روحه الحياة والأبدان، وزيَّنهُ بنور العقل للتمييز والبيان، وألهمهُ ذكره تنزيهًا من الأدران، وأحيا قلبه من موت الجهل والنسيان، فاستنارت به الأسرار واستقامت به الأركان، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدهُ لا شريك له، الممتدح بالسّبع المثاني وأشهدُ أن محمدًا عبده ورسوله الذي اختصّه بفضل القرآن، وجعله علم الهدى هَادي الثقلين فاهتدى به الثقلان، فخر النبيين طراز الزمان، آخرهم مبعثا أسبقهم في الميدان.

صلَّ الله عليه وعلى أصحابه المنتخبين الذي أرشدهم إلى سلوك صراطه المستقيم، فاستقاموا به على الوفاء بما عاهدوا عليه فهداهم به إليه وأوصلهم إلى رياض معارفه، وعلى الأنبياء والمرسلين بإحسان إلى يوم الدين وعنا وعنهم برحمتك يا أرحم الراحمين..أما بعد:

فإني قد وقفت على مصنف "ثمرة الحقيقة ومرشد السالك إلى أوضح الطريقة" تصنيف سلطان العارفين الشيخ أحمد بن عمر الزيلعي العقيلي، وهو من كنوزنا الدينية والتاريخية والذي ذاع صيته عند كثير من المؤرخين فوصفوه بأجمل العبارات قال عنه السيد البدر بن حسين الأهدل في تحفة الزمن تاريخ سادات اليمن في ترجمة لشيخنا: (برع في علم السلوك، وصنف كتابًا سمّاه ثمرة الحقيقة ومرشد السالك إلى أوضح الطريقة. وله فتاوي على مسائل يقول فيها الجواب عند علماء الظاهر كذا، وعند علماء الباطن كذا، وعلماء الآخرة كذا، وفي الشريعة كذا وفي الحقيقة كذا).

وأحمدُ الله تعالى أن وفقني لتحقيقه ولقد عِشّتُ خلال شهور وأنا أُبحِرُ في الحقائق والأذواق أتفيأ ظِلالًا وارفة من الحِكَم والمواعظ الربانية النافعة، وأتذوق لذيذَ سلاسة البيان، وسحر البلاغة الفتان.. فوجدتُني أمخُرُ عُبَابَ بحر لا ساحل له سفائنه مشحونة بخزائن المعارف والحكم الإيمانية، وجدت أهل الحقائق ذاقوا حلاوةً لا يمكن وصفها، كيف لأعمى البصر أن يدرك جمال الطبيعة ومنظر النجوم تتلألأ في السماء، كيف لفاقد السمع أن يميز بين تغريد الطيور وحفيف الأشجار، ذلك لأن من أدركوا هذه الحقائق وذاقوا نعيم القرب من الله تعالى اغترفوا من معين لا ينضب {يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ}[1] ولهذا يتبين جليًا أن لكل عارفٍ من أهل الحقائق تجربته الخاصة به يتفرد بها وحده؛ ذلك لأنه عايش حالات الترقي والتقلب في الأحوال والمقامات منفردًا لذلك صفت نفوسهم وسمت خواطرهم وأفكارهم حتى امتزجت أقوالهم وألسنتهم ببدائع الحكم الربانية، والمعارف اللدنية الوهبية، فهم أهل أذواق لا تدرك لغيرهم بالوسائل الحسية، ولا يمكن لأي أحد ان يدعي تفسيرًا ماديًا واضحًا لكُنهِ أذواقهم سوى أنها مواهب لدنّية وهبية من الخالق عزَّ وجل.. فأبدعوا في رسم تجاربهم؛ لمن فتح الله قلبه للمواعظ والحكم.. مع التواضع والاستكانة والتسليم لما منحهم الخالق عزَّ وجل من العطايا والمنن واجتهدوا في إيصالها لمستحقيها في أجمل درجات الرُقي والإبداع، لذلك فإن من يتأمل في مصنفات أهل العرفان يميز ذلك ويلاحظ أن لكلٍ منهم بصمته الخاصة التي تميزه عن غيره. يقول الله تعالى: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا}[2]

وعلى هذا فأن أجمل وصف أطلعت عليه في توضيح معنى الذوق في ألفاظ الصوفية هو للأستاذ علوان مهدي الجيلاني في دراسته

---

(1) سورة البقرة: الآية269

(2) سورة العنكبوت: الآية 69

الموسومة بـ، "سلطان العارفين.. إسماعيل الجبرتي – حياته – طريقته – آثاره وتأثيره". قال: (أساليب المتصوفة في التعبير هي: أساليب دعت إليها الرؤى الصوفية؛ لأنها مغايرة للواقع الحسي الذي وجدت اللغة للتعامل معه ولا بد من لغة ثانية؛ لغة وجدانية وذوقية، حيث يستطيع السياق الرمزي للغة أن يكسر في تعابيرهم الإطار المادي للأشياء فامتلأت نصوصهم نثرًا كانت أو شعرًا بشحنات متغيرة ومتفلتة من أسر الواقع.. وأسر المرجعيات أيضًا بحكم أن علم الأذواق لا يؤخذ من الأوراق. وبحكم قول الردّاد الفقراء المتصوفة: هم قوم فرغوا عن الكل، وما دخلوا من حيث خرجوا، ولا خرجوا من حيث دخلوا. وقول العامري: الفقير الصادق لا يذكر ماضيًا، ولا ينتظر واصلًا، ولا عنده حاصل، قد أوى إلى بساط الأنس، ورتع في حظائر القدس يجتني ثمار الكشف بيد العطف واللطف، قد ألبسه الحق حلل الأحدية، وثبّت قدمه في بيداء السرمدية، فإن نطق فبالله، وإن تحرك فبأمر الله، وإن وقف فمع الله، فهو لله وبالله ومع الله!. أما مفهوم الوجود من منطلق أن له جانبين: جانب باطني لا مرئي ومجهول. وجانب ظاهر تتم معرفته بالعلوم المنطقية العقلانية.. فقد عكس نفسه على وعيهم بالوجود وكثير من جوانب الحياة؛ إذ هم في حالة يقين أن الإنسان ما لم يصل إلى الجانب الباطني المجهول يبقى كائنًا ناقصًا في وجوده ومعرفته، وأن الهمة الخاصة والمجاهدة الشخصية تلعب دورًا كبيرًا في الوصول إلى الباطن المجهول، ولذلك كانت دعوتهم إلى المجاهدة.. تتوالى باستمرار) انتهى كلام أ.علوان الجيلاني.

ويقول القشيري في كتابه "نحو القلوب"(الناس مختلفون في المقاصد، فواجد تقويم لسانه مبلغ علمه، وواجد تقويم جنانه أكثر همّه، فالأول صاحب عبارة، والثاني صاحب إشارة).

والكلام يطول في هذا الجانب.. وفي أمهات مصادر التصوف الإسلامي السني ما يغني كل طالب معرفة وباحث ودارس.

وبهذا نقول هنا: أن الشيخ الزيلعي كسائر كبار شيوخ التصوف، له تجربته الصوفية الذوقية الخاصة به والتي انطلق منها؛ ذلك ما تفصح عنه إمكاناته المذهلة وثراء معارفه وحضوره الروحي القوي كشخصية صوفية بارزة، سجلت حضورها على مدى سبعة قرون من تاريخ وفاته، ارتبط وجدانيًا وروحيًا مع مدينته اللُحّية التي تضم ضريحه وزاويته داخل جامع الزيلعي المنسوب إليه والذي يعد معلمًا تاريخيًا بارزًا صامدًا إلى عصرنا الحاضر ويعد شاهدا حيًا على تلك الحقبة التاريخية الزاخرة بالعلماء والأولياء.

ولا يزال الشيخ الزيلعي حيًا في وجدان الذاكرة الشعبية في اليمن وسائر إقليم تهامة التي ينتشر فيها أعقابه في سائر مدن وقرى تهامة والحجاز في المملكة العربية السعودية وغيرها من البلدان واشتُهِرَ من أولاده وأحفادة العديد من الاولياء والعلماء، ولا يخلو زمان من إسهاماتهم وجهودهم ومصنفاتهم العلمية وقد تُرّجِمَ للكثير منهم.

كتب سلطان العارفين الشيخ أحمد بن عمر الزيلعي مصنفه "ثمرة الحقيقة ومرشد السالك إلى أوضح الطريقة" في العصر الذهبي للتصوف في اليمن، فقد كان من أحفل فترات التاريخ اليمني بالعلماء والفقهاء والكرماء خصوصًا في تهامة، قال عن مصنفه شعرًا:

فيا سعادة من يتلوه معتبرًا ويعملن بما فيه من الكلمِ
فأنه ثمرة التحقيق خالصة وجوهر العلم والأسرار والحكمِ
ومرشد السالك المفضي بهمته إلى طريق ذوي الألباب والهممِ

احتوى الكتاب على معالم واضحة للطريق الصوفي في اليمن خلال القرن السابع الهجري الذي عاش فيه الشيخ أحمد بن عمر الزيلعي العقيلي رحمه الله تعالى.

ولا أعلم أن أحدًا من قبل قد قام بجمع كلام لسيدي أبي العباس أحمد بن عمر الزيلعي وأسرار علومه الكتاب هو أول عمل يظهر محققًا للقراء بعد سبعة قرون من تأليفه آملًا أن يكون وافيًا بمطلوبه ويجدر

الإشارة بالقول أن لحفيدة السيد العلامة أبي بكر الخال بن مُحَمَّد بن عسيي بن أحمد بن عمر الزيلعي العقيلي كتاب لازال مخطوطًا اسمه (جزء ملتقط من كرامات سيدي سلطان العارفين الشيخ أحمد بن عمر الزيلعي العقيلي والذي يحتوي على 188 صفحة. ذكر فيه:

(هذا ما ألفناه واختصرنا من كرامات شيخنا أبي العباس نفع الله به في الدارين التي أمكن إظهارها للعالم وأما ما احتجب منها عن الخلق فلا يعلم حقيقة أمرها وعزيز سرها إلا الله الحيّ القيوم يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم وقد ألحقنا بتأليف ما ذكرناه الآن منها في عصرنا هذا سنة ستة وعشرين وثمانمائة لمن ألفه من قبلنا السادة الأبرار والأئمة الأخيار في عصر الوالد بحضرته في آخر القرن الثامن من كرامات شيخنا سر الأسرار أبي العباس أحمد بن عمر الزيلعي ﷺ وأرضاه ونفعنا به في الدارين آمين آمين آمين انتهى الكتاب المبارك بحمد الله وعونه وحُسن توفيقه والحمد لله رب العالمين بدءً وختمًا وصلِ الله على من لا نبي بعده سيدنا ومولانا مُحَمَّد وآله وصحبه وسلم:

ويسعدني السعادة الكبرى أن كرمني الله تعالي وشرعت متوكلا عليه عز وجل في تحقيق مخطوطة "ثمرة الحقيقة ومرشد السالك إلى أوضح الطريقة" لمصنفه سلطان العارفين الشيخ أحمد بن عمر الزيلعي العقيلي؛ وهي أحدى النصوص الصوفية في علم السلوك، ولم يسبق لأحد تحقيقها من قبل رغم أهميتها الكبرى، ولِمَا فيها من فوائد عظيمة رأيت نفعًا في إطلاع الناس عليها، فهي تضيء لنا أنوارًا زاهية من التصوف الإسلامي وتخاطب وجدان كل مسلم لتسموا بروحه إلى أعلى درجات النقاء والكمال الروحي مع خالقه عز وجل، وقد استخرت الله تعالى وطلبت منه العون والسداد وسألته أن يهديني إلى الصراط المستقيم. ويشتمل الكتاب على حكم عظيمة النفع تستحق أن تكون زادًا لكل مسلم.

وتحقيق هذا الكتاب بادرة لتعويض الإهمال الذي تعرض له العديد من أعلام التصوف في اليمن من قِبَلِ المؤرخين بصفة عامة، ومؤرخي التصوف بصفة خاصة، ومن جانب آخر فهي؛ تؤكد على ما حوته بعض المصادر التي ذكرته ووصفته بأجمل العبارات.

إلا أنني تعثرت بعقبات جمَّة تتمثل في شِحَةِ بعض مصادر التصوف وصعوبة الحصول عليها ولكن الفضل لله أولا ثم للأخ المؤرخ الأستاذ عرفات بن عبدالرحمن الحضرمي مدير دار المخطوطات في زبيد الذي بادر في إسعادي بهدية غالية وهي مخطوطة نادرة جزء ملتقط من بعض كرامات سيدي سلطان العارفين أحمد بن عمر الزيلعي " من تصنيف السيد العلامة أبي بكرالخال بن مُحَمَّد بن عيسى بن أحمد بن عمر الزيلعي العقيلي وهو حفيد الشيخ أحمد بن عمر الزيلعي العقيلي، فرغ من كتابتها في القرن التاسع الهجري استفدت منها كثيرا وخصوصًا أنها تضمنت على نصوص من مخطوط ثمرة الحقيقة، وعلى جوانب عديدة في غاية الأهمية عن حيات وتاريخ المؤلف وكراماته وحكايات ومواقف مع معاصرية من الأولياء العارفين أسأل الله تعالى للأخ الفاضل الأستاذ عرفات عبدالرحمن الحضرمي جزيل الأجر والثواب.

ثم إن الأوضاع التي تعصف ببلادنا لم تكن مواتية نظرا لانقطاع الكهرباءِ والأنترنت وصعوبة التنقل ولكن بفضل الله تعالى تجاوزت كثيرًا من تلك المعوقات ولهذا آمل أن لا تكون تلك العقبات سببًا في تقصير أو زلل أو خلل.. فأن كنت قد وفقت فهذا فضل من الله تعالى أبتغى منه جزيل الأجر والثواب، وإن شاب عملي هذا تقصير أو زلل أو خلل فمن نفسي والشيطان وأرجوا من الله العفو والغفران له الحمد والثناء تعالى عن النهاية والانقضاء الباقي بعد فناء خلقه.

ولسوف يجد القارئ الكريم بأني قسمت الكتاب إلى قسمين:

القسم الأول: ويشتمل على الدراسة:

مقدمة بقلم الأستاذ:علوان مهدي الجيلاني

أوراد الليل.

فتاوى الشيخ أحمد بن عمر الزيلعي ﷺ.

وقد خرجت من هذه التجربة وأنا على يقين؛ أن ما تعيشه أمتنا الإسلامية من انسلاخ فكري، وعقائدي في ظل هذه الأجواء التي تموج بالأحداث والفتن وتدق ناقوس الخطر منذرةً بمصير غامض لمستقبل أجيالنا في ظل الانفتاح الغير مدروس على ثقافات الأمم الأخرى عبر تكنلوجيا العصر الحديث فأصبح لزامًا علينا أن نتمسك بحبل الله المتين ونستمد منه العون والقوة وننبذ كل خلافاتنا الاجتهادية والمذهبية جانبًا وأن نتنبه للهوة الكبيرة بين الجيل الجديد وتراثه نتيجة عوامل كثيرة لامجال لحصرها هنا.

ولقد وجدت في موروثنا الصوفي في اليمن كنوزًا لا تقدر بثمن، وهو جزء وثيق الصلة من التراث العربي الإسلامي عامة، ومنهجًا حقيقيًا في التنوير والإثراء المعرفي، والعَجَب كل العَجَب أن اليمن التي تمتلك النصيب الأكبر على مستوى الوطن العربي من المخطوطات في شتى مجالات العلوم؛ سواء كانت في مكتبات خاصة أو لدى جهات رسمية أو في حوزة أشخاص ورثوها عن أسلافهم ولا يعرفون قيمتها الحقيقية لازالت حبيسة الأدراج تتعرض للإهمال والعبث.

أن تقدم هذه الأمة موقوف على فتح خزائن الكتب والمخطوطات؛ لجمهور القراء الكرام، والدارسين، حتى يتمكنوا من الاطلاع على تراثهم العلمي وإخراجها بالشكل الذي أراده مصنفوها. والأهم من ذلك كله الأجر والثواب وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: وعلم ينتفع به))[1]

---

(1) رواه البخاري ومسلم

إن كثيرًا من المصنفات المخطوطة لم تُحقق إلى يومنا هذا رغم قيمتها العلمية ومكانة صاحبها في زمانه والفائدة الكبيرة التي استفاد منها طالبوا العلم والهدى من بعده.

تموت الخبايا في الزوايا وما لها   من الناس بين الناس للناس ذاكر

تفوت كمالات الرجال شواردًا   إذا لم تقيدها علينا الدفاتر

وبالعودة الجادة إلى دراسة منهج التصوف الذي يسعى إليه الكثير من الدارسين والباحثين، خرجت إلى النور بعض من تلك الدرر والجواهر النفيسة التي كانت حبيسة دور المخطوطات وخزانات الأشخاص بعد أن تغلَّب عدد من الباحثين المجتهدين على أكثر المصاعب التي واجهتهم لتحقيق بعض النصوص الصوفية، فخرجوا علينا بالكنوز، واستحقوا منا جزيل الشكر على الجهد الذي بذلوه في هذا السبيل؛ أذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر: أستاذنا الكبير علوان مهدي الجيلاني رائد التنوير في بلادنا فقد ساهم إنتاجه الغزير في باكورة حياته الذي تنوع شعرًا وأدبا وتاريخا في سقل موهبته وإثراء معارفه سلفًا ثم اتجاهه إلى التصوف مؤخرًا يظهر ذلك بوضوح من خلال إنتاجه ودراساته؛ فكتب عن الجبرتي: ما يتعلق بسيرته ومناقبه وكراماته ومبشراته وعلومه مثل: العطر الوردي للشيخ مُحَمَّد بن أبي بكر الأشكل (822هـ أو 823هـ) تقريبا، ومنها ما يتعلق بالدفاع عن مذهبه وطريقته وآرائه في التصوف مثل: هداية الهالك إلى أهدى المسالك للشيخ مُحَمَّد بن مُحَمَّد المزجاجي (829هـ - 1426م) ومثل: ذو الفقار المأمور بيد ذي الفقر المنصور للشيخ أحمد بن أبي بكر الرداد821هـ

وأسأل الله عز وجل له التوفيق والسداد، وأن يبصرنا لما فيه الخير والرشاد وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كتبه الفقير إلى الله

علي بن إبراهيم بن مُحَمَّد العقيلي

الأثنين 1440/5/8هـ / 2019/1/14م الحديدة حماها الله

التمهيد

اشتُهِرَ عدد من الزهاد والعُباد في صدر الإسلام في اليمن، وتؤكدها لنا قصة وفد الأشعريين الذين قال فيهم الرسول صلى الله عليه وسلم ((أتاكم أهل اليمن هم ألين قلوبًا وأرق أفئدة الإيمان يمان والحكمة يمانية)). [1] بداية تعلق أهل اليمن بمحبة الله عز وجل نتيجة هذا الشرف العظيم الذي نالوه وبهذا الإنباء المبكر من سيد المرسلين عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام؛ يكون بذار الزهد والإيمان قد آذن نباته في بلد الحكمة والإيمان بشهادة خير الخلق عليه أفضل الصلاة والسلام.

ثم إن قصة أويس القرني[2] المشهورة؛ كان لها الوقع الكبير على أهل اليمن فضلت على ألسنة الناس أنموذجًا للزاهد العابد. وظهر من الرعيل الاول الصحابي الجليل أبو موسى الأشعري (ت 44هـ/66م) ولد بوادي زبيد من بلاد تهامة، والصحابي الجليل أبو هريرة عبدالرحمن بن صخر الدوسي، ولد باليمن ونشأ يتيما ثم ارتحل إلى المدينة.

---

(1)**99536** –) أخبرنا سفيان عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال أتاكم أهل اليمن هم ألين قلوبا وأرق أفئدة الإيمان يمان والحكمة يمانية . الشافعي في مسنده ج **1**/ ص **280**. موسوعة التخريج **19282/1**.

(2) أويس بن عامر بن جزء بن مالك القرني، من بني قرن بن ردمان بن ناجية بن مراد: أحد النساك العباد المتقدمين، من سادات التابعين. من اليمن يسكن القفار والرمال، أدرك حياة الرسول ﷺ، ولم يره. شهد وقعة صفين مع علي ويرجح الكثير أنه قتل فيها **37**هـ.

قال فيه قصيدة يقول فيها:

سقى الله قومًا من شراب ودادهِ	فهاموا به ما بين بادٍ وحاضر
يظنُّهم الجاهلُ جُنوا وما بهم	جنونٌ سوى حبٍّ على القوم ظاهر
سقوا بكئوس الحي راحا من الهوى	فراحوا سُكارى بالحبيبِ المُسامر
يناجونه في ظلمة الليلِ عنْدما	به قَدْ خلو منهم أويس بن عامر
شهيرٌ يمانيٌ حوى المَجدَ والعلا	لنا فيه عالى الفخر عند التفاخُرِ

اليافعي، روض الرياحين في حكاية الصالحين، ص**178**.

ومن التابعين عمر بن ميمون الأودي كان عابدًا معدودًا من الأولياء، أصله من حضرموت ونسبه في قبيلة مذحج،أدرك جماعة من الصحابة ﵃؛ كعمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وعبدالله بن مسعود ﵃ وأرضاهم أجمعين ومن التابعين طاووس بن كيسان[1] وهو من أشهر رجال اليمن في هذه الفترة (ت 106هـ/742م) ووهب بن منبه[2] من كبار التابعين كانت له شهرة واسعة أدرك جماعة من الصحابة ﵃ ورحل إلى مكة المكرمة....

وثَمّةَ شواهد كثيرةِ من المصادر التاريخية ومجاميع الكتب من الفترة السابقة للدولة الرسولية في اليمن، أو متزامنة مع بدايات عهدها؛ تحوي إشارات عابرة إلى بعض رجال التصوف المتقدمين؛ مثل كتاب ابن سمرة (ت568هـ/1173م) طبقات فقهاء اليمن. وكتاب البهاء الجندي (ت732هـ/1332م) السلوك في طبقات العلماء والملوك. وكتاب البدر حسين بن عبدالرحمن الأهدل، تحفة الزمن (ت855هـ/ 1451م)..عبد الوهاب بن عبد الرحمن البريهي السكسكي (ت904هـ/1499م) طبقات صلحاء اليمن، وكتاب الشرجي (ت893هـ/1487م) وطبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص.

ويعد من أبرز أعلام التصوف ظهورًا في تهامة الصوفي الجليل أبو مُحَّد سود بن الكميت(ت 436هـ/1044م) أي قبل أكثر ألف سنة وهو جد الفقهاء بني سود من ذريته أيضًا الولي الشهير مُحَّد بن يعقوب أبي حربة بوادي مور.

وممن برز في القرن السادس الهجري الصوفي الشهير ابي العباس أحمد بن أبي الخير الصياد (ت579هـ/ 1183م) وهو من بلاد زبيد. هذا وقد تزامن مع العقود الأخيرة للدولة الأيوبية ومع بدايات الدولة الرسولية في اليمن ظهور مشايخ تصوف ذوي تأثير روحي كبير غالبهم

(**1**)انظر ترجمته في تاريخ صنعاء ص **318**، وصفوة الصفوة ج **2** ص **160**. وطبقات الخواص ص **61**وغيره.

(2) أنظر ترجمته في الجندي والخزرجي وطبقات الخواص.

من تهامة كان من أكثرهم شهرة الشيخ علي بن عمر الأهدل (ت لنيف وستمائة) وهو رأس هذا البيت الشهير بنوابغه. وأبو الحسن علي بن عبدالرحمن الحداد ترجم له عند الشرجي في طبقات الخواص:[1](كان من أكابر المشايخ وقدمائهم دخل مكة للحج فصادف هنالك الشيخ عبدالقادر الجيلاني فلبس منه خرقة التصوف، وأخذ عنه اليد ورجع إلى بلده فلبس الخرقة القادرية باليمن وأخذها عنه الناس، وغالب مشايخ اليمن يرجعون في نسبة الخرقة إليه، وكان لبسه لها على يد الشيخ عبدالقادر الجيلاني تجاه الكعبة المعظمة في مقام إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم، وذلك في شهر شعبان سنة إحدى وستين وخمسمائة) أنتهى.

وعيسى بن إقبال الهتار (ت 606 هـ/1209م) صاحب مقامات وكرامات كثيرة. وابو عبدالله مُحَمَّد بن أبي بكر البجلي الشهير بصاحب عواجة (ت 617هـ/1220م). وإبراهيم الفشلي (ت613هـ/1216م). وأبي الغيث بن جميل الملقب بشمس الشموس[2] صاحب دير عطا بوادي سُردد من بلاد تهامة (ت651هـ/1253م)، وأحمد بن علوان (ت665هـ /1266هـ) في الجند. وابن عجيل صاحب بيت الفقيه وإسماعيل بن مُحَمَّد الحضرمي صاحب الضِحي، كان من أئمة الولاية كان كثير التعليم للقرآن وكان يعرف بالمعلم وله مجموع في الفتاوى (ت 696هـ/)[3]

والسيد مُحَمَّد بن علي باعلوي المعروف بالفقيه المقدم (ت635هـ/1256هـ) من تريم بحضرموت... وغيرهم الكثير ممن حفلت كتب التاريخ والتراجم بذكرهم.

---

(1) الشرجي، طبقات الخواص أهل الصدق والاخلاص، ص**204**

(2)قال الإمام عبدالله بن أسعد اليافعي مادحًا شمس الشموس الشيخ أبو الغيث بن جميل:

أيا سَيدٌ كم ساد بالفضل سيدً بكل زمانٍ ثُمَّ كلَّ مكانِ

إذا أهلُ أرضٍ فاخروا بشُيوخُشهم أبو الغيث فينا فخرُ كلَّ يمانِ

اليافعي مرأة الجناة وعبرة اليقضان ج ص **94**.

(3) السلوك في طبقات العلماء والملوك. طبقات الخواص

ومع انتشار كتب التصوف الذائعة الصيت في اليمن مثل كتب الغزالي: إحياء علوم الدين وغيرها. وكتاب السراج الطوسي اللُمع، والجنيد الرسالة القشيرية، وكتب عبدالقادر الجيلاني وغيرها من المصادر الرئيسية التي شكلت ملامح التصوف الإسلامي في اليمن.

وفي المقابل ظهرت للعديد من أئمة التصوف في اليمن مؤلفات عظيمة في الفروع والآداب والأذواق والحكم وأحوال القلوب وخطراتها؛ فألف جوزي اليمن أحمد بن علوان التوحيد الأعظم والبحر المشكل الغريب وديوان الفتوح المصوفة والأسرار المخزونة وغيرها. وكان لعامل استقرار الأوضاع السياسية وانتعاش الحركة العلمية دور بارز في توافد عدد من العلماء البارزين الذين استوطنوا تهامة[1] ويصعب حصرهم على سبيل التفصيل لكن سأذكر أشهرهم:

فمن الهند: (الفقيه الأصولي مُحَّد بن عبدالرحيم الهندي الأرموي (توفي 715هـ/1268م) وكان فقيهًا شافعيًا أصوليًا عارفًا بمذهب الأشاعرة وفد إلى اليمن سنة (667هـ) فأكرمه السلطان المظفر الرسولي ووصله بعطاء.

ومن شيراز: وفد زبيد في تهامة الفقيه المفسر مُحَّد بن أبراهيم بن إسماعيل الزنجاني توفي بعد (721هـ)والتقى بالسلطان المؤيد داود في زبيد فأكرمه وأقام يدرّس بعدن وزبيد وأخذ عنه جميع طلبة العلم وسمعوا عليه الرسالة الجديدة للإمام الشافعي وشيئًا من مؤلفاته.

ومن أشهرهم صاحب القاموس المحيط والمؤلفات البديعة الفيروز أبادي: (العلامة اللغوي المحدث مجد الدين مُحَّد بن يعقوب الشيرازي الفيروز أبادي (ت817هـ/1414م) دخل اليمن عام (769هـ) واستوطن زبيد وأقبل على نشر العلم والتأليف وتوافدت طلبة العلم والعلماء

(1) أغلب الذين عرفتهم اليمن من الصوفية عاشوا في تهامة حيث كانت هذه المنطقة من البلاد المحببة لهم فقد وجدوا فيها الأمن والهدء، مؤثرين العزلة والعبادة في سواحلها وبعيدا عن ضجيج الحياة وقلاقل الحكام وقد كان أحد صوفيتهم وهو الشيخ أحمد الصياد (يثنى كثيرا على السواحل ويرى انها مورد عبادا الله الصالحين) عبدالله مُحَّد الحبشي، الصوفية والفقهاء في اليمن ص21.

لقصد زبيد لا من اليمن فحسب بل من أنحاء العلم الإسلامي للسماع عليه ورغبة في نيل أسانيده وإجازاته العلمية)[1]

(وممن وفد إلى زبيد من الحرمين الشريفين: الفقيه القاضي إسحاق بن أبي بكر بن مُحَّد الطبري (ت670هـ/1271م) أحد علماء الحرم المكي الشريف أخذ عليه علماء زبيد كما سمع عليه السلطان المظفر الرسولي.

ومنهم إمام الحرم الشريف ومحدثه الإمام محب الدين أحمد بن عبدالله الطبري(ت 694هـ/1294) والذي ربطته بالسلطان المظفر يوسف الرسولي علاقة ود وصداقة وسمع عليه علماء زبيد وغيرهم كثيرًا من كتب الحديث ومن مصنفاته.

ومنهم الفقيه القاضي رضي الدين الطبري "إبراهيم بن مُحَّد بن إبراهيم بن أبي بكر الطبري المكي الشافعي (ت 722هـ/1322م)إمام الحرم في الحديث وله مصنفات.

وممن وفد أيضا: الحافظ ذو النون يونس بن يحي بن الحسن بن أبي البركات بن أحمد بن عبدالله العباسي العلوي الهاشمي القصار البغدادي (ت608هـ/1277م) قدم زبيد وأخذ عنه كثير من العلماء وهذا تدور عليه الرواية في إسناد صحيح البخاري). انتهى.

وكانت فترة حياة شيخنا أحمد بن عمر الزيلعي العقيلي (ت704هـ/ 1304م) مصنف "ثمرة الحقيقة ومرشد السالك إلى أوضح الطريقة" من أخصب الفترات الزمنية التي عاشت حراكًا علميًا وأدبيًا واسعًا ليس في اليمن فحسب؛ بل في جميع البلاد الإسلامية إذ لم تشهد اليمن في عصرها الإسلامي دولة ازدهرت فيها الحياة العلمية وتنوعت فيها فنون المعارف كما شهدته اليمن في عصر الدولة الرسولية، ذلك لأن ملوكها كانوا علماء فاهتموا بنشر العلم، ورفع مكانة العلماء،

---

(1) عبدالله قائد، الحياة العلمية بزبيد في العهد الرسولي ص432. عبدالله خادم العمري، سلسلة بيوتات العلم. ص 36.

فبنوا مدارس متعددة في المدن والقرى، وكانت المساجد والمدارس تغّص بحلقات التدريس ومجالس العلم، وأغدقوا على طلبة العلم الأرزاق الوفيرة وأمنوا لهم لقمة العيش الكريمة من ريع الأوقاف التي خصصت لهم، لذلك. وصف المؤرخ الزركلي الدولة الرسولية في ترجمته للملك المنصور بن علي بن رسول مؤسس الدولة الرسولية في كتابه الأعلام قائلًا: (وفي المؤرخين من يُشَبّه الدولة الرسولية في اليمن بدولة العباسيين في العراق).

قال الجندي في السلوك: (وللمظفر رحمه الله من الاثار المبقية للذكر منها المدرسة في المغربة عليها وقف جامل لمدرس ودرسة وما يليق بحالها، ثم جامع المهجم[1] الذي ذكرت ان الفقيه جمال الدين كان مدرسا به، ثم جامع واسط[2] المحالب[3] بوادي مور به دراسة ومدرس وله مسجد بأعلى المغربة يعرف بالمسجد الجديد وله بظفار مدرسة أيضا بناها بعد ان فتحها وله دار مضيف بذي عدينة ثم أخرى بحيس، وله الجامع بذي عدينة، إذ كان الناس يصلون الجمعة بالمسجد الذي يعرف بمسجد الرشيدية بالقرب منها، وبنيت بأيامه مدارس كثيرة لأهله ولغيرهم، وكانت دولته أقرب الى الرأفة والعدل). إنتهى

وجامع واسط هذا بُني بإشارة من شيخ الفقيه أحمد بن عمر الزيلعي؛ قال الجندي في السلوك في طبقة العلماء والملوك: (مُحَّد بن عبد الله بن عبد المحمود الحارثي نسبة الى جدٍ له اسمه حارث. كان هذا فقيها كبيرا تفقه بموسى بن عجيل وسمع على عبدالله السلمي بمكة، وصنف كتاب الاربعين في الاذكار والادعية، وتفقه به جماعة؛ منهم

(1)إحدى المدن التهامية ذات الشهرة التاريخية كانت زاخرة العمران، كثيرة الخيرات، وأنجبت علماء وأدباء وكانت تعد العاصمة الثانية للقطر التهامي تبعد عن مدينة اللحية بحوالي 70 كلم إلى الشمال الغربي منها ولا زالت منارة جامعها الشهير قائمة إلى اليوم بنى جامعها الملك المظفر الرسولي وتنافس على عمارته وتجديده الملوك والأمراء من بعده ويقال أن عدد دعائمه على عدد أيام السنة وفيه من العناية أمر عظيم وسقفه قبب، وقد تشعث ولم يبق منه إلا منارته قائمة إلى اليوم.

(2) واسط أصبحت اليوم جزء من مدينة مور في مديرية اللحية التابعة للحديدة من الجمهورية اليمنية.

(3) المحالب إحدى المدن السلطانية المندثرة بوادي مور من بلاد تهامة في اليمن وشاع ذكرها خلال فترة حكم الدولة الرسولية.

الفقيه أحمد عمر الزيلعي صاحب اللحية. وانتقل من بلده إلى بلاد الشرف ثم إلى واسط مور فدّرَسَ بها حتى توفي بها أو قريب منها، كذا رايته بخط ابن المزجّد قال الجندي: وأمه من قرابة الفقيه علي بن مسعود..[1] وأكثر ما حثه على قراءة العلم والتأسي بخاله الفقيه علي بن حسين، كان يرى اجتهاده وما ظهرت عليه من بركة ذلك، وكان فاضلا بعلم الفلك، ولما اتصل علمه بالمظفر استدعاه وهو إذ ذاك أميرًا في المهجم، فوصله وصحبه وابتنى له المظفر جامع واسط المقدم ذكره فدرس.

وكان الشيخ أحمد بن عمر الزيلعي العقيلي وقتذاك يمثل حالة فريدة في النشاط التصوفي الإسلامي، وكانت اليمن تقطف خلاصة الحضارة الإسلامية في شتى العلوم؛ ومنها التصوف وكان الزيلعي يقطف هو الآخر ثمار تلك التجارب الصوفية التي عرفها العالم الإسلامي قبله، فبرع في علوم الحقائق والفتيا، وكان مرجعًا للخاص والعام تفد إليه الوفود من كل مكان.

لكن فيما يبدو أن جانب الوعظ والتربية والاهتمام بالسلوك والتعبّد والزّهد قد أخذ الجانب الأكبر من حياته رحمه الله تعالى وكان اهتمامه بالتأليف محدودًا، ولم تصلنا من مؤلفاته سوى:

1. كتاب الأذكار والدعوات منه نسخة مخطوطة في مكتبة الأحقاف في تريم بحضرموت اليمن.
2. ذُكر في مشجرة النسب أن له كتاب اسمه الوداع [2].
3. ثمرة الحقيقة ومرشد السالك إلى أوضح الطريقة.

هذا ملمح بسيط للتصوف في اليمن حتى عصر الشيخ أحمد بن عمر الزيلعي العقيلي مصنف ثمرة الحقيقة ومرشد السالك إلى أوضح الطريقة

---

(1)البدر حسين بن عبدالرحمن الاهدل. تحفة الزمن تاريخ سادات اليمن ج1 ص 103.

(2) أحمد بن علي الراجحي العقيلي، اللآلئ السنية في الأعقاب العقيلية ج 1 ص 136وقد عثرت عليه أخيرا ضمن مخطوطات مكتبة الامام زيد بصنعاء.

منهج التحقيق

لقد قمت بتحقيق مخطوطة "ثمرة الحقيقة ومرشد السالك إلى أوضح الطريقة"على الاسلوب المتبع عند المحققين لكتب التراث الإسلامي واعتمدت على نسختين:

الأولى:وهي النسخة المحفوظة في مكتبة الأزهر الشريف برقم 332325 تصوف تقع صفحاتها في 140 صفحة كل صفحة تحتوي على عدد 21سطرا واتخذتها الأم ووضعت لها الرمز (أ)

الاسم كما جاء في المخطوط الأزهرية ثمرة الحقيقة ومرشد السالك إلى أوضح الطريقة. ثم يظهر أنه تم إضافة لفظة لباب من غير خط الناسخ ليصبح الاسم: لباب ثمرة الحقيقة ومرشد السالك إلى أوضح الطريقة. ولم ترد في النسخ الأخرى عبارة لباب.

وبالرجوع إلى ما ذكرته المصادر والنسخ المخطوطة الأخرى يتضح أن عنوان كتاب الشيخ أحمد الزيلعي العقيلي كما يلي: ("ثمرة الحقيقة ومرشد السالك إلى أوضح الطريقة")

لذلك رأى المحقق استبعاد الكلمة المضافة في عنوان النسخة الأزهرية (لباب) وإثبات العنوان كما يلي:

(ثمرة الحقيقة ومرشد السالك إلى أوضح الطريقة) ليكون جامعًا بين ما أوردته المصادر.

النسخة الثانية: وهي النسخة (ت) نسخة مكتبة الأحقاف ـ مجموعة آل يحي برقم (109) تصوف تحت عنوان ثمرة الحقيقة ومرشد السالك إلى أوضح الطريقة ـ أبي العباس أحمد بن عمر الزيلعي المتوفي سنة 704هـ أوله الحمد لله المنعوت بوصف القدم...اخواني من افرد الله في باطنه تنزهت جوارحه عن معاصيه..

آخره تم الكتاب بحمد الله وعونه وحسن وتوفيقه والحمد لله رب العالمين.

وضعت لها الرمز (ت)

النسخة كتبت بخط معتاد سنة 1251هـ العناوين بالحمرة

عدد الأوراق 97 ورقة

عدد الصفحات 188 صفحة

عدد الأسطر 22 في كل صفحة

المقاس 15عرض . 21طول

يتلخص منهجي في تحقيق الكتاب كما يلي:

اعتمدت على النسخة الأزهرية لقدم تاريخها وجودة خطها

1) نسخت الكتاب كله بيدي ثم قابلت المنسوخ على النسختين المخطوطة.

2) أضفت ما كان مناسبًا من العبارات ليستقيم المعنى، وميزته بـ: [ ] ما استدركه الناسخ لنفسه واشار إليه في الهامش ثبته في النص كما اراد دون الاشارة إلى ذلك.

3) ضبطت نصَّ المخطوط ضبطًا أرجوا العليَّ القدير أن يكون صحيحًا كما أراد المصنف رحمه الله تعالى.

4) استعملت علامات الترقيم المناسبة بأنواعها المختلفة التي طبقت كثيرًا في هذا العصر الحديث.

5) شرحت بعض الألفاظ الغريبة بالرجوع المعاجم اللغوية.

شرحت بعض المصطلحات الصوفية بالرجوع إلى المعاجم الصوفية.

6) خرّجت الآيات القرآنية بعد أن وضعتها بين علامتين كهذا { } ثم ذكرت اسم السور ورقم الآية.

7) خرَّجت الأحاديث النبوية الشريفة بعد أن وضعتها بين علامتين كهذا (())

وعزوتها إلى مضانها بذكر اسم الكتاب ورقم الجزء والصفحة أو رقم الحديث في ذلك الكتاب.، وقد أذكر أحكام المحدثين القدماء على درجات هذه الأحاديث، تصحيحا. وتحسينا وتضعيفا.

8) ترجمت للأعلام الوارد ذكرهم في المخطوط مع بيان مصادر تراجمهم أغلبها مأخوذ من كتاب (السلوك في طبقات العلماء والملوك) للبهاء الجندي، ولم أتطرق لذكر ترجمة للمشهورين من الأعلام خشية الإطالة.

9) وضعت فهرس المراجع والموضوعات في آخر الكتاب.

صور لنسخ المخطوطة

صورة النسخة الأزهرية المخطوطة (أ)

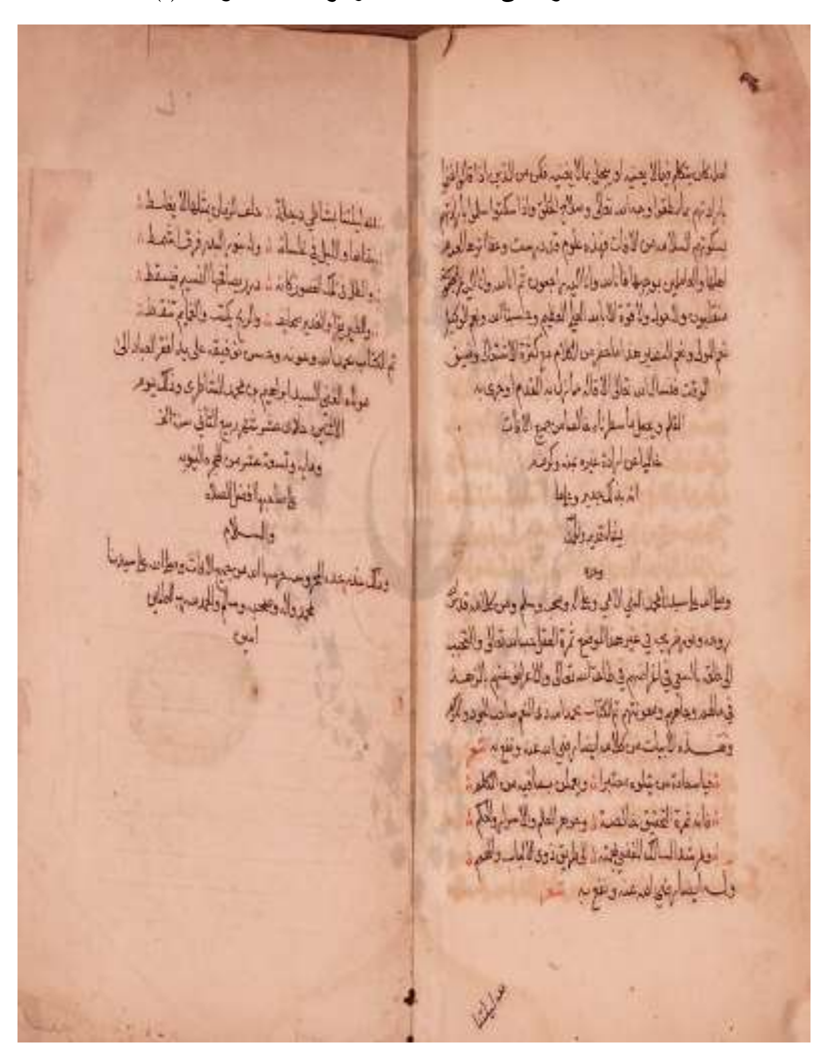

كتاب ثمرة الحقيقة ومرشد السالك إلى أوضح
الطريقة تصنيف سيدي الفقيه العالم
الأوحد العارف بالله تعالى سيدنا شيخ
المشايخ شهاب الدنيا والدين
أبي العباس أحمد بن
عمر الزيلعي
العقيلي
صاحب زاوية اللحية المحروسة بجبا... بلد الصالحين نفعنا الله به
في الدارين وأعاد علينا وعلى المسلمين من بركاته وبركات علومه
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

صورة غلاف مخطوطة المكتبة الأزهرية

الصفحة الاولي من النسخة الأزهرية المخطوطة (أ)

الصفحة الأولى والثانية من المخطوطة الأزهرية

الصفحة الأخيرة من النسخة الأزهرية المخطوطة (أ)

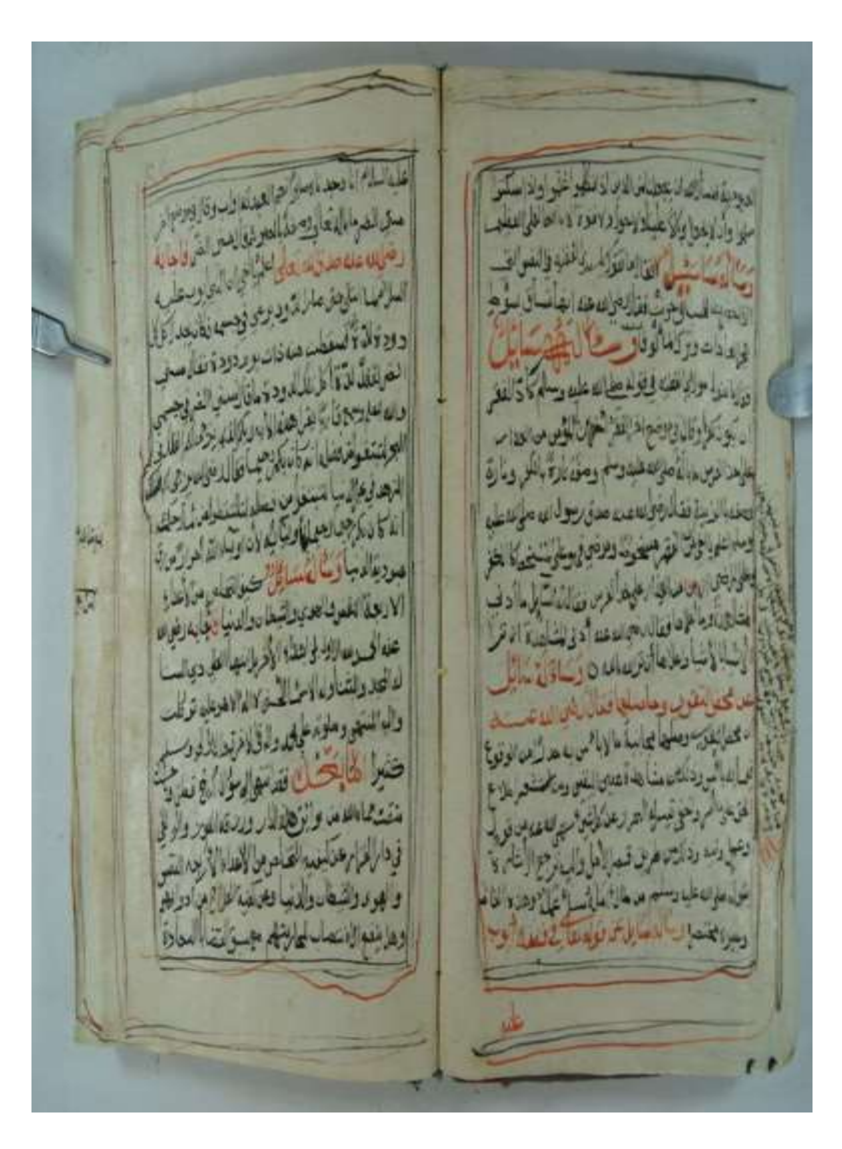


صورة الصفحة الأخيرة من المخطوطة الأزهرية

غلاف النسخة الحضرمية مكتبة تريم المخطوطة (ت)



صورة نسخة مكتبة تريم المخطوطة (ت)



النسخ

- فهرس المكتبة الازهرية. 104/2.
- ثمرة الحقيقة ومرشد السالك الى اوضح الطريقة: تصوف، برقم 332325.
- الأحقاف 2811 مجاميع وأخرى نفس المكتبة 1582
- ثمرة الحقيقة ومرشد السالك إلى أوضح الطريقة خ بالمكتبة الآصفية بالهند
- ثمرة الحقيقى ومرشد السالك إلى أوضح الطريقة . مكتبة آل الزواك مدينة الزيدية اليمن

منهج وأسلوب الكتاب

كتاب "ثمرة الحقيقة ومرشد السالك[1] إلى أوضح الطريقة " بحر زخار وفيض مدرار من المواهب الربانية، صيغت بعناية فائقة لتجعل السالك أو المتلقي يستعذب العبارات ويتلذذ باستقبال التعليمات والتوجيهات بكل أريحية وراحة بال، ذلك أن التصوف حالة شعورية يتماهى معها السالك وجدانيًا وعاطفيًا بكل جوارحه وأحاسيسه، ويسلم زمام أمره لشيخه ومربيه الذي يوجهه لرياضة ومجاهدة تطهره من أهواء النفس وانتزاع أهواء الدنيا من بطانة القلب. كل ذلك ما هو إلا تمهيدًا لرحلة العبور إلى الحقائق.

أهل الحقيقة.. وأهل الحقائق: مصطلح دال على أهل التصوف وقد ورد ذكر هذا المصطلح كثيرًا في الكتاب لكن ما مدلول هذه التسمية.

نجد الشيخ أحمد بن الزيلعي أشار بوضوح في أحد نصوص الكتاب إلى ذلك ومنه نستشف أصل التسمية أنها لم تخرج عن المدلول القرآني يقول ﷺ في تعريفه للكون بأسره معبرًا عنه بالعالم الكبير:

(العالم الكبير رقٍ منشور وما فيه من تفاصيل الأجزاء كتاب مسطور ترتيبه وتركيبه منوط بالحكمة الإلهية القديمة المجردة عن أغشية الظلم والجهل فهي حق بحق من حق، قال الله تعالى: {وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ}[2]).

---

(1) السالك: هو السائر إلى الله المتنقل شيئا فشيئا في مدارج الإيمان ومقامات اليقين، وهو المتوسط بين المريد والمنتهى، مادام في السير، من باب تشبيه المعنويات بالمحسوسات. معجم اصطلاحات الصوفية للكاشاني ص119

(2) سورة الحجر: الآية 85.

وفي موضع آخر عبر عن حال الوصول إلى مقام الفناء بالقول: (فهم شاخصون إلى نور الجلال بعين الحقيقة لا عين الصورة، في رياض الأنس وبساط الانبساط حالا وأزلًا وأبدا).

وفي تعبير آخر حاثا السالك إلى مضاعفة الجهد للوصول إلى حال الفناء مشيرًا إلى الحقائق التي يسعي إليها السالك قال ﷺ: (متى تستخلص حامية رياضتك بإبريز[1] نقود التحلي بأخلاق ربك.؟ وتحسن سقالة مرآة قلبك من ريون اقتار جفوتك.؟ وتغيب عن التدبير برؤية مدبرك.؟ وتتحلق بزمرة الملأ الأعلى بهمتك.؟ وتلاحظ الحقائق هناك مجردة عن أغشية التشبيه والتمثيل في عالم قدسك).

وقال أيضًا: ("قال ذو الفهم الثاقب: ما رأيت شيئا إلا رأيت الله معه". هذا مقام استدلال صاحب همة، قد جعل الوجود عينا يرى بها الحقائق،)

وعلى هذا فالحقائق: هي جوهر علم التصوف وثمرة إخلاص ومجاهدات السالك الصادق مع الله سبحانه وتعالى يكاشفه ببعض الحقائق ويشهد له بعض المغيبات كثمرة من ثمار توكله وفقره ومحبته لله تعالى.

والحقيقة والحقائق تتكرر كثيرًا في الخطابات والمواعظ وهي علوم التصوف وعلى ذلك يشير عنوان الكتاب " ثمرة الحقيقة ومرشد السالك إلى أوضح الطريقة"

وعليه فأن مؤلفه صاغ فيه كل تجاربه الذاتية ممارسة وسلوكا وتعليمًا.

ولم يخرج الشيخ الزيلعي عن مدلول المنهج السلوكي التصوفي الذي يحتكم إلى معايير خلقية كثيرة أهمها: التخلي – والتحلي – والتجلي.

فالتخلي يكون بالعزوف عن ملذات الدنيا والأهواء والانتماءات.

---

(1) الإبريز: الذهب الخالص ويقال ذهب إبريز القطعة منه إبريزة. المعجم الوسيط: ج1 ص 2

والتحلي: يكون بالأخلاق الحميدة.

والتجلي: يكون بالترفع والاستغناء عن الناس إن أمكن.

ويمكن القول أن التربية الصوفية هي المحور الرئيس الذي يدور حوله الكتاب بالإضافة إلى الأجوبة الكافية الوافية على أسئلة أصحابه التي لم تخرج عن هذا الإطار وهم تلامذته وبعض المشايخ العارفين في وقته وهم مشهورون ولهم تراجم في بعض المصادر.

ويمكن وصف أسلوب الشيخ أحمد بن عمر الزيلعي في الكتاب بالآتي:

التكامل في الخطاب – الإشهاد والاستشهاد – أضف إلى ذلك سهولة اللفظ – ووضوح المعنى والبساطة في العرض.

فنراه يسرد الوصايا بطريقة الخبير بأدواء القلوب وعللها فهو عالمِا نفسانيًا وحكيمًا ربانيًا، وهو الشيخ الذي تقلب في الأطوار رياضة ومجاهدة بعد أن اجتنى ثمرة الحقائق وسبر[1] أغوارها بعين البصيرة واعتنى في إيصال كل الدقائق ووزنها بميزان الشريعة والحقيقة. وهو الخبير بالنوازع والميول البشرية ومكدرات صفاء الروح.

ونراه يحذر من الركون إلى تلك الأهواء والنوازع البشرية. وهذا مفهوم التصوف الذي يحرق الكبرياء والأحقاد والضغائن وحب الدنيا وحب المال والجاه والمناصب وكل ذلك ينمحق ويذوب في ضرام تعظيم الله تعالى.. عندها يهيمن إسلام المرء على قلبه ويفيض حبًا وتعظيمًا لله تعالى. ليتدرج بعدها السالك في الأحوال والمقامات بعد أن يطرد جميع الأغيار[2] من قلبه وسلوكه.

والكتاب دالٌ من عنوانه أنه يهدف للوصول إلى ثمرة الحقيقة وهي حال الفناء وهو أعلى درجات السلوك الذي يسعى إلى بلوغه كل سالك مجد والفناء وهو: ("أن يفنى العبد عن الأوصاف الخبيثة، ويبقى

---

(1)سبر الأمر: جربه واختبره

(2)الأغيار: كل ما سوى الله تعالى.

في أوصافه الحميدة، ويتحلى بالخصال الطيبة لتفنى عنه الخصال السيئة، فيدنوا من الله بجلائل الأعمال التي يقدمها طاعة وقرباناً إليه ثم يفنى عن صفاته الذميمة ولايزال في هذه المرتبة من الفناء إلى أن يفنى عن آثام المخلوقين"). [1]

وإذا نظرنا إلى تقسيمة الطوسي وفقًا للتدرج الصوفي نجده يطلعنا إلى أن أعلى المقامات؛ هو حال الفناء، وهو الذروة التي يسعي إليها المتدين[2]

اتبع الشيخ أحمد بن عمر الزيلعي العقيلي؛ السلوك الصوفي الإسلامي الملتزم بالكتاب والسنة وسار في جميع مراحل كتابه يقدم الدليل والحجة الدامغة من كتاب الله الكريم والسنة النبوية المطهرة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ويستمد منهما الإشارات والقواعد التي ينطلِق منها لرسم الطريق وذلك حتى يجتمع في كلامه الأصليين العقلي والنقلي فيحدث الأثر المطلوب وشدد الحرص على عدم الخروج عن مدلول الآيات القرآنية والاحاديث النبوية الشريفة وإجماع الأمة والتأسي بسير الصحابة والتابعين وأتباع التابعين.. فنراه يقول على سبيل المثال:

(لا تدرك الأماني بطول التماني؛ إنما يدرك ذلك من استضاء بمقباس شهاب النور الفُرقاني المستفاد من السراج الإسلامي؛ فأنّى لك رسوخ قدم التمييز للمعاني لاستغراق قلبك بالصور والمباني فإن لمعت أشعة وأشرقت أنوار من جوّ أفق الوجود قبل الاستعداد فلا تغتر بهجومهما حتى تنطبع تلك الواردات بطابع الكتاب والسنة وتتزن أنت بميزان الاقتداء والاّ فبرقٌ خَلَب.

وقال في موضع آخر:

(ومن حصل له أدنى شيء من صحة الطلب للطريق إلى الله تعالى؛ فليتعرفه من كتاب الله تعالى، وسنة رسوله وإجماع الأئمة،

---

(1) القشيري الرسالة القشيرية ص 68

(2) أنظر اللمع للطوسي والتصوف السني حال الفناء بين الغزالي والجنيد.

وليُدمِن النظر في مناقبهم، وما كان عليه الصدر الأول من الصحابة، وأتباعهم وأتباع أتباعهم. وإياك أن تُعرض عن طريقهم وعن نصحهم،)

تحدث الشيخ الزيلعي ﷺ عن الأخلاق وصفات النفس فرسم منهجا شرعيًا أخلاقيًا مستقيما لوزن الاعمال ومراقبة النفس والتمييز بين الخير والشر ودوام المراقبة في الظاهر والباطن والابتعاد عن كل ما نهى الله تعالى عنه فقال ﷺ:

(الإنابة؛ هي الأوبة من محال البعد إلى أوطان القرب بتوبة صادقة من جميع المعاصي التي تتعلق بالأعضاء السبعة وهي: العينين ـ والأذنين ـ واللسان ـ واليد ـ والرجل ـ والبطن ـ والفرج.

فالذي يتعلق باللسان من النهي:

ترك الغيبة وإن كان صدقًا، لأنها من الكبائر التي لا تمحوها التوبة ـ والسبّ ـ والتعنيف ـ والملاحاة ـ والمراء ـ والجدال في الدين ـ وشهادة الزور ـ والخوض فيما لا يعني وغير ذلك من المناهي[1]. فإذا تنزه اللسان عن المناهي كلها تحلى بالأوامر. منها المداومة على الذكر مع حضور القلب؛ في حال الذكر، وتلاوة القرآن بالتدبر، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولين الكلام، وإفشاء السلام، وإرشاد الضال، وغير ذلك مما لا يحصى كِثَرُة.

ومما يتعلق بالسمع من المناهي:

أن لا يصغي به إلى الغيبة ـ والنميمة والفحش ـ وسماع الأغاني ـ التي فيها وصف النساء، من الأجانب ممن لا يملك عصمة نكاحها، أو لا تكون له مملوكة. فذكر الأجنبية بعينها يوجب الفسق، ويسقط العدالة؛ فإن لم تكن معينة؛ فذكر النساء بوصف الخد والقد، وغير ذلك ممن لا يملك نفسه عند سماعه؛ فإنه يورث ثوران الشهوة. فالإكثار منه يسقط المروءة. فإذا سقطت المروءة؛ سقطت العدالة.

---

(1) في (ت) النهي.

فإذا تنزه السمع عن جميع المناهي.. استعمله بالإصغاء إلى ما أُمر به من المواعظ الحسنة؛ مما يذّكر بالله والدار الآخرة، وجميع ما وردت به الأخبار والآثار، من أحكام الآخرة وما أشبه ذلك.

وأمّا البصر:

فيصرفه بالغض عن جميع المناهي منها:

النظر إلى امرأة حسنة ـ أو إلى شاب مستحسن ينظره بعين الشهوة ـ أو إلى فرج حرام ـ أو إلى باطن فرج امرأته. ولا ينظر بهما إلى مسلم بعين الاحتقار من عاص أو مطيع، عبدًا كان أو حرًا، وغير ذلك من المناهي.

فإذا تنزه البصر عن جميع المناهي.. استعمله إلى النظر إلى المكونات بعين الفكر ـ والنظر إلى المصحف ـ والكعبة، ووجوه الوالدين بعين البر والشفقة ـ والنظر إلى العلماء بالله من الصالحين من أولياء الله ـ وما أشبه ذلك من الأوامر.

ومما يتعلق باليدين من المناهي:

أن لا يؤذي بهما أحد من خلق الله تعالى ولو دابة ـ ولا يتناول بهما مالًا حرامًا أو شبهة؛ يتورع عن دقيق ذلك وجليله، وغير ذلك من المناهي.

وكذلك البطن:

أن لا يدخله طعامًا حرامًا أو شبهة. ويلازم الورع في جميع ذلك، ولا يترخص، ولا يحتج بالتأويلات الفاسدة؛ من استحلال مال الغير بدقائق الحيل المستخرجة من علم الرأي والقياس. "من علم بما يدخل جوفه كتبه الله صديقا".

وكذلك الفرج:

أن لا يحركه إلا إلى ما أحل الله له من امرأة منكوحة بنكاح صحيح شرعي مجرد عن ما يفسد النكاح، من فسق الولي على المنصوص، ويكون حريصًا على الخروج من شبهة اختلاف العلماء في

ذلك، ويأخذ بالأحوط من الوجهين أو القولين في جميع أحواله، ويحترز في أمر الشاهدين بأن لا يكونا فاسقين، أو أحدهما. فأن الشاهدين لا رخصة فيهما ولا اختلاف بين العلماء، فإن ظهر فسقهما، أو فسق أحدهما؛ يوجب فساد العقد.

ومما يتعلق بالرجلين من المناهي:

أن لا يسعى بهما إلى مجلس تهتك فيه حرمة مسلم في أخذ ماله أو روحه أو عِرّضِه ـ أو يدخل بيتًا مزخرفًا بالصور ـ أو دارًا مغصوبة ـ أو منزلًا من منازل الظلمة. أو يمشي بالنميمة بين اثنين، بل يسعى بهما إلى صلاة الجمعة والجماعة، أو إلى مجلس فيه ذكر الله تعالى وذكر الآخرة، ويتدارس فيه مناقب الصالحين، أو يسعى بهما إلى قضاء حوائج المسلمين، وإدخال السرور عليهم. فإذا أدبت هذه الأعضاء السبعة بأدب الشرع، ونزهتها عن المناهي كلها حتى لا يتعدى أمرًا واحدًا مما حدّ لك الشارع، وجريت مع الشرع حيث جرى؛ نظرت في أمر القلب لأنه أصعبها وأشدها علاجًا؛ لأنه مأوى كل شر أذا اعوج مثلما هو مأوى كل خير إذا استقام، ويتوجه عليك علاجه إذ صلاح الجوارح لا يغني عن صلاح القلب وإنما يستعان بإصلاح الجوارح على صلاح القلب؛ لأن صلاح الجوارح مقيد بصلاح القلب؛ إذا صلح.. صلح الجسد، وإذا فسد؛ فسد الجسد. هذا سر قوله عليه الصلاة والسلام: ((إن في جسد بن آدم مضغة إذا صلحت صلح له سائر الجسد، وإذا فسدت فسد بها سائر الجسد ألا وهي القلب)). [1]

فانظر إلى قلبك؛ تجد فيه من الخبائث ما لا يمكن ضبطه. منها الكبر، والعجب، والرياء، والحسد، والنفاق وشدة الغضب، وسوء الظن، والمكر، والخديعة، وقلة الرحمة، والحرص، والأمل، وحب الثناء،

---

(1)حدثنا يونس قال حدثنا أبو داود قال حدثنا شعبة عن مجالد عن الشعبي عن النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله ﷺ يقول إن في بن آدم مضغة إذا صلحت صلح سائر جسده وإذا فسدت فسد سائر جسده ألا وهي القلب

مسند الطيالسي:ج1/ص106 ح788. موسوعة اطراف الحديث 76568/1.

وفرار القلب من الذم، والفرح عند إقبال الدنيا، والجزع إذا أصيب في شيء منها وغير ذلك من الأخلاق الدنية. ومنبع هذه الأخلاق جملتها: حب الدنيا. قال ﷺ: ((حب الدنيا رأس كل خطيئة)).[1] ومفهومٌ من فحوى هذا الكلام؛ أن الزهد فيها رأس كل طاعة. فإذا فرغت من تزكية الأعضاء جملتها ووزنتها بميزان الشرع حتى لا تتعدى أمرًا واحدًا مما حدَّ لك الشارع واستقمت على الأوامر، وفرغت من علاج القلب أيضًا، وتنزهت عن كل خلق دني مما تقدم ذكره؛ ترقى إلى الأخلاق السَنية).

قسم التوبة إلى ثلاثة أقسام:

توبة العموم . توبة الخصوص . توبة خصوص الخصوص. ويجعل لكل منهم صنف خاص به.

وهذا التقسيم نجده أيضا عند الشيخ عبد القادر الجيلاني والعز بن عبدالسلام من قبل وكلهم أوردوا نفس هذا التقسيم مع اختلاف طريقة العرض بين شيخ وآخر حسب أذواق كلًا منهما وخصوصيته وعلى هذا يندر جدًا نقل نصوص بعينها بين هؤلاء وكما سلف القول بخصوصية أهل التصوف وتباين أذواقهم.. لكن الطرق كلها توصل إلى طريق واحد وهذا ما يميز التصوف عن غيره. ويعد ميزانًا يوضح مستوى وقدرات كل شيخ ودرجة معارفه عن غيره بحسب طريقة عرضه.

ويري الشيخ الزيلعي أن التوبة على وجهين:

الأول: يتعلق بحق الله تعالى وتكون التوبة منه بالاستغفار والندم.

والثاني: في حق العباد وهذه التوبة لا تتحقق إلا برد المظالم والتحلل من الحقوق.

فقال رضي الله عنه:

(ألا ترى أن الجناية في حق الله يمحوها الندم والتوبة، والجناية على حقوق الخلق لا يمحوها إلا رضاء الخصم، فلا تنفع فيها التوبة).

---

(1)أخرجه البيهقي في الشعب بإسناد حسن.

يرى أن الغناء الذي فيه وصف نساء أجانب يسقط العدالة ومن لم يكن عدلا بطلت شهادته ويترتب عليه أحكام في الشريعة.. قال ﷺ في مناهي السمع:

(ومما يتعلق بالسمع من المناهي: أن لا يصغي به إلى الغيبة، والنميمة، والفحش، وسماع الأغاني؛ التي فيها وصف النساء، من الأجانب ممن لا يملك عصمة نكاحها، أو لا تكون له مملوكة. فذكر الأجنبية بعينها يوجب الفسق، ويسقط العدالة؛ فإن لم تكن معينة؛ فذكر النساء بوصف الخد والقد، وغير ذلك ممن لا يملك نفسه عند سماعه؛ فإنه يورث ثوران الشهوة. فالإكثار منه يسقط المروءة. فإذا سقطت المروءة؛ سقطت العدالة).

كذلك رفض تأويل المتكلمين وتقديم العقل على النص وهذا واضح في كلامه رحمه الله حيث يقول: (إياك إن يغرك الشيطان بترهات البطالين وفاسد تأويل المغترين، فمن المحال المتعذر أن تحصد مالم تزرع).

ويبين في موضع آخر بالقول: (ولا تمل إلى ترهات المبطلين، وفاسد أقوال المغترين بلامع السراب ممن هجر الحق، وخالف طريق السلف الصالح، وأخذ بالرخص التي هي مستخرجة من علم الرأي والقياس حتى صار المنكر في هذه الاعصار معروفًا، والمعروف منكرًا، فضلوا وأضلوا. قال ﷺ: ((يأتي بعدي زمان يصير المعروف فيه منكرًا والمنكر فيه معروفا يخرج الرجل من بيته بدينه ويرجع بلا دين، يصبح الرجل مؤمنًا ويمسي كافرا قيل يا رسول الله: ما سبب ذلك قال: القرناء السوء يخوضون فيما لا يعنيهم وما نهى الله عنه حتى يخرجوا من الدين)).

وقال ﷺ: ((إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يجد لها بالًا يحبط بها عمل عشرين سنة))،[1] وقتل شهيد بين الصفين بين يدي رسول الله

---

(1) وفي لفظ عند أبي هريرة – ﷺ – قال: سمعتُ رسولَ الله –ﷺ– يقول: « إِنَّ العبد ليتكلّم بالكلمة – مِنْ رضوان الله – لا يُلْقِي لها بالا، يرفعه الله بها في الجنة. وإن العبد ليتكلم بالكلمة – من سَخَط الله – لا

فقال الناس: هنيئًا لك الجنة فقال ﷺ: ((وما يدريكم لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه))،[1] أو يبخل بما لا يغنيه، فكن من الذين إذا قالوا أغنموا بإرادتهم بما نطقوا لوجه الله تعالى، وصلاح الخلق. وإذا سكتوا سلموا، بإرادتهم بسكوتهم السلامة من الآفات. فهذه علوم قد درست وعفى أثرها لعُدم أهلها والعاملين بموجبها، فإنا لله وإنا إليه راجعون، ثم إنا لله وإنا إليه منقلبون ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، وحسبنا الله ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير.

تحدث عن خطرات القلوب وأمراض النفوس ونزعات الشياطين وكلها تحتاج كما يرى إلى التثبت والنظر والاستدلال من كتاب الله وسنته وهذا ليس بجديد فقد ورد في الكتاب والسنة ما يحث على معالجة الخواطر وتوضيح خفاياها وعواقبها قال الله تعالى {أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ}.[2]

قال الشيخ أحمد رسلان الشافعي رحمه الله تعالى في آخر متن الزُّبَد:

وُزِنْ بِحُكْمِ الشَّرْعِ كُلَّ خاطِرِ فإن يَكُنْ مأمُورَهُ فَبَادِرِ

ولا تَخَفْ وَسْوَسَةَ الشيطانِ فإِنَّهُ أَمْرٌ مِنَ الرَّحمَنِ

فإن تَخَفْ وُقُوعَهُ منكَ على مَنْهِيّ وَصْفٍ مثلِ إعجَابٍ فَلا

وإِنْ يَكُ اسْتِغْفَارُنَا يَفْتَقِرُ لِمِثْلِهِ فإِنَّنَا نَسْتَغْفِرُ

فاعْمَلْ وداوِ العُجْبَ حيثُ يَخْطُرُ مُستَغْفِرَا فإِنَّهُ يُكَفِّرُ

وإِنْ يَكُنْ مِمَّا نُهِيتَ عنهُ فَهْوَ مِن الشيطانِ فاحْذَرَنْهُ

فإِنْ تَمِلْ إليهِ كُن مستَغْفِرَا مِنْ ذَنْبِهِ عَسَاهُ أَنْ يُكَفَّرَا

فيَغْفِرُ الحديثَ للنَّفْسِ ومَا هَمَّ إذا لَم يَعْمَلْ او تَكَلَّمَا

يُلْقِي لها بالا، يهوي بها في جهنم». أخرجه البخاري. وفي رواية الموطأ نحوه، ولم يقل: « من رضوان الله »، ولا: « من سخط الله ».

وفي رواية للبخاري، ومسلم: « إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يَتَبَيَّن فيها، يَزِلُ بها في النار أَبْعَدَ ما بين المشرق والمغرب ». وفي رواية الترمذي: « إنَّ الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأسا يَهْوِي بها سبعين خريفا في النار» 9410/11

(1) أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت (109) وأبو يعلى (4017) والطحاوي في شرح الآثار (2423) إسناده صحيح أو حسن "بزيادة ويمع ملا يضره"

(2)سورة فاطر، الآية، 8

فجاهِدِ النَّفْسَ بأَنْ لا تَفْعَلا فإِنْ فَعَلْتَ تُبْ وأَقْلِعْ عَجِلا

وقد عرض لنا الشيخ أحمد بن عمر الزيلعي، كيف يمكن للإنسان أن يفرق بين أنواع الخواطر ومصادرها، والسلوك الأمثل حيالها، فيحدد الخواطر الواردة على القلب بعزم قطعي أنها من جملة المعاصي.

وفي إجابة أخرى على في هذا المعنى قسم الوساوس إلى قسمين:

محمودة ومذمومة.

فالمذمومة أيضًا تنقسم إلى قسمين:

نفسانية – وشيطانية.

فالنفسانية على ضربين:

ضرب منها يسمى هاجس النفس – وضرب يسمى حديث النفس.

وشدد على تدبر الآيات والمداومة على سائر الطاعات وذلك لتميز خاطر النفس من خاطر الشيطان.. فقال: (فإن أردت أن يتميز لك خاطر النفس من خاطر الشيطان: فقابل كلما يرد عليك من الوساوس الرديئة؛ بالمداومة على ذكر الله تعالى مع حضور القلب، وقراءة القرآن بالتدبر، وغير ذلك من أنواع الطاعات.) إلى آخر ما قال.

– حذر كثيرًا من الرياء والعجب وذلك لخطورته على العبد المسلم وخصوصًا على السالك.

قسم الفقر إلى نوعين فقال:

(اعلم يا أخي إن من الفقر ما هو مسخوط ومرضي، فهو على المتسخط كالكفر، وعلى الراضي أزين من العذار على خد الفرس).

نبه الشيخ الزيلعي في أكثر من موضع على عدم مناقضة اهل الظاهر لأهل الباطن وعبر عن ذلك بحسب الاصطلاح الصوفي بالشريعة والحقيقة في أكثر من موضع مبينًا الفرق بينهما ويرى أن علم الباطن المقترن بروح الشريعة هو العلم الذي يدرك الحكم الربانية وآثار

القدرة والأسرار المودعة في طيها.. من خلال النص يتبين أن الشيخ الزيلعي يقارع الانتقادات التي توجه للتصوف وهو يحاول أن يبين للسالكين حقيقة موقفه حتى لا يشوش أذهانهم ما يأتي من هنا وهناك:

يقول ﷺ: (والناظرون في هذا الصنع المحكم والترتيب المتقن، على ضربين؛ منهم من قصر نظره على ما يشاهد بعين رأسه ولم يتعد نظره إلى الحكم والأسرار المودعة في طيِّه، من أسرار تركيبات العالم وحكم جمّة إلى ما لا يتناهى مما يصلح ذكره لعلماء الدنيا القاصرة أبصارهم على ما يشاهدون من أجسام العالم. هم المرادون بقوله تعالى: {يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُون}[1]. هذا تنبيه على أنهم لم يدركوا من ترتيب الصنعة وآثار القدرة إلا ما يقع عليه مساحة الوجه، وقصرت أفهامهم عن إدراك الحكم الربانية، والأسرار الإلهية المودعة في طيها، فما من صورة إلا ولها معنى تقوم به في طيها من غرائب الحكم، وجواهر الأسرار المحجوب تحت رداء الغيرة لعزتها، ولكيلا ينالها غير أهلها. فأهلها؛ هم العلماء الراسخون في العلم، والحكماء الربانيون أهل الفهم.

قال الله تعالى: {وما يعقلها إلا العالمون }[2].مراده العلماء بالله؛ وهم الذين عقلوا عن الله أمره. لا تحصى مقدوراته ولا تتناهى معلوماته. قال الله تعالى: {وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاء}[3].. فهذه معرفة أهل الظاهر.

وهذه حدود علومهم وقد مضى حكمها. لأنها مقصورة على علم النظر والخبر. ولم يعثروا على ما ورائها من الأسرار الإلهية التي تتحير فيها الأفكار.

والضرب الثاني: هم الذين ترقوا بعلومهم من حدود عالم الصور، إلى ما ورائها من الأسرار المعنوية المخبوئة تحت رداء الغيرة).

---

(1) سورة الروم: الآية 7

(2) سورة العنكبوت: الآية 43.

(3) سورة البقرة: الآية 255.

نجده في قمّة التأدب مع الله جلَّ جلاله، وكمال التَّبري من الحول والقوَّة والتَّمَثُّل الكامل لحقيقة الفقر إليه سبحانه وتعالى والاستشعار التام لمعنى قوله تعالى: {وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ العِلمِ إِلَّا قَلِيلًا}[1]

قال رحمه الله تعالى في أجابته لسؤال أختصر إجابته مبديا اعتذاره لأسباب سيذكرها:

فخشيت أن أكون منطويًا على شيء مما حضره العلم ورخص فيه علماء وقتنا. والعذر الثاني أني لم أكن من أهل التحصيل لمعرفة صيغ ألفاظ العلماء، ولا لي قدم راسخ في حل مشكلات ازدواجات نتائج تركيب الحكماء، ولا لي حال مكين في معرفة طريق نيل العلوم الذوقية الغريبة في هذه الأعصار إذ هي من خصائص الصديقين، وأهل التمكين من خواص نجباء الأولياء الوارثين. لأنها ميراث الأعمال الصالحات، وملازمة تقوى الله في جميع الحالات. قال الله تعالى: {واتقوا الله ويعلمكم الله}[2]

وقال عليه السلام: ((من عمل بما علم أورثه الله علم مالم يعلم))[3]

فخفت أن أكون من المتكلفين.

قال عليه السلام: ((أنا والأتقياء من أمتي بريؤن من التكلف))[4]. فهذه الأعذار هي سبب المطال وقد استخرت الله تعالى في الجواب مما لا يحيله العقل ويشهد بصحته النقل على وجه الإيجاز والاختصار.

وقسم أنواع البلاء إلى:أربعة أنواع:

بلاء (يراد به تعجيل العقوبات - فذلك لمن أصر على الصغائر ولم يتجنب الكبائر

---

(1) سورة الإسراء: الآية 85.

(2)تكملة الآية: (وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيم). سورةالبقرة: الآية 282.

(3)ذكره السبكي ضمن أحاديث الإحياء التي لم يجد لها سندًا. ينظر طبقات الشافعية 290/1. وضعفه أيضًا العراقي في تخريج أحاديث الإحياء وقال: أخرجه أبو نعيم وضعفه. وأورده الشوكاني في الفوائد المجموعة

(4)حديث " أنا والأتقياء من أمتي برآء من التكلف " أخرجه الدار قطني في الأفراد من حديث الزبير بن العوام " ألا إني بريء من التكلف وصالحو أمتي " وإسناده ضعيف. تخريج أحاديث الإحياء: 141/2.

ونوع: يراد به تمحيص ما تقدم من الجنايات – فذلك للتائبين من أهل البدايات.

ونوع ثالث: يفتن به صدق الطالبين، ويستخرج به صفو الإرادات، حتى أنهم لو قرضوا بالمقاريض ما ردهم عن دينهم ولا ردهم عن طلبهم.

قال الله تعالى: {الم، أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ}[1]. فمعنى الفتنة هاهنا عين التجربة.

ونوع رابع: يراد به علو الرتبة وقرب المنزلة.. فهذا مقام الرسل، وحال أهل التمكين[2] من أهل النهايات.

– قسم العلوم الباطنية الى ثلاثة اقسام: علم عقلي برهاني – وعلم يقيني ذوقي – ومقام إيماني تقليدي يوجب حسن الظن وتسليمه لأهله.

– وصف حال زمانه في القرن السابع الهجري.. فما بال زماننا لا حول ولا قوة إلا بالله؛ وفي ذلك يقول:

(قد اشتد الأمر وحار الفكر، ظهرت البدع وزال الورع، وقوي الطمع، تواترت الآيات، وعمت المنكرات، فلم يحزن أحد على ما فات، ظهرت الزلازل والنيران، فلم يفق احد من سكر الغفلة والنسيان، تمادت القحوط فأظهرت القنوط، عدِمَت أئمة المؤمنين من الخلفاء الراشدين، وتولى أهل الشرك أمور المسلمين، أقفرت البلاد من الصالحين واهل التوكل والموقنين).

استعمل في مواضع عدة عبارة: (فهمه من فهمه وجهله من جهله) والتي يختتم بها كل موضوع تطرق إليه؛ ويستعملها عادة أهل التحقيق من كبار علماء التصوف وتعني أن ما مضى ذكره إنما هو من

---

(1) سورة العنكبوت الآية 2:1

(2) أصحاب التمكين هم أهل الرسوخ في ميادين العرفان، وهم أهل العلم والمعرفة الذين ثبتوا على حالة لا تزعزعها الواردات ولا تغيرها الطوارئ والحركات.. فلا ينزعجون لواردة ولا يتغيرون لبارقة إنما الحركة والانزعاج باب من أبواب الشطح وهو مالا يقبله أهل التمكين من الراسخين ولا يقبله كذلك أهل الصحو والحضور.. د.مجدي مُحَمَّد إبراهيم، التصوف السني حال الفناء بين الغزالي والجنيد، ص 56.

العبارات النورانية التي لا يدركها أصحاب العلم الظاهري وهذا أدق توصيف لها

كما اشتمل كتاب ثمرة الحقيقة على كثير من آراء أعلام التصوف ورموزه فنراه يذكر الإمام الغزالي في حديثه عن علماء الوقت (القرن السابع الهجري)كما وصفهم ممن ابتُلي منهم بالإنكار عليهم (على اهل التصوف) فقال رحمه الله تعالى: ("ومن لم يكن له نصيب من هذه العلوم؛ فلا أقل من الإيمان بها وتسليمًا لأهلها[1] تسليمًا لا يمازجه تردد ولا إنكار، كسبيل علماء الوقت ممن بُلي بالإنكار عليهم، لإفلاسهم عن مدلول علم الأبرار، فمن بُلي بالوقوع على أهل هذا العلم؛ ابتلاه الله تعالى بسوء الخاتمة والعياذ بالله.. ذكره الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله [2]في كتاب العلم من الأحياء.)[3].

ثم أثنى عليه وحث على متابعته في موضع آخر عند حديثه عن علم النظر قائلًا: ("وأما علم النظر [إن][4] تأملنا في هذا الصنع المحكم والترتيب المتقن؛ عرفنا بالضرورة أن له صانعًا أوجده، وعالمِا رتبه ولم يصدر هذا الصنع المحكم إلا من حيّ عالم قادر مدبر متكلم في جملة الصفات، ويستحيل أن تصدر هذه الصنعة ممن هو متصف بأوصاف تضاد هذه الأوصاف السلبية.

وإن أضاف إلى ما تقدم ذكره من نتائج العقول وقضايا الشرع المنقول مما يؤيد اعتقاده من نتائج القوانين والموازين التي هي مستخرجة

(1) كان الشيخ محي الدين بن العربي قُدِّس سرُّه يقول: كثيراً ما تهبُّ على قلوب العارفين نفحات إلهية، فإن نطقوا بها جَهَّلهم بها كُمَّل العارفين، وردَّها عليهم أصحاب الأدلَّة من أهل الظاهر، وغاب عنهم أن الله سبحانه وتعالى كما أعطى أولياءه من الكرامات التي هي فرع المعجزات فلا بدع أن يُنطق ألسنتهم بالعبارات التي هي تعجز العلماء عن فهمها. عبدالله بن أسعد اليافعي الشافعي، خلاصة المفاخر في مناقب الشيخ عبدالقادر.

(2) القسطاس المستقيم: أحد مؤلفات الغزالي التي قيل أنها بلغت أربعمائة مؤلف.

(3) انظر كتاب إحياء علوم الدين: الربع الأول، العبادات، كتاب العلم.

(4) مابين المعقوفتين من وضع المحقق ليستقيم المعنى.

من ممارسة أكياس العلماء في كتبهم، مثل: القسطاس لأبي حامد الغزالي رحمه الله وغيره من العلماء").

وقال ﷺ في حديثه عن شروط الاجتهاد:

الاجتهاد مقيدٌ بشروط أربعة؛ أولُها العدالة المطلقة. والعدل هو الذي لا يرتكب كبيرة ولا يصر على صغيرة. ومن كان مجهول العدالة لا يعتمد على فتواه عند صاحب شرح اللمع[1] وغيره من أكياس العلماء

كيف يعتمد على فتوى من يتظاهر بالفسق في هذه الأعصار بترك التمييز في الطعام والشراب واللباس والكسب، لا يبالي من أي وجه يدخل عليه الدرهم، وفي أي شيء يخرجه.؟ فهذه وأمثالها واحدة منها؛ تسقط العدالة، فإذا سقطت العدالة؛ تعذر الاعتماد على من يتعاطى ذلك في الشهادة والرواية والفتوى. ذكره الإمام أبو حامد الغزالي [2] رحمه الله تعالى في باب استقبال القبلة، من الجزء الثاني من كتاب الأحياء.

---

(1) صاحب شرح اللمع هو: أبو إسحاق الشيرازى: صاحب المهذب والتنبيه، وتكرر في الروضة. هو الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن على ابن يوسف بن عبد الله الشيرازى وله ترجمة وافية سناتي عليها وهو كتاب مطبوع وقد شرح اللمع عدد من العلماء منهم: الباقلاني، أبو بكر (338 – 403 هـ، 950 – 1013م). . فقيه بارع، ومحدث حجة، ومتكلم على مذهب أهل السنة والجماعة وطريقة الأشعري. انتهت إليه رئاسة المالكية بالعراق في عصره، وقد قال ابن كثير في البداية والنهاية: كان الباقلاني لا ينام حتى يكتب عشرين ورقة في كل ليلة مدة طويلة من عمره. ومن هذه المؤلفات الكثيرة التي كتبها الباقلاني: شرح الإبانة؛ شرح اللمع؛ الإمامة الكبرى والإمامة الصغرى؛ التبصرة بدقائق الحقائق؛ أمالي إجماع أهل المدينة؛ المقدمات في أصول الديانات؛ إعجازالقرآن؛ مناقب الأئمة؛ حقائق الكلام؛ التعريف والإرشاد؛ التمهيد في أصول الفقه؛ المقنع في أصول الفقة؛ كتاب في الرد على الباطنية الفاطميين، سماه: كشف الأسرار وهتك الأستار؛ تمهيد الأوائل وتلخيص المسائل. توفي ببغداد.

الباقولي، أبو الحسن نور الدين (؟ – نحو 543هـ).نحوي ضرير ذكره أبو الحسن البيهقي في كتاب الوشاح فقال: "هو في النحو والإعراب كعبة، لها أفاضل العصر سدنة.." وله من التصانيف: شرح اللمع، كتاب كشف المعضلات وإيضاح المشكلات في علل القراءات، وكتاب " شرح الجمل " في النحو، سماه " الجواهر في شرح جمل عبد القاهر "، وكتاب المجمل، وكتاب الاستدراك على أبي علي، وكتاب البيان في شواهد القرآن، وكتاب "الكشف في نكت المعاني والاعراب وعلل القراءات المروية عن الائمة السبعة". الوافي بالوفيات – الأعلام للزركلي – معجم المؤلفين لكحالة.

(2) قال ابنُ النجار: أبو حامد إمامُ الفقهاء على الإطلاق، وربَّانيُّ الأمة بالاتفاق، ومجتهد زمانه، وعينُ أوانه، برع في المذهب والأصول والخلاف والجدل والمنطق، وقرأ الحكمة والفلسفة، وفهِمَ كلامهم وتصدَّى للردَّ عليهم، وكان شديدَ الذكاء، قويَّ الإدراك، ذا فطنة ثاقبة، وغوص في المعاني. سير أعلام النبلاء . 335/119.

– نجد له وصفًا لحال الفناء ومن الذين أختصم الله بهذا المقام يقول رضي الله غنه:

فانكشف الرين[1] عن أبصار بصائرهم حينئذٍ تجلى لهم صفات معاني ربوبيته من سرادق جلاله في حضرة قدسه، ورياض أنسه، وبساط الانبساط، أخرجهم الدَّهَش عند تجلي صفات معاني ربوبيته، عن الأمر المرسوم، والحد المحتوم في حق من جذبته يد العناية من خواص المقربين، من الملائكة والأنبياء والمرسلين، وأهل الاختصاص من الأولياء والشهداء والصديقين.

– فرق ﷺ بين المشاهدة والرؤية فقدم توضيحًا يبين ذلك فقال:

فإذا رجع إلى عالم الحس والمحسوس: غاب عن تلك الحضرة إلى المحسوسات، وهو عين الحجاب. وإنما رجوعه إلى هذا العالم الكدر؛ من جميل رحمة الله تعالى بخلقه حتى ينتفع بالنظر إليه، واستهداء الدعاء منه.. فهذه الحالة تسمى مشاهدة لا رؤية؛ لأنها من وراء ستر رقيق، وإنما هي بدور الرؤية في الآخرة.

يرى عدم الالتفات للكرامات خصوصًا في البدايات، قال ﷺ:

(وتوبة خاص الخاص: من الالتفات إلى ما يستقبله في هذا السفر من أنواع الكرامات، حتى لا يعوقه التنزه في ذلك العالم؛ كلما انتهى إلى موقف طلب ما هو أعلى منه.. فإذا تناهى به السير إلى الغاية القصوى تاب إلى الله تعالى من الالتفات إلى الأكوان).

– رسم لنا الكتاب صورة واضحة عن التصوف الإسلامي حتى القرن السابع الهجري. وظهر جليًا في مصنَّفه هذا منهج السلوك المتبع لدى مشايخه ومعاصريه في اليمن خلال عصره.. وهو لا يختلف عن منهج أئمة أعلام التصوف الإسلامي كالطوسي والجنيد والغزالي وعبد القادر الجيلاني رحمهم الله جميعًا والذي يقوم في الأساس على الترقي في

(1) الرين هو الصدأ لأنه يعلو المرآة أو السيف وقد ران أي قد غلب عليه الصدأ، وقد وردت في قوله تعالى: {كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون} المطففين: آية:14. معجم ألفاظ القرآن الكريم ج 1 ص: 511مجمع اللغة العربية.

الأحوال والمقامات[1] وهو امتداد لمسيرة حافلة لأعلام التصوف السني حتى بلوغ ذروته في اليمن خلال عصره.

قال الجنيد رحمه الله تعالى: (لا يبلغ العبد إلى حقيقة المعرفة وصفاء التوحيد حتى يعبر الأحوال والمقامات)[2]. ويذكر القشيري وغيره من علماء التصوف " أن شرطًا ضروريًا على العبد ينبغي مراعاته، وهو ألا ينتقل من مقام إلى مقام آخر مالم يستوف أحكام ذلك المقام"؟!.

ولا يصح ـ في عرف أهل الطريق ـ الانتقال من مقام حتى يحقق العبد المقام الذي قبله، فمن أشرقت بدايته أشرقت نهايته.

والكتاب فيما يبدو أنه من إملاءاته على تلاميذه يظهر ذلك من خلال العبارات الدالة الآتية:

1 – وسأله سائل عن هذه المسألة: عن قوله ﷺ: "من قرأ يس حين يصبح حفظه الله وأهله وماله إلى المساء، ومن قرأها حين يمسي حفظه الله وأهله وماله إلى الصباح".

فإذا قضى الله على ذلك القاريء في ذلك اليوم هل يغلب حكم القرآن على حكم القضاء، أو حكم القضاء على حكم القرآن.؟

---

(1) قال ابن تيمية (ت 728هـ) عن المقامات والأحوال (وهو المعاصرين لشيخنا الزيلعي يرحمهما الله تعالى): ((إعمال القلوب التي تسمى المقامات والأحوال، هي من أصول الدين وقواعد الإيمان، مثل محبة الله ورسوله، والتوكل على الله، وإخلاص الدين له، والشكر له والصبر على حكمه، والخوف منه، والرجاء له، وما يتبع ذلك ـ كل ذلك واجب على جميع الخلق المأمورين بأصل الدين باتفاق أئمة الدين)) أمراض القلب وشفاؤه: شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، ص 36، المطبعة السلفية القاهرة، ط2.

وجاء في مقدمة ابن خلدون (ت808هـ)عن الأحوال والمقامات أن "المقامات لا يزال المريد يترقى فيها من مقام إلى مقام إلى أن ينتهي إلى التوحيد والمعرفة التي هي الغاية المطلوبة للسعادة.. فالمريد لا بد له من الترقي في هذه الأطوار، وأصلها كلها الطاعة والإخلاص ويتقدمها الإيمان ويصاحبها، وتنشأ عنها الأحوال والصفات نتائج وثمرات، ثم تنشأ عنها أخرى وأخرى، إلى مقام التوحيد والعرفان، وإذا وقع تقصير في النتيجة أو خلل فيعلم أنه إنما أتى من قِبَل التقصير في الذي قبله ـ أبن خلدون المقدمة،طبعة دار الشعب ص439 .440.

ويقول أبن خلدون أيضًا:فأما الكلام عن المجاهدات والمقامات وما يحصل من الأذواق، والمواجيد في نتائجها ومحاسبة النفس على التقصير في أسبابها فأمر لا مدافع فيه لأحد وأذواقهم فيه صحيحة والتحقق بها هو عين السعادة": مقدمة أبن خلدون: ص 448.

(2) الطوسي ـ اللمع ص 436

فغضب من المسألة وحكمها، وقال: سألتني أيها الأخ الفطن، والباحث المتقن، جعلك الله ممن يتبع منار الدين، ويتنزه عن أدناس من ليس له يقين، عن حديث سيد المرسلين وقائد الغر المحجلين مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم، وعلى اله أجمعين إنه قال: "من قرأ يس حين يصبح حفظه الله وأهله وماله إلى المساء...إلى آخر ما قال ﷺ.

أبدع الشيخ أحمد بن عمر الزيلعي صياغة تجربته التصوفية نلاحظ ذلك من خلال استخدامه الأمثل لجماليات اللغة ومحسناتها البديعية الأخاذة، لقد نثر دررًا من الحكم الإيمانية الربانية اشتملت على دقائق التوحيد بقالب جذاب يقوم على المعنى العميق بعبارات رمزية دقيقة لطيفة دالة على ذوقه العرفاني الرفيع رحمه الله. تعالى وأصبغ علينا من بركاته. فعندما تقرأ نصًا نثرًا كان أم شعرا فإننا نتلمس مواطن الجمال فيه. لكنَّ نصوص حقائق أهل العرفان تستحكم بكل جوارحنا وتبعث فينا روح الإيمان والنشاط الذهني لتجد نفسك بين أكداس من الصور الجمالية المرصعة بجواهر الحكم وأيما وجهة وليت وجهك ستجد روعة التصوير وبراعة الخيال وتحليل المشاعر بميزان ذوقي عرفاني يغوص بين أدق الدقائق فينتزع من نياط القلب كل شائبه ثم يجري لها ما يلزم من علاج سواء كان ذلك ترغيبًا أو ترهيبًا ووعيد.

وما دمنا أننا مع أهل الأذواق الحقائق عموما.. لنتذوق نموذجًا من هذه النصوص كمثال:

قال الشيخ الزيلعي رضي الله عنه:

أخواني: من أفرد الله في باطِنه؛ تنزهت جوارحه عن معاصيه، ومن خافه هرب منه إليه. ومن توكل عليه لم يركن في ضميره إلا إليه، ومن آثره أعرض عمن سواه، ومن أحبه تلذذ بما ابتلاه، ومن أطاعه لم يبِع آخرتهُ بدنياه.! يا مشدُوه[1] الذِهن، يا عنّين الفِطنة، يا مشحونًا

---

(1)شده الرجل شدهًا إلخ » جاء المصدر محركًا وبضم أو فتح فسكون كما في القاموس وغيره فهو مَشْدُوهٌ دُهِشَ. لسان العرب ج 13ص506

بوساوس الدنيا، يا من همته بهيمية؛ لم تنتج سعادةً أبدًا، أين همتك العُلوية: ارحل بمطية همتك إلى كعبة جمعِيتك وإلي مِنى المنى ومشّعَرِ[1] الأشعار وعرفات العرفان، فإن أردت أن يكون قلبك محل نظر مولاك؛ فكنس زواياه من الشك والشرك والريب[2] والحيرة، واغسله بماء الثقة به، وطيبه بطيب مِسك عرف أنفاس أولي العزم، وأجله بمداوس الخوف والحذر، وحله بالذكر الصادق والفكر، واسرج عليه سرج الأدلة، وانصب عليه سرير المحبة، وافرش عليه فرش الذلة والافتقار، واجلس عليه سلطان التنزيه والتعظيم، واجعل على رأسه تاج الوقار، وعلى بَدَنهِ حُلةُ الفناء، وعلى جبينه إكليل الحياء، وأقِم على بابه حاجب الورعِ الصارِف عن رؤية الأكوان المميز بين الحق والباطل. إنتهى

نلاحظ البراعة في التصوير وإتقان توظيف جماليات اللغة لتوصيلها للسالك بكل سلاسة وصفاء وكأن المتلقي ما بين ركوب مطية راحلا إلى الكعبة المشرفة ومنى والمشاعر المقدسة.. ثم كنسٌ لزوايا القلب وغسّلُهُ وتطييبه واسراج سُرُج فيه ونَصْبُ سرير ووضع فرش عليه وإجلاس سلطان عليه مع وضع تاج على رأسه وحُلَةٍ على بدنه وإكليل على جبينه وإقامة حاجب على بابة والشاهد من ذلك كله هو التحصن من الافتتان بزخارف ومغريات الدنيا والتمييز بين الحق والباطل.

وهذا النص في الحقائق يمثل نموذجًا للخطابة في العصر الرسولي في اليمن نلاحظ النص التالي

مثال مما نقل عن الشيخ إسماعيل الحضرمي صاحب الضحي المتوفى في سلخ القرن السابع سنة ست وتسعين وستمائة

ففي ترجمته عند الشرجي في طبقات الخواص، قال وكان للفقيه إسماعيل الحضرمي نفع الله به كلام في الحقائق مشهور مدون، من ذلك

(1) المشعر جبل في آخر المزدلفة

(2) الريب: جمع ريبه وهي الشبهة.

قوله: البدار البدار دع التعللات، فالطريق واضح، والباب مفتوح، وليس على الباب حجاب.

وقال أيضًا: إن أحببت مزاحمة الرجال "فاعدي عدوّ لك نفسك التي بين جنبيك"، فخذ بقوامها الأربع وارمها عجلًا إلى مذبح القربان، وامرر بسكين عزمك الماضية على أوداجها الطاغية، وأسل دم الشهوات ودعها تضطرب في دمها ولا تأخذك بها رأفة في دين الله عسى أن تكون من المفلحين.

وقال أيضًا: خذ بقوام ذبيحتك واصرعها على تراب الذل ووجها قبلة مخالفة النفوس، وامرر بسكين العزم على حلقوم حب الدنيا وكبر تكبير مفارقة أعراض الدنيا وأسل دم الشهوات، وقل إني ذاهب إلى ربي سيهدين.

وبالمجمل يعرض كتاب ثمرة الحقيقة.. الطريقة التي يطبقها رجال التصوف للوصول إلى رضاء الله تعالى ومعرفته، بمنهج عملي؛ ما هو إلا تطبيقًا لكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وبأصحابه الكرام رضي الله عنهم جميعًا ولكنهم ساروا على نهج الرسول الله ﷺ قولًا وعملًا وأخلاقًا.

إزدان الكتاب بعدد من الخطب الرائقة منها هذه المقدمة التي تتحدث عن جمال بيانها وسلاستها وغزارة معانيها:

(بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي ابتدع العلم بقدرته.. وجعلهم أطوارًا.

وميزهم بحكمته فريقين: منهم من (طبعه)[1] شقيًا في الأزل.. فمات مكتسبًا أوزارا.

ومنهم من تداركته يد العناية الأزلية فأخرجته من ظُلَمِ الغواية.. مجددًا أوقاته توبةً واستغفارا.

هذه قسمة الله تعالى بين عباده في سابق علمه فضلًا وعدلًا في حكمه وما جارا.

---

(1)في (ت) طبع.

وجعل أزِمّةَ القلوب بيد قدرته قهرًا..يقلبها في اليوم كيف يشاء مرارا.

سبحان من جعل الوجود بأسره بندرًا جامعًا لجيوب بدائع جواهر الأسرار وجعله منارا.

وجلَّى عروس الكائنات على أبصار اللّاحظين لجمالها، لمن أمعن النظر فيها، تأملًا وافتكارا.

وأحيا بوابل ذكره بالقلوب المهذبة بتربية العلم النافع حتى ربت كفى بربك عزًا وافتخارًا.

وسقاها من خُمُرِ القدس بكاس الحب، معتقة عقارا.

يميل بها الوجد من فرط الحب تارة يمينًا وتارة يسارا

مهما بدا حسنه جمالًا خضعت لهيبته القلوب ذلة وافتقارا.

وإن تجلى جلالًا أفنى معالمهم ولم يدع للديار آثارا.

أودع نجائب صدور أحبته من مكنون جواهر الغيب علمًا وأسرارا.

لما تجلى بحسن صفاته حجب لطائف الأرواح المستعدة عن درك حِمى ذاته إدراكًا وإبصارا.

وقَصُر فصيح اللسان عن نعتِه، لقصوره عن إدراك حقيقة أمرِه، فلم يستطع عنه إخبارا.

وجعل خزائن القلوب لقبول أطيار جواهر أسراره أوكارا

وجعل العقل السليم المتجرد عن التعلق بزخارف ما يُغني بريدًا إلى إقليم الوجود مترددًا سيارا.

لقراءة أسطر المعاني المثبتة بقلم القدرة الأزلية في طيه مقتبسًا أنوارا.

واستوفى هموم أحبته حتى صارت همًا واحدًا؛ فهم غرقى في بحار معرفته ناعمين بلذاذات مناجاته فلم يطيقوا عنه اصطبارا.

يُطافُ عليهم بكؤُس خمور الحب في مقاصير الأنس خمارا.

وأفناهم عن إياهم فلم يبق لهم أثرا أصبحوا قتلى بحب الله حيارى.

متلذذين بنعيم شهود جلال كبريائه متحفين بقربه للحبيب جوارا.

آمنين من فزع خوف القطيعة مسترقين له ومن رق الأغيار أحرارا.

محبورين لا يحزنهم خوف الفراق ولو إلى الفراديس في ظل قدسه سُمّارا.

بل مطمئنين في رياض حضرته، لا يبغون عن جواره جورا.

والبسهم خلع الكرامة من فيض جوده، وزادهم عزًا ووقارا.

واشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إلاهًا منفردًا بوحدانيته قهارا.

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله المجتبى، الذي أرسله رحمة للعالمين منارا.

ﷺ وعلى إخوانه النبيين والمرسلين صلاة دائمة على مر الدهور ليلًا ونهارا،

وعلى آله وأصحابه إذ كانوا له حزبًا وأنصارا.. أما بعد:) إ.هـ

الحكم

سوف يجد القارئ الكريم المتأمل بذهن ثاقب أن كتاب الشيخ الزيلعي ﵁ مرصع بجواهر حكم قل مثيلها وعز في زماننا وجودها، اعتنى فيها بالمحسنات اللفظية ذات إيقاع وجرس موسيقي مطرزة الرمز والتشبيه والاخيلة التي تصور المعنى وتجسمه وتبرزه في اجمل صورة، مقابلة وجناسًا وسجعًا، مستمطرًا ملكاته الروحية وتجاربه الذوقيه لاجتذاب أرواح المعاني بأقصى درجات الفصاحة والبلاغة والبيان بعد خوض شيخنا الزيلعي ﵁ تجربته الذوقية سلوكًا ومجاهدة وتربية وخطابة وفتيا. ولهذا ثبت يقينًا أن عالم المشاهدة يبدأ بالذوق وينتهي إللى الحكمة العقلية وهي النور الذي يقذفه الله تعالى في قلب العارف وهكذا يصل الباحث بالعقل عن حقائق الإيمان رحم الله شيخنا العارف بالله أحمد بن عمر الزيلعي ونفعنا بما سطره في هذا المؤلف.

"نموذج من حكم الشيخ أحمد بن عمر الزيلعي"

الحكمة الأولى

كل ما التفت إليه القلب، فهو محبوب، وكل محبوب معبود دونه. قال الله تعالى: {**أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاه**.. }[1]

الحكمة الثانية

العاقل من عقل عن الله أمره فآثره، واشتغل قلبه بطلب ما يفوت؛ بفوائد السعادة الكبرى وهو النظر إلى الله تعالى بواسطة مصنوعاته.

الحكمة الثالثة

لا تكن محجوب النظر عن تلمُح الكائنات بعين الفكر وما أودعته يدُ الأقدار فيها من الآيات والعبر.

---

(1) سورة الجاثية: الآية23

الحكمة الرابعة

الرشد[1] تعلق الهمم بالمعاني الباقية

الحكمة الخامسة

الظلال تعلق القلب بالأمور الفانية.

الحكمة السادسة

إياك أن تغتر بلمع سراب دار الحدثان؛ فإنه لمعٌ غرّار خداع للقلوب المتعلقة بشهوات الدنيا.

الحكمة السابعة

لولا كدورات الشهوات في القلوب لظهرت عجائب الغيوب.

الحكمة الثامنة

لولا حظ باق في النفوس لغبت عن عالم الحس والمحسوس ولولا العلل لبرزت العبر.

الحكمة التاسعة

رَمْيُكَ سِهَامَ اللحظات إلى المِحْظُورَاتِ تعقبك ترادف الحسرات.

الحكمة العاشر

عواقب اللذات يلقيك في مطامير الهلكات.

الحكمة الحاديه عشر

فارِق بلد عادتك وارحل بمطيةِ[2] همتك إلى موطن قلبك ومألوف سرك، وفارق أبناء جنسك من عالم حسك، وارتق بمهمتك إلى عالم قدسك، ولا تجعل يومك كماضي أمسك.

الحكمة الثانية عشر

لا تكن محجوب النظر عن تلمُح الكائنات بعين الفكر وما أودعته يدُ الأقدار فيها من الآيات والعبر.

---

(1)الرَّشْدُ: نقيض الغيّ والظلال. أو الإستقامة على طريق الحق مع تصلب فيه.

(2)المطية: الدابة يُركب ظهرها والجمع مطايا ومطيّ.

الحكمة الثالثة عشر

يوم الحسرة والندامة يوم تُبلى السرائر وتكشف الضمائر

الحكمة الرابعة عشر

عليك بالتوكل فانه من أخلاق الموقنين، وراحة المريدين، وعمدة الزاهدين، ولن يتوصل العبد إلى ذروة الإيمان إلا بالتوكل على الله"

الحكمة الخامسة عشر

صحة التوكل الخروج عن رؤية العلة والسبب وطرح الأذى عن نفسك بالكلية بالاعتماد على الله، والإعراض عن رؤية الوسائط، وترك التمييز في الحالتين بطمأنينة القلب من الاهتمام، وسكون الحواس من الاضطراب.

الحكمة السادسة عشر

انظر إلى جريان مياه الأقدار من خلجات وسائط مصنوعاته بالمكاره والمسار.

الحكمة السابعة عشر

ازهد فيما في أيدي الناس؛ يحبك الناس، ولا تجعل حظك من الزهد قناعتك بمحبتهم وقبولهم، واقطع طمعك باليأس من جاههم ومعرفتهم فانه الغنى. وإياك وحب المنزلة عندهم، فإنه سم قاتل.

الحكمة الثامنة عشر

ازهد في حظك العاجل والآجل، فإنه شعار الصالحين، ودثار المتقين، ودأب المريدين، وطريق الراغبين، وعلم المستبصرين، وأخلاق الموقنين.

الحكمة التاسعة عشر

إن أعز الجهاد مجاهدة هواك.

الحكمة العشرون

أشرف الهجرة هجرة ما نهاك الله عنه.

الحكمة الحادى والعشرون

صيانة العمل أن تترك القال والقيل.

الحكمة الثانية والعشرون

السعيد من سعد بما هو سبب شقائه، والشقي من شقي بما هو سبب فوزه

الحكمة الثالثة والعشرون

"الشرف مقرون بالطاعة والعز والكرم ميراث التقوى"

الحكمة الرابعة والعشرون

"الوضيع من وضعته مخالفته:

الحكمة الخامسة والعشرون

الراحة الكبرى انقيادك لوفق أحكام الربوبية

الحكمة السادسة والعشرون

– إن أردت أن تعرف منزلتك عند الله؛ فاعرف منزلته عندك. فانه ينزلك حيث أنزلته

الحكمة السابعة والعشرون

إياك إن يغرك الشيطان بترهات البطالين، وفاسد تأويل المغترين، فمن المحال المتعذر أن تحصد مالم تزرع.

الحكمة الثامنة ولعشرون

الاجتباء عناية، والهداية سعاية

الحكمة التاسعة والعشرون

من تفرغ وانتهض لقضاء ما عليه وأخذ صارم عزمه وقطع به أوصال علائقه وعوائقه؛ فانه عدل في قضائه، قاهر لشيطانه قامع لأعدائه.

الحكمة الثلاثون

كل ما التفت إليه القلب، فهو محبوب وكل محبوب معبود دونه، قال الله تعالى: {أفرأيت من اتخذ إلهه هواه}.

الحكمة الحادية والثلاثون

العاقل من عقل عن الله أمره فآثره، واشتغل قلبه بطلب ما يفوت؛ بفوائد السعادة الكبرى، وهو النظر إلى الله تعالى بواسطة المصنوعات.

الثانية والثلاثون

ميلك إلى خوادع الآمال ينسيك سرعة الآجال.

الحكمة الثالثة والثلاثون

انخداعك بلامع السراب يقطعك عن الأحباب ويبعدك عن الجناب، فتصير طعمة لنار الحجاب، بدليل قوله تعالى: {**كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ**}. انتهى

وأخيرا كتاب "ثمرة الحقيقة ومرشد السالك إلى أوضح الطريقة" بين أيديكم فهنيئًا لمن عرف قدره، وأطلع على حقيقته واستنار بأنواره وتذوق منهجه، ورحم الله من صاغ حروفه واعتنى بنسخه وحفظها حتى وصلت إلينا.

رحم الله شيخنا الزيلعي ونفعنا بما سطر واصبغ علينا من بركاته ونفحاته أنه على ما يشاء قدير.. والحمد لله ربِ العالمين وصلِ الله على سيدنا مُحَمَّد وآله الطيبين الطاهرين.

ترجمة المؤلف

لعل أول من ترجم لسيدي سلطان العارفين الشيخ أحمد بن عمر الزيلعي العقيلي هو: البهاء الجندي ت 832هـ في كتابه الشهير السلوك في طبقات العلماء والملوك.الذي عاش في زمنه،ثم تلته تراجم، كان بعضها ينقل من بعض غالبًا لا يحدد المؤرخون تاريخًا لولادته لكن من المؤكد بعد مقارنة معاصريه أنه ولد في زيلع في الربع الأول من القرن السابع الهجري ثم انتقلُ إلى المحمول إحدى قرى الوادي مور من تهامة في اليمن وسنه سبع عشر سنه، وذكر البدر الاهدل في ترجمته في تحفة الزمن تاريخ سادات اليمن فقال (وتوفي عن نيف وسبعين سنة).

المصادر التي ترجمت له:

له تراجم كثيرة متفرقة في العديد من المصادر فمن أبرزها::

البهاء الجندي ـ السلوك في طبقات العلماء والملوك

الخزرجي ـ العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية

الشرجي ـ طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص

البدر حسين بن عبدالرحمن الأهدل ـ تحفة الزمن تاريخ سادات اليمن.

العباس بن علي الرسولي ـ العطايا السنية.

تاريخ المعلم وطيوط – مخطوط

إسماعيل بن مُحَمَّد الوشلي ـ نشر الثناء الحسن على أرباب الفضل والكمال من أهل اليمن.

إسماعيل بن مُحَمَّد الوشلي ـ إرهاف السيف السقيل لمن أنكر فضل السادة آل عقيل. طبع بتحقيق السيد أحمد بن علي الراجحي العقيلي.

الزركلي ـ في الأعلام

طراز أعلام النبلاء

الموسوي ـ نزهة الجليس

الزركلي ـ الأعلام

الكواكب الدرية، في تراجم السادة الصوفية: لعبد الرؤوف المناوي.

الأكوع ـ هجر العلم ومعاقله

أبي بكرالخال بن مُحَمَّد بن عيسى الزيلعي العقيلي ـ جزء ملتقط من كرامات سلطان العارفين.

معجم المؤلفين تراجم مؤلفي الكتب العربية

المقحفي ـ معجم القبائل اليمنية

مصطفى القسطنطيني ـ كشف الظنون

مصادر الفكر الإسلامي في اليمن

قلادة النحر في وفيات اعيان الدهر

أحمد بن علي الراجحي العقيلي ـ العقيليون في المحلاف السليماني وتهامة وفي اللآلئ السنية في الأعقاب العقيلية

وصدرت دراسة حديثة في مجلة البحوث والدراسات العربية العدد 12 – 14لسنة 1985م جاء فيها: (وكان أبو العباس من العباد الصالحين ومن الأولياء المقربين، عرف بمجاهدته وزهده، وكان عالم بحث وتخصص في علم الحقائق وله في ذلك مصنف حسن سماه كتاب ثمرة الحقيقة ومرشد السالك إلى أوضح الطريقة ويبرز في المؤلف عمق عالمنا وتمكنه من موضوعه الذي ينشر فيه الحقيقة. وعنوان الكتاب دليل قيمته وحديثه، فهو تراث خالد اعتمد المنطق والعقل وقوة البنيان، فهو ينير الطريق بمنهجه الجاد وأساسه الموضوعي. ا.هـ

اسمه ونسبه:

أسمه: أحمد وكنيته: " أبي العباس ".

له عدد من الألقاب منها: سلطان العارفين – شهاب الدين ـ سر الأسرار ـ الفقيه ـ الأستاذ.

ويعرف بالزيلعي: نسبة إلى زيلع التي قدم منها وسنه سبع عشر سنة وعرفت ذريته "ببني الزيلعي" في وادي مور وسائر تهامة والحجاز

وغيرها..(و بلاد..الزيلع بإراضي الحبشة تحت حكم الخطي[1] ملك الحبشة وهم عدة بلاد معروفة تسكنها هذه الطائفة وهم المسلمون بذلك الإقليم ويتمذهبون بمذهب الحنفي والشافعي لا غير وينسبون إلى سيدنا مسلم بن عقيل بن أبي طالب وكان أميرهم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم النجاشي المشهور الذي آمن به ولم يره وصلى عليه النبي ﷺ صلاة الغيبة كما هو مشهور في كتب الاحاديث وهم قوم يغلب عليهم التقشف والصلاح ويأتون من بلادهم بقصد الحج والمجاورة في طلب العلم ويحجون مشاة ولهم رواق بالمدينة المنورة ورواق بمكة المشرفة ورواق بالجامع الأزهر بمصر وللحافظ المقريزي مؤلف في أخبار بلادهم وتفصيل أحوالهم ونسبهم)[2]

ونسبه:

أحمد بن عمر الزيلعي بن مُحَّد بن حسين بن ملكان بن عقيل بن حسين بن طلحة بن حسين بن سليمان بن حسين بن أبي بكر بن علي بن مُحَّد بن إبراهيم بن أحمد بن حسين بن علي بن أحمد بن عبدالله بن مسلم بن عبدالله بن مُحَّد بن عقيل بن أبي طالب - رضي الله عنه - الهاشمي القرشي[3]

موطنه:

اللُحِّية بوادي مور وبلاد البعجية التابعة لمحافظة الحديدة.

" فلمّا سكن سيدي الفقيه (اللُحيّة) نفعنا الله به ما شعر وهو جالسٌ في المسجد إلا وجماعة قد وصلوا وهم قضاة المحالب ومعهم بنت لهم تسمّا سلطانة أتوا بها هدية له نفعنا الله به وكان نفعنا الله به منكرًا

(1)الخطي: معناه بالعربية السلطان، المقريزي، الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الشام، لدى المحقق نسخة مصورة من المخطوط.

(2)عجائب الآثار 441/1

(3) السيد أحمد بن علي الراجحي. اللآلئ السنية في الأعقاب العقيلية: ج1ص136.

للنساء..فحملت بسيدي إبراهيم بن أحمد نفعنا الله به وحملت بسيدي عبدالقادر بن احمد نفعنا الله بهم أجمعين" [1]

شيوخه:

الشيخ الولي أبو حسان المكنى بأبي العذب الأشعري:

كان أول إقامة الفقيه أحمد بن عمر الزيلعي معه في مسجده يتعلم القرآن والشيخ كهل كامل كما سيأتي في ترجمته في تحفة الزمن للبدر الأهدل، فقال: [2](ومن وادي مور وهو ميزاب تهامة الأعظم الشيخ الأجل الشهير أبو حسان والمشايخ بنو شيبة، فالشيخ أبو حسان هو الذي أسس الحزر والواسط وهو: الشيخ أبو حسان بن مُحَمَّد الأشعري من العرب الأشاعر، وأمه من بني حسان، وهم عرب من أسافل مور يسكنون الحسانية وسبب تاسيسه لهما أن أخواله بني حسان قتلوا قتيلا من الصَمّيين وكانوا يسكنون قرية تسمى الزريقية فحصل بينهم فتنة في هذا القتيل، فاستوهبه الشيخ أبو حسان منهم فقالوا: نهبه لك بشرط أن تسكن معنا، فقال: نعم.. فانتقل الشيخ بهم إلى موضع فقال لهم: أنتم هنا توسطوا في هذ الموضع وأنا أحزر لكم من ههنا فسمي الموضع الواسط [3] والحزر[4] لذلك، وأسس مسجد الحزر وهو الجامع المنسوب إلى بني شيبة، وهم من ذرية أخت الشيخ أبي حسان، وسيأتي بيان ذلك إن شاء الله تعالى. وعنه توارثوا الزاوية إذ لم

---

(1) السيد العلامة أبي بكر الخال بن مُحَمَّد بن عيسى بن أحمد بن عمر الزيلعي العقيلي. جزء ملتقط من بعض كرامات الزيلعي ص ١٣

(2) بدر الدين حسين بن عبدالرحمن الأهد صاحب أبيات حسين. تحفة الزمن تاريخ سادات اليمن. ج2 ص44 تحقيق، عبدالله مُحَمَّد الحبشي، مكتبة الإرشاد

(3)واسط: من المدن التهامية القديمة في وادي مور لها شهرة كبيرة خلال عهد الدولة الرسولية عرفت بواسط مور وواسط المحالب في بعض المصادر بنَّى فيها المظفر الرسولي جامعًا لازال قائمًا ويعرف بالجامع القحم بلهجة تهامة وهو معرض للهدم والإهمال. كانت مدينة مور تقع بجوارها حتى الحرب الأدريسية التركية فتعرضت مور لحريق هائل سنة 1336هـ اضطر أهلها للانتقال إلى واسط فغلب على الجميع اسم مور، وموقع مور في الأصل يعرف اليوم بالمشقاف.

(4) الحزز كانت زاوية للشيخ أبي العذب وقبره فيها وهي مجاورة لمدينة مور من الشمال الغربي وقد اندثرت اليوم.

يكن له عقب، لأنه لم يتزوج إلى أن مات إيثارا للانقطاع إلى العبادة وقيل أنه لم يكن له ذكر إلا مقدار ما يبول منه، وكان أخذه لليد من الشيخ الكبير مُحَمَّد بن أبي بكر الحكمي[1] حكمه ونصبه، وكان يقال: أنه أقام في مقام الغوثية[2] خمسًا وعشرين سنة أو أكثر، وكانت العشور والنذور إليه من تلك النواحي حتى وصلته من المخلاف السليماني، وكان أول إقامة الفقيه أحمد بن عمر الزيلعي معه في مسجده يتعلم القرآن حينئذٍ وهو شاب والشيخ كهل كامل، ومات في عشر الثمانين[3]. فخلفه في الزاوية ابن أخته وهو الشيخ أبوبكر بن مُحَمَّد الشيبي من بني شيبة أهل مكة من بني عبد الدار، وصل والده من مكة على اليمن زائرا فخرج من البحر إلى الخادر ساحل مور، ثم مر على الحسانية وكان صاحب كشف جلي، فمَرَّ بصبيان يلعبون الكرة، وفيهم أبو حسان صبي يومئذ، فمر يجري خلف الكرة فَحْدَّقه الشيخ مُحَمَّد ببصره، وكشف الله له عن حاله، فاستدعى به فمثل بين يديه، فَقَبَّل الشيخ مُحَمَّد يده ورأسه، وقال له: أنا ضيفك، فمضى به الصَّبي إلى بيت أبيه وعَرَّفه به، وأكرمه وأقام عنده ثلاثة أيام، وعقد معه الأخوة، ثم أراد الانصراف، فقال له الأشعري: قد صار بيننا هذه المعرفة أحب أن تقيم معنا تعلّم لي هذا الولد لله تعالى، فقال الشيخ مُحَمَّد: سمعًا وطاعة، فعلم الولد حتى حفظ القرآن، ودرس عليه مائة ختمة، ثم عزم الشيبي على الرجوع إلى مكة، فأراد الأشعري أن يسعى له في شيء من الدنيا، فكره الشيبي، وقال: ما عَلَّمته إلا لله تعالى، فعرض عليه زواج ابنته أخت

---

(1) الشيخ الكبير الشهير كبير الشأن ظاهر البرهان المبارك على أهل زمانه مُحَمَّد بن أبي بكر الحكمي اليمني نفع الله به نشأ في السلوك في بلده البمصبري بفتح الميم وسكون الصاد المهملة وكسر الباء الموحدة وقبل الألف راء بلدة من نواحي رحبان وبها قبر والده ثم انتقل إلى ذوال ثم إلى سهام وصحب بها الفقيه العالم الصالح المصلح مُحَمَّد بن حسين البجلي وأخذ خرقة التصوف القادرية عن الشيخ على الحداد وسكن مع البجلي في عواجة حتى مات هناك سنة إحدى وعشرين وستمائة.انظر..السلوك للجندي،تحفة الزمن، للبيدر الأهدل. . طبقات الخواص للشرجي.

2 نسبة إلى الغوث: وهو في مصطلح الصوفية: القطب حين ما يلتجأ إليه. ولايسمى في غير ذلك الوقت غوثا. المعجم:197.

3 بعد السبعمائة الهجرية. تحفة الزمن:44/2.

الشيخ حسان، وأقسم عليه بمعبوده أن يقبلها، ففعل، فعقد به وأدخله عليها فحملت، ثم سار إلى مكة، وَوَدّعه صهره وولده أبو حسان إلى البحر، وبَشَّره الشيبي بولاية أبي حسان، وأوصاه بامرأته إذا ولدت غلامًا سموه أبابكر، فتقدم الشيخ مُحَمَّد إلى بيت الله الحرام، وتوفي من سنته،[1] ولما ولدت امرأته سَمَّت ولدها أبابكر، وكبر مع خاله ورَبَّاه ونَصَّبه، فقام بالزاوية وظهرت أحواله وكراماته، ومات لسبعين سنة،[2] وله ثمانية أولاد صلحاء أخيار..)[3]

قال الشرجي في ترجمتة للشيخ أبي حسان: (ولم أتحقق تاريخ وفاته غير أن زمانه معروف بزمان شيخه الشيخ مُحَمَّد الحكمي وزمان تلميذه الفقيه أحمد بن عمر الزيلعي نفع الله بهم أجمعين).[4]

ومن مشايخه: الشيخ مُحَمَّد بن عبدالله بن عبد المحمود الحارثي.

نسبه في جد له كان فقيهًا كبيرا تفقه بموسى بن عجيل، وسمع على أبي عبدالله السلمي بمكة، وصنف كتاب الأربعين في الأذكار والأدعية، وتفقه به جماعة، منهم الفقيه أحمد بن عمر الزيلعي صاحب اللُحية، وأنتقل من بلده إلى بلاد الشرف، ثم إلى واسط مور، فدرس بها حتى توفي بها أو قريب منها، كذا رأيته بخط ابن المزجد، وقال الجندي وأمه من قرابة الفقيه علي بن مسعود، وكان فاضلا بعلم الفلك، استدعاه المظفر، وهو أمير بالمهجم، فوصله وابتنى له جامع واسط مور، فدرَّس به، وتوفي بواسط أو قريب منها، وبعض الناس، يقول إنما بُنِيَ لبعض بني الدليل.

---

(1) أي السنة التي حج فيها.

(2)أي أن وفاته كانت في أوائل القرن التاسع. والله أعلم.

(3)وللمزيد من تراجم بني الشيبي وارثي مقام الشيخ أبي حسان أنظر تحفة الزمن ص45. 46

(4) طبقات الخواص أهل الصدق والاخلاص ص 404

تلامذته:

لقد كان لجلوس الشيخ أحمد بن عمر الزيلعي ـ رحمه الله تعالى ـ للتدريس والوعظ والفتيا وملازمته لرباطه سبب لكثرة تلامذته وإقبال الناس عليه حتى انتقل إلى ربه.

وقد أورد البدر حسين بن عبدالرحمن الاهدل عددًا من تلامذته فقال:[1] (وكان أصحاب الفقيه أحمد بن عمر الزيلعي، جماعة استفادوا به وكانوا من الأولياء.

منهم: الفقيه الصالح العارف بالله تعالى عمر السكدول العبسي، كان من خواص أصحابه لا يكاد يفارقه، وكان من كبار الصالحين وله ذرية صالحون من أشهرهم: الفقيه أحمد بن المعلم بن المذكور..وكان عابدا صالحا صاحب كرامات ومعرفة بالطريقة، وله مكاتبات حسنة كتبها إلى الفقيه أسماعيل المقري أيام نظره في أعمال مور فاستحسن لفظه، فسأل عنه فعُرِفَ له فقال: هذا دُرَةً في فلاة. كان معاصرا للفقيه مُحَمَّد بن عيسى الزيلعي وكانت وفاته بآخر سنة ست وثمانين وسبع مائة.. والله أعلم.

ومنهم: أعني أصجاب الفقيه الزيلعي: سُمَيل بضم السين المهملة النزاري.

إبراهيم الشامي والفقيه أحمد الأدبع وسالم جد بني سالم؛ الفقهاء بالسالمية وهم: جماعة صالحون لا أتحقق تفصيل أحوالهم لكنهم مشهورون بالخير

ومن أصحابه مهنا البحر جد بني عجيل بالحادث واسمه أحمد بن يعقوب.

وبنو أيوب بخلب وبنو الأعوص وبنو الأعجمي والسيقل[1] كل هؤلاء من أهل خلب ونواحيه لا أتحقق تفصيل أحوالهم. ومنهم بنو

---

(1)تحفة الزمن ص84

الكاسية بالسين المهملة، والفقيه السيد مُحَّد بن مهنا والد الفقيه عبد الله المقدم ذكره). إنتهى.

ومن تتلمذ علية أحمد اللحجي وتكرر ذكره في: جزء ملتقط من كرامات سيدي سلطان العارفين شهاب الدين أحمد بن عمر الزيلعي، مخطوط:

روى شيخنا جمال الدين نفع الله به في الدارين أن الشيخ أحمد اللحجي رضي الله عنه كان شيخه الولي العارف بالله عفيف الدين عبدالله بن علي الأسدي نفع الله به ويده له فجرت المقادير على وفق التقدير أن الشيخ أحمد اللحجي وصل زائرًا لشيخنا سر الأسرار أبي العباس رضي الله عنه بعد وفاته وتقدمه إلى الله عز وجل وليس في الزاوية سوى أولاده الأئمة الأخيار نفعنا الله بهم أجمعين وكان القائم بها سيدي سلطان العارفين تقي الدين أبو بكر بن أحمد صاحب الخال الزيلعي وشيخنا الراوي مُحَّد بن عيسى يومئذٍ شاب وصحب اللحجي السادة المذكورين واتفق له لِسابِق العناية الأزلية أقبل عليه إقبالًا عظيمًا واستولى عليه استيلاءً كليًا ظهر عليه أثر ذلك ما ظهر وألبسه حالة عظيمة لم يكن سبقت من أول الأمر:

أنخها بالعذيب فذا النخيل ... فما بعد العذيب لها رحيل
وأين مجازها عن شيخ نجدٍ ... وعن هضاب حاجر يا خليل
فذا العلم الذي له ألقاه ... وذا والماء....والظل الظليل
وتلك خيام هند مشرقات ... وأهل مودتي فيها حلول
فمالي بعد هذا القصد قصدٌ ... ولا لي بعد هذا السؤل سؤل

إلى أخر ما ورد في المخطوط.[2]

---

(1)بنو الصَيْقَل: في بندر اللُحية بنوا الصيقل بفتح الصاد المهملة وسكون التحتية وفتح القاف آخره لام، وهم الآن القائمون بزاوية الشيخ أحمد بن عمر الزيلعي باللحية والأذان بالجامع. إسماعيل الوشلي، نشر الثناء الحسن، تحقيق إبراهيم المقحفي، ص154

(2)أبي بكر الخال بن مُحَّد بن عيسى بن أحمد بن عمر الزيلعي، جزء ملتقط من كرامات الشيخ سلطان العارفين شهاب الدين أحمد بن عمر الزيلعي، مخطوط ص180

ومِمن ذُكر من أصحابه قال الشيخ جمال الدين نفع الله به في الدارين[1] (أن الشيخ العارف بالله نور الدين علي بن العَطيني الساكن بحد الزيدية كان يصحب شيخنا أبي العباس ﷺ في أيام حياته حتى حصل له شيء عظيم وأمر جسيم من الإلباس من حلل الأحوال الباهرة وما زال ملازمًا صحبته المباركة وكان يتكرر إليه لزيارته في الاوقات الذي يكون فيها ذلك الأمر المقدر من الاجتماع الشافي الحاوي للإشارات والبشارات حتى أنه وصل على جاري عادته من الوصول تقدم ناحية بلد الشيخ أبي العباس وأزمع إليه سرعة النضر فقضى الله سبحانه بقضائِهِ بانتقال شيخنا سر الأسرار أبي العباس أحمد بن عمر الزيلعي إلى رضوانِهِ ومغفرتِهِ ورحمته ومقره في مقعد صدق عند مليك مقتدر فلمَّا بلغه خبر وفاته بكى بكاءً عظيمًا لما وجده وحزن حزنًا شديدًا حيث لم يتفق له حضور وفاته مع الحاضرين).. أنتهى ما رواه الشيخ جمال الدين.

بعد أن أضاف كرامات للشيخ علي العَطيني وقعت له في اللحية المباركة أثنا وصوله إلى الجبل المشهور المسمى أزرَامَا الذي هو حد اللحيّةَ من شرقها (هكذا وجدت اسم الجبل في المخطوط فضبطته كما وجد).[2]

أشهر علماء عصره:

عاش الشيخ أحمد بن عمر الزيلعي رحمه الله تعالى خلال الفترة الممتدة من الربع الأول من القرن السابع إلى السنة الرابعة من القرن الثامن الهجري سنة **704**هـ وبهذا فقد عاصر علماءِ النصف الثاني من القرن السابع..وفي هذا القرن نبغ جماعة من صوفية اليمن كان لهم الأثر في إبراز التصوف وإظهار هويته بين سائر الطوائف الأخرى في المجتمع اليمني وقد برز فيه خلال هذه الفترة الصوفي الجليل علي بن عمر

(1) المصدر نفسه، ص 185

(2) المصدر نفسه، ص 185

الأهدل وهو أول المتصوفين من هذا البيت الشهير بنوابغه وقد كان جده الأول قد انتقل من العراق إلى اليمن واستقر بها أما حفيده هذا فقد كان له شأن كبير وقد عني بأخباره كثير من المؤرخين ومن رجال من الصوفية في اليمن: عيسى بن إقبال الهتار كان صاحب مقامات وكرامات كثيرة وله في الإصلاح الاجتماعي الشيء الكثير توفي سنة **606**هـ. ومنهم:

أبو عبدالله مُحَّد بن أبي بكر الحكمي عرف بصاحب عواجة وقد وافقه في تصوفه الشيخ مُحَّد بن حسين البجلي حتى عُرفا بصاحبي عواجة. توفى سنة **617**هـ [1]... . الشيخ الصوفي الكبير بلغيث بن جميل ويلقب شمس الشموس كان أصله من الموالي وقد خرج مع رفقة له لقطع الطريق فوكله أحدهم أن يراقب قافلة قادمة فسمع هاتفًا يقول له يا صاحب العين عليك العين فوقع هذا الكلام في نفسه وكف عن قطع الطريق وقصته هذه تشبه قصة الفضيل بن عياض ثم التحق بالشيخ علي بن أفلح وحكمه في التصوف وهو أشهر صوفية اليمن في ذلك الوقت وقد جمع أحد تلامذته له مجلد رغم أنه كان أُميًا لا يجيد القراءة ولا الكتابة يقول الشرجي عن هذا الكتاب (وهو مجموع في قدر مجلد لطيف [2] وعندي نسخة منه)...توفي بن جميل سنه **651**هـ[3].

الصوفي الكبير أحمد بن علوان..كان أحد أولاد رجال الدولة وتحول إلى طريق الصوفية بسبب تأثير حادثة عجيبة وقعت له وهو من كبار مشاهير الصوفية في اليمن وأتباعه لا يزالون إلى الآن توفي سنة **655**هـ وله مصنفات كثيرة وديوان شعر

أحمد الجعد الأبيني ت **690**هـ

---

(1)انظر السلوك للجندي وتحفة الزمن للبدر الاهدل وطبقات الخواص.

(2) لطيف: بمعنى صغير ضد ضخم.

(3)أُنظر ترجمته في مرآة الجنان. لليافعي ج 4 ص 163 والجندي (مخطوط) والعقود اللؤلؤية ج1 ص107 وتحفة الزمن وطبقات الخواص للشرجي.

ابو العباس أحمد بن موسى بن عجيل[1] (ت **696**هـ وعند الخزرجي **690**هـ).

مُحَمَّد بن عمر بن أحمد بن حشيبر أخذ عن جماعة من علماء عصره منهم علي الخلي وغيره وسلك في التصوف فكان يتخلي في موضع بأسفل وادي سردد توفى سنة **718**هـ وقيل سنة **720**هـ

مناقبه وكراماته

للشيخ أحمد بن عمر الزيلعي العقيلي رحمه الله تعالى صفات حميدة ومآثر كثيرة، فقد اشتهر بالأحوال والكرامات حتى تواترت عنه ﷺ. لم يدخر الشيخ وقتًا إلا وأنفقه في العلم والجد، من تحصيل وتدريس وفُتيا، وتوجيه، ووعظ وإرشاد، وأحوال، ومقامات، وكشف، ومشاهدة، فكان العالم والزاهد، والعابد، والعارف.

ترجم له الجندي في "السلوك في طبقات العلماء والملوك" وذكر له مناقبه وكراماته ﷺ فقال:

(ومن الجهة [2] احمد بن عمر الزيلعي الجبرتي وشهر بصاحب المحمول نسبة الى مسجد على ساحل المحالب وكان فقيها كبير القدر شهير الذكر معروف بالعلم والعمل صاحب كرامات ومكاشفات. اخبرني الفقيه ابو بكر بن احمد بن عبد الله ابن مُحَمَّد الخلي قدم علينا الجند قال قدمت عليه زائرا فبينا انا عنده اذ قدم عليه جماعة يزورونه ومعهم دراهم فدخلوا بها فتحاله [3] فوضعوا بين يديه فجعل يقلبها بسواك في يده درهما درهما واخرج منها ثلاثة دراهم ردها على شخص وستة عشر درهما على اخر ثم امر الخادم بقبض الباقي فدخلني من ذلك عجب كثير ثم خلوت ببعضهم فسألته عن سبب رد الفقيه

---

(1) أنظر ترجمته في مرآة الجنان لليافعي والسلوك للجندي وطبقات الخواص. وتحفة الزمن. والفقيه الذي لم ينصفه التاريخ. وسلسلة بيوتات العلم. عبدالله خادم العمري

(2) جهة وادي مور من بلاد تهامة في اليمن.

(3) الفتح بالضم وسكون التاء المثناه من فوق ويقال لها الفتحة: وهي ما يقدمه الزائر بين يديه من هدية ونحوه وهي لغة عربية فصحى.

للدارهم التي ردها فقال ان الذي جئت بالثلاثة الدراهم وليست مني بل اعطيتها عجوز تحت يدها ايتام ولم يمنعها عن الوصول إلا خشية أن يعرفها الفقيه فيعيدها عليها قد جعلتها بين دراهمي فانتقاها الفقيه واخرجها بأعيانها كانه قد عرفها واما الستة عشر درهما فسئل عنها صاحبها وهو ذاك الرجل فأتيت الرجل الذي اشار اليه وسألته عن قصة الدراهم فقال هي من شيخ الصمّيين كان مرض له فرس ونذر للفقيه فلما شفي وعلم اني واصل اليه الى الفقيه امر بها معي لعلمه انه لو وصل بها لم يقبلها منه فلما اجتمعت بجماعة معهم دراهم فتحا ناولتهم إياها فخلطوا بين دراهمهم واخرجها الفقيه بأعيانها وأعادها إلي كما رأيت وسالت هذا المخبر عن سيرته فقال كان يخرج في الثلث الاخير من الليل الى المسجد فلا يزال مصليا تاليا للقرآن حتى الفجر فيركع ثم يصلي الفرض ثم يحرم بالذكر حتى تطلع الشمس ثم يركع الضحى ثم يقبل على اصحابه فيعظهم بالحكمة حتى يرتفع النهار ثم يقوم الى البيت فيدعو الناس للغدا فلا يزالون يتغدون فوجًا فوجًا حتى ينقطعوا عند الزوال ثم يتوضأ ويخرج الى المسجد فيصلي التحية حين يدخله فاذا ثبت عنده الزوال صلى الظهر بعد الاتيان بالسنن من اذان وصلاة ثم لا يزال مشتغلا بالتلاوة والذكر حتى يدخل وقت العصر كما فعل وقت الظهر الا انه متى صلى العصر اقبل على الناس يعظهم ويكلمهم بالحكمة كما فعل بعد الضحى ساعة ثم يذهب الى البيت ويستدعي الناس فيعشيهم حتى تصفر الشمس ثم يذهب الى المسجد فيصلي تحيته ويصلي المغرب حين تسقط الشمس ثم لا يزال فيه حتى يكون ثلث الليلة فيخرج ويفعل كما يفعل اولا ولم يزل ذلك دابه حتى توفي وكان لا يتكسب بحراثة ولا زراعة ولا دروزة ومتى علم بأحد من اصحابه انه دروز طرده وكرهه وتوفي بقرية على ساحل المحالب تعرف باللحية بلامين احدهما مضمومة مشددة وفتح الحاء المهملة والياء المثناة

من تحت مع التشديد ثم هاء ساكنة وذلك في المائة السابعة تقريبا ثم توفي في السنة الرابعة من المائة الثامنة بالقرية المذكورة).. انتهى ما ذكره الجندي.

وترجم له البدر حسين بن عبدالرحمن الأهدل في تحفة الزمن تاريخ سادات اليمن ونقل له كرامات ناقلا عن الشيخ ابي بكرالخال بن مُحَمَّد بن عيسى صاحب مصنف كرامات الشيخ الزيلعي وقد روى له عدة حكايات كتبها كما يذكر ذلك البدر في كتابه وما أورده من كرامات مسطرة مصنف الشيخ ابي بكر تفصيل أكثر وأجد ما ذكره البدر فيه الكفاية رحمهم الله جميعًا..فقال في ترجمته للشيخ الفقيه الزيلعي ما نصه:

وممن سكن الناحية الفقيه أحمد بن عمر الزيلعي ويعرف بصاحب اللحية والمحمول، يقال أنهم عقيليون كان أحمد هذا مشهورا بالعلم والورع والزهد والعبادة والكرامات خرج في أول شبابه فحصل شيئًا من العلم ويقال أنه تعلم القرآن في مسجد الشيخ أبي حسان الذي سبق ذكره صاحب الحَزَر وصحبه، وسنه يومئذٍ نحو سبع عشر سنه، وكان يتعبد ويتخلَّى في موضع يقال المحمول ويرجع إلى الحزر فلما مات أبو حسان، أقام بالمحمول مدة، ثم مرَّ به صيَّادون فأحسنوا به الظن ولازموه في الانتقال معهم إلى الساحل، فانتقل معهم على قدم العبادة والتجريد إلى الله عما سواه، فعشش بموضع اللحية باسم لحية الإنسان، وبنى مصلى موضع مؤخر المسجد.

ثم بعد ذلك أسس زاوية المحمول، وبنى مقدم المسجد، وهو بناء عجيب، ولم يرَ مثله في الناحية، وتزوج وكان أكثر أوقاته متخليًا معتزلا عن الناس في مواضع متعددة، منها جبل المشوف باللحية، وموضع قبلي اللحية اسمه بحيص بضم الموحدة أوله، والدُرُمة والأثْرمية بسكون المثلثة ودَمْسُك بضم الدال وسكون المثناة تحت والسين المهملة آخره

كاف. ومقيهر تصغير مقهر بالقاف والراء، وخوفان بفتح الخاء المعجمة وسكون الواو وفاء ثم ألف ونون.

وروى الثقة أنه جلس في مقيهر أشهر، ما رؤي مضجعًا، وكان يمكث الليالي والأيام لا يكلمهم ولا يطعم ولا يشرب، بل مستغرقًا في ذكر الله تعالى ومحبته، واجتمع معه نحو مائة فقير، ستون باللحية وأربعون بالمحمول، وكان قد تفقه في بدايته وطالع كتاب الأحياء للغزالي وغيره، وبرع في علم السلوك، وصنف كتابًا سماه ثمرة الحقيقة ومرشد السالك إلى أوضح الطريقة. ويقال أنه زار الشيخ أبا الغيث بن جميل في أول نشوئه وبشره الشيخ بظهور الولاية فيه، وله فتاوي على مسائل يقول فيها الجواب عند علماء الظاهر كذا وعند علماء الباطن كذا وعلماء الآخرة كذا وفي الشريعة كذا وفي الحقيقة كذا، وتوفي عن نيف وسبعين سنة وقبره في اللحية مشهور البركة كثير الزوار وكانت له كرامات كثيرة لا تنحصر، منها أنه وصل إلى المحمول، وقد أجدبوا خمس سنين، فعند دخول الفقيه جاءت بهيمة بين يديه فخارت، فدخل الفقيه المسجد، ودعا الله تعالى، ثم قال: يا ميكائيل كِل، فاجتمع السحاب، ومطروا مطرًا عظيمًا للفور، وكان أهل وادي مور يصحبونه فجاءهم وقد قحطوا، فلازموه في الوادي، فقال لفقير: اخرج إلى الوادي وقل له يقول لك الفقيه سِل الآن ففعل الفقير فسال الوادي من ساعته أو يومه وسقوا ورزقوا رزقًا عظيما.

وروى الشيخ العلامة ابي بكرالخال بن مُحَمَّد بن عيسى بن أحمد بن عمر الزيلعي، في مصنفه "جزء ملتقط من كرامات الشيخ سلطان العارفين شهاب الدين أحمد بن عمر الزيلعي" قال:

"ورويَ عنه نفعنا الله به أنه.. لما خرج على قدم التجريد للحج والزّيارة، فلمّا وصل يماني بيت عطا، خرج الشيخ أبو الغيث بن جميل متلقيًا لسّيدي الشيخ نفعنا الله به، فتعجبوا أصحابه واستعظموا ذلك من الشيخ أبو الغيث، كان قد له سنة على القعادة وهو غائب بالله عز

وجل، ويدخل الناس يزورونه ولم يكلمهم، وكان حينئذ لا يأكل ولا يشرب ولا يصلي فما رأوه إلا وقد قام الشيخ أبو الغيث وخرج في لقاء سيدي الفقيه شهاب الدين سلطان العٰارفين بالله وعٰانقه وقبّل بين عينيه وأتى به إلى البيت وأجلسه على قعادته وقال لفقيره فيروز: يا فيروز لا يكون لك معي معارضةً في سيدي الفقيه نفعنا الله به.. وكان الشيخ أبو الغيث يحمل الماء للفقيه فيغتسل ويحمل عنه المعيشة ويقوم بنفسه في حوائج الفقيه نفعنا الله به مثل ما يقوم الفقير بين يدي شيخه فأقام سيدي الفقيه عند الشيخ ابو الغيث ثلاثة أيامٍ وتقدم سيدي الفقيه إلى الشام فخرج معه الشيخ أبو الغيث وأصحابه للتودُّع [(1)] فبلغوا معه إلى شام القرية فودّع سيّدي وقبّل عينيه وكان الشيخ قائمًا في موضعه ينظر إلى الفقيه حتى غاب الفقيه.ثم انّ الشيخ ركب على تلٍ عال فكان ينظر إلى الفقيه حتى قام على إبهاميه فلمّا غاب الشيخ الفقيه عن نظره رجع الشيخ ابو الغيث إلى البيت فقالوا الجماعة لفيروز نخشى الشيخ يدخل البيت ويرجع إلى حال الغياب فأنت اسأله لنا عن حال هذا الرجل فقد رأينا عجبًا من كرامات سيدنا الشيخ له وموالاته له بنفسه دون غيره وسأله الفقير فيروز عن سيدي الفقيه نفعنا الله به فقال يا فيروز هذا الرجل اسمه أحمد بن عمر الزيلعي ما على الله بأكرم منه وله يوم القيامة لواءِ يعرف به وأكون أنا وانتم يا أصحابي تحت لوائه" [(2)]

(ومن مناقبه الشريفة ﵁ ما رواه شيخنا جمال الدين نفع الله به أن شيخنا سر الأسرار أبي العباس ﵁ لما تقدم في اليمن إلى السلطان الملك المظفر رحمه الله تعالى لبعض الحوائج فمر على سفره ذلك بالفقيه الصالح قطب الأولياء وتاج العلماء شهاب الدين الولي القطب الشيخ أحمد بن موسى عجيل نفع الله به فكتب الفقيه المذكور إلى السلطان

---

(1) التودع: كلمه دارجة تستعمل في تهامة والمعنى: للتوديع

(2)أبي بكر الخال بن مُحَمَّد بن عيسى بن أحمد بن عمر الزيلعي، جزء ملتقط من كرامات الشيخ سلطان العارفين شهاب الدين أحمد بن عمر الزيلعي، مخطوط ص

المذكور وهو يقول يا يوسف وصلتك هدية لم تصل إلى أحد إلى يوم القيامة وهو الفقيه أحمد بن عمر الزيلعي نفعنا الله في الدارين).[1]

ألا قُل لساري الليل تخشى ظلةُ فأحمد شيخي ضوء كل بلادي
فتًا سيدًا رُبِيَ على كل سيدٍ جواد حشا في وجه كل جوادِ

وقال أيضًا:

قومٌ علو فوق المعاني والذرى من واضح فيهم ومن وضاحِ
السابقين إلى علًا ومفاخرًا والغالبين على ندًا وسماحِ
شوس الحواجب مغضبين وفي الرضى ما شئت من بيض الوجوه صباحِ

وقال أيضًا:

قومٌ هم في الدّجى للناس أقمارُ وهم لمن هاجر الأوطان أوطارُ
وأين حلو يحل الخصب حومتهم كأنهم ملل قد قيل أمطارُ
صفوا ولا غرو أن تصفوا مشاربهم وفي الصافات للعشاق أسرارُ
يروي غليل الصبا عنهم صحيح هوًا من الشذا فهو قفال وعطارُ
هم الغيوث فإن تبصر هدا فبهم وفي الهدا ليس بعد العين إثارً
سلهم وسل عنهم إن كنت ذا وطرٍ فعندهم لذوي الحاجات أوطارُ

شعر في مدح اللحية.

أرضٌ بروضِ الندا مُخضرة أبدًا إذا ودَعتَ خضرا استخدم الخضرا
أرض بها الفضل والإحسان جوهره لا زال منتضمًا للوفد منتشرا
لا زال أحمدها بالمجد مفتخرا لَا زال أحمدها بالمجد متزرًا
شمس بدت من بدور المجد طالعة تستخدم الشمس طوال الدهر والقمرَا
أضحت بها غرر الإحسان واضحة أكرم وأوجب لشمس أوضحت غررًا.
في القدس صورهَا الباري وقدرها محجوبة جذبت آياتها صورًا
والصالحون لهم في غيرهم نظر وفي جميعهم قد أنفذوا النظرًا

أنتهى.. ما نقلته من المخطوط كما وجدته.[2]

---

(1) نفس المصدر ج1 ص139

(2) الشيخ أبي بكرالخال بن مُحَمَّد بن عيسى الزيلعي: جزء ملتقط من كرامات سلطان العارفين.

وصفه المحبي:[1] صاحب خلاصة الأثر في ترجمته لأحد العلماء من ذريته فقال: الشيخ أحمد السطيحة بن المقبول بن عبد الغفار بن أبي بكر بن المقبول تعيش الصائم رمضان في المهد ابن أبي بكر صاحب الخال الأكبر بن مُحَّد بن عيسى [إلى أن قال بعدها:] بن "أبي الأولياء سلطان العارفين بالله أحمد بن عمر الزيلعى صاحب اللحية الذي قال في شأنه الولي الكبير أبو الغيث بن جميل حين زاره وتعاطى خدمته بنفسه وقد سأل تلامذته عنه وعن سبب تعاطيه خدمته بنفسه دون غيره من اتباعه أنه ما على الله الآن أكرم منه وأن له لواء يعرف به يوم القيامة وأكون أنا وأنتم تحت لوائه الأمام العقيلى أحد أولياء الله تعالى الكبار الذين اشتهروا في سائر الأقطار فعمت بركاته".

قال عنه الشرجي في طبقاته: (وقبره يقصد للزيارة والتبرك، يأتونه من أماكن بعيدة، ويتقربون إليه ويتبركون به). وقال الأهدل في ذلك شعرًا:[2]

وكم ترى من وافدٍ للزيلعي — من كل فجٍ ومكانٍ شاسعِ
بالنقد والتمر والإطعام — والسمن والبخور والأنعام
إذا دعوا قالوا بحق الزيلعي — وحلفهم كذا لا والزيلعي

أولاده:

قال البدر حسين بن عبدالرحمن الأهدل في تحفة الزمن تاريخ سادات اليمن:

وله أولاد جماعة إبراهيم وعبدالقادر وعبدالرحمن وموسى وعيسى ومُحَّد [3] ومُحَّد وأبو بكر وعمر وعلي وكانوا صالحين أصحاب عبادة، وكرامات قام منهم بالزاوية، أبو بكر وظهر له أحوال وتصرف، حتى

---

(1) المحبي. خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر 228/1

(2) الأهدل: بهجة القلوب ص 19

(3) ذكره الامام شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني في إنباء الغمر بأبناء العمر فقال: مُحَّد بن عيسى بن أحمد الزيلعي نزيل اللحية من سواحل اليمن، ويعرف بصاحبها، كان يذكر بالكرامات ومكانه يزار الآن إنباء الغمر بأبناء العمر،243/2

قيل أنه زاد على والده، وكان يقيم باللحية أيامًا، وبالمحمول أيامًا، وكان وجيهًا، حكى أنه استوهب من بعض العرب، أربعة عشر قتيلًا، ولم ينزل عن دابته، وكان أهل الواسط، يلازمونه في الوادي، فيقول لهم، ارجعوا، ما تأتون إلا وقد سال الوادي، وأطعم من كف دقيق نحو ستين نفسًا، وحكى أن أخيه عمر أنه جاءه أنسان يشكو الفقر والعائلة، فقال له: امض إلى الجبل الفلاني ففيه كنز عليه عفريت، فقل له، يقول لك الفقيه: تنح عني حتى أقضي حاجتي فتنحى عنه العفريت، فقضى حاجته واستغنى، وكان يكاشف من همَّ بمعصية ويزجره. وحكي أن الفقيه، أحمد بكى يوم ولد ولده عيسى، وضحك، فقيل له في ذلك، فقال: علمت أنه يموت غريقًا، ثم أُعلمت أنه يكون له ولد اسمه مُحَّد بدايته كنهايتي، فات الولد عيسى غريقًا، ودفن بموضع يقال له النفج عند مهرمل في غربي سردد، وظهر ولده مُحَّد بن عيسى المشهور وسيأتي ذكره.

وحكي أن عبدالرحمن حج وزار، فأخبر عن بعض الخدام أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يرحب بك منذ ثلاثة أيام، وأن الفقيه، قال في عبدالقادر: من أراد أن ينظر إلى شاب من شباب الجنة، فالنظر إليه، وكان إذا طرقت الفقيه حالة لا يستطيع أن يدخل عليه أحد إلا هو، وكان في مدة حياته لا لازم في المطر إلا حصل، حتى كان يقال له، صاحب الماء. وكان إبراهيم، أكبر أولاده.

يحكى: أنه كلم أباه في صلبه، فقال له تزوج لنخرج، ومرض والده وأشرف فقال له: يا أبتاه تموت وتترك حملك، في ظهرك والله ما يكون هذا، فقال له: يا إبراهيم رضيت بهذا، فقال: نعم، فعوفي الفقيه، ومرض إبراهيم، وتوفى قبل والده. وأما مُحَّد ومُحَّد فكانا من الصالحين ولم يشتهر لهما كرامة ولا ذرية. وموسى، لم أعرف له كرامة، معينة.

وللفقيه أبي بكر بن أحمد، أولاد هم: عبدالله، ومُحَّد، وأحمد، وإبراهيم، كانوا صالحين، وكان الفقيه، مُحَّد بن عيسى، إذا زار قبر

إبراهيم، قال: الحمدلله على ما أعطاك يا إبراهيم، ويقول أنه صاحب سيفين، ولعبدالرحمن من الولد إبراهيم، موسى، وأحمد، وكانوا صالحين، عابدين، ويقال كان إبراهيم، يصحب الخضر ويرى النبي صلى الله عليه وآله وسلم كثيرًا. ولعلي بن أحمد سبعة أولاد هم: مُحَّد، وأحمد، وعيسى، وموسى، وداود، وإدريس، وأبو بكر، وكانوا صالحين، ولإبراهيم بن أحمد، ولد اسمه، أحمد..

قال جده فيه: ولدي أحمد هذا خلق من الوجد ويموت فيه[1]، فمات في السماع في المسجد، على نشيد أوله:

أهلا وسهلا بكم يا جيرة الحلل ومرحبًا بحداة العيس والكلل

عدتم فعاود في قلبي السلوّ بكم وعاد ما فات من أيامنا الأول

وولد لعيسى بن أحمد: مُحَّد بن عيسى المشهور، وكان من أهل المعرفة التامة المشهورة العظيمة، والأحوال الخارقة، والكرامات الظاهرة، على قدم من العباد، الورع الدقيق، بحيث أنه اشترى له حلوى من المهجم فوصلته إلى بيت حسين أو إلى اللحية، فوجد في قرص من الحلوى حبتي زبيب، فأمر الفقيه برد الزبيب، إلى صاحب الحلوى إلى المهجم وله أشباه هذا، وكان حسن الصورة مشرق النور. ومن: كراماته أن ولده إبراهيم، كان في ملعب ختان يبترع بالسيف،[2] فوقع السيف في عين الرجل، فخرجت، فحُمل إلى الفقيه فرد عينه بيده في موضعها، وبصق فيها فعادت كما كانت، وكان البناة يبنون مسجده المشهور باللحية، فسقط أحدهم من راس الجدار فانكسرت عنقه وقيل رجليه،

---

(1) أنشد الشبلي في مجلسه:

ذَكُرتُــكَ لاَ أَنِيِّ نســيتُكَ لَمْــحةً	وأيسَـرُ مَـا في الـذِّكْرِ ذِكـرُ لِسَـانِي
وكـدت بـلا وجـد أمـوت مـن الهـوى	وهـــام علـــيَّ القلـــبُ بالخَــفَقَانِ
فلمــا أراني الوجــد أنــك حاضــري	شــهدتك موجــودا بكــل مكــان
فخاطبــت موجــودا بغــير تكــلم	ولاحظــت معلومــا بغــير عيــان

الرسالة القشيريةص **61**.

(2) إحدى الألعاب الشعبية في تهامة مازالت تؤدي إليّ اليوم في الأعراس والمناسبات الأخرى.

فحمل إلى الفقيه فمسحها فاستقامت صحيحة قوية، فخرج يبني معهم، من يومه، ويقال من ساعته، واشتهر أن الفقيه أيام بناءه للمسجد والمدرسة، إنما كان يصرف من الغيب، لأنه ليس له مالًا ظاهر بل على قدم التجريد، وبناه بناءً واسعًا أكيدًا عجيبًا، قلّ نظيره، وسمعت ولده الفقيه أبا بكر بن مُحَّد، وهو صدوق يقول: إن الفقيه إذا كان في المسجد، يصرف من تحت السجادة، أو من كُمّه الأيسر، وفي البيت يصرف من الدواة، وكان لا يشكى عليه من قلة الماء، ويلازم في المطر، إلا أغاثهم الله تعالى في الوقت. ومن إنكاره المنكر، وتعظيمه للشريعة: أن بعض المتسببين جاء بأفيون فباعه في الزاوية على الذين يأكلونه، فعلم الفقيه، فغضب، فمات البايع ومن اشترى منه على قرب، ووصلته جارية، من جواري الملوك من أمهات المجاهد أيام قبض عليه بمكة تلازمه في فكاكه، وكانت قد وصلت إلى الفقيه أبي بكر بن مُحَّد أبي حربه، فقال: ما تنقضي حاجتك إلا على يد الفقيه مُحَّد بن عيسى، فوصلت إلى المحمول، فدخلت عليه، وهو على السجادة مستقبل القبلة، ومعها خمسمائة دينار فنثرتها بين يديه على السجادة، فقال لها: ما هذا ومن أن؟ فأخبرته، فوثب عن السجادة وخرج إلى المسجد مغضبًا وقال للفقير أخرج السجادة من بيتي وأغسلها وغيبها عن عيني، فقالت لها أم الفقراء: لم فعلت هذا من غير مشاورة علي. قالت: فما يرضي الفقيه عنِّي، قالت: أحملي الختمة، على راسك الرضى فإذا رضي فاذكري له حاجتك، ففعلت ذلك، ووعدها الفقيه فكاكه، وأرخ ذلك الوقت فافتك فيه، والله أعلم.

وكانت وفاته على الحال المرضي، سنة ثمان وثمانين وسبعمائة، في ذي القعدة.

وللفقيه إبراهيم بن أبي بكر بن أحمد، ولد اسمه أبوبكر، وهو القائم بالزاوية المحمول الآن، وهو رجل صالح متمسك، بالقرآن قليل المخالطة بالناس، كثير الملازمة في المسجد، والجماعة، مجانبًا للأدناس

ولأشغال الدنيا، وهو حي إلى الآن. وله أخوان صالحان: أحمد، وعمر، وولد لإبراهيم بن عبدالرحمن، ثلاثة رجال، وهم: مُحَمَّد بن إبراهيم الأصم، وعبدالقادر، وعبدالرحمن، وكانوا صالحين.

وولد للفقيه مُحَمَّد بن عيسى جماعة، هم: أحمد، وإبراهيم، وأبو بكر وعيسى، وعمر، وعلي، وعبدالرحمن، وعبدالله، وعبدالغفار، وعبد الأول، وأبو القاسم، وعثمان.

وكان أحمد يُعرف بأحمد فقيه، كان من كبار الصالحين، وكان الفقيه أحمد الحرضي يرجحه على سائر إخوته، وكان صاحب ساحة واسعة، وكرم وخلق، ومن أولاده، مُحَمَّد بن أحمد، يصلِّي بالناس الفرائض، وهو خيّر، له اجتهاد في الطهارة، وكان إبراهيم، صالحًا عابدًا قارئًا للقرآن يصلي الصبح ويبتدئ الختمة، فما يقوم حتى يختمها، وعيسى مات غريقًا في سلعه بقرب مهرمل، وذكر أن الذي أخرجه من البحر، كان أعمى، غاص له فأخرجه، ففتح الله عليه برد بصره للساعة.

وعيسى قبره مشهور يزار، وعلي رجل صالح، وعبدالله رجل صالح كثير التلاوة، وعبدالرحمن رجل صالح، كثير التلاوة والصيام، تاركًا لما لا يعنيه، عليه سكينة ووقار، وعمر توفي صغيرًا، وعبد الأول توفي بشرجة حرض عند الشيخ إقبال المشهور هناك، وكان صالحًا وقبره يزار ويتبرك به، وأبو القاسم فيه الخير، وعثمان كان صالحًا متورعًا كثير الخشوع عند سماع القرآن. وأما أبو بكر، فهو القائم الآن بالزاوية، له معرفة بالنحو وشيء من الفقه، وعلم الصوفية، وكان متورعًا زاهدًا متجردًا[1] عن الدنيا، له مصنفات في التصوف مفيدة، وطريق المحبة.

إنتهى ما ذكره البدر الأهدل

---

(1) تجَّردَ للأمر: جدَّ فيه وتفرَّغَ له.

وفاته:

قال الجندي: "توفي بقرية على ساحل المحالب تعرف باللحية بلامين احدهما مضمومة مشددة وفتح الحاء المهملة والياء المثناة من تحت مع التشديد ثم هاء ساكنة وذلك في المائة السابعة تقريبا.[1]

وذكر الشيخ إبي بكرالخال بن مُحَّمد بن عيسى الزيلعي في مخطوطته...فقال: وكانت وفاته ﵁ سنة سبع مائة وأربعة من الجرة النبوية.

وآ أسفاه من فراق قوم همُ المصابيح والحصون
لم تتغير بنا الليالي حتى توفتهم اللمنون

(1)بهاء الدين مُحَّد بن يوسف الجندي (ت 732هـ)، السلوك في طبقات العلماء والملوك، تحقيق: مُحَّد بن علي بن الحسين الأكوع الحوالي. ج2، ص317

القسم الثاني النص المحقق
ثمرة الحقيقة ومرشد السالك إلى أوضح الطريقة

القسم الثاني
النص المحقق

[خطبة المؤلف]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله المنعوت بوصف القدم، [1] في أزل الآزال، الأبدي[2] الذي لا آخر له ولا زوالِ، المتفرد بالكمال الذي لا شبيه له ولا مثال، العظيم الذي تدكدكت لعظمته شوامخ الجبال. المتقدس عن كل وصف يدركه حس أو يتخيله خيال، ذي الملك والملكوت[3]، والكبرياء والجلال. الحسيب المقيت ذي الفضل والإفضال، المتعالي بعرش أزليته عن أن تدرك كُنه حقيقته عقول الرجال الأبطال. طود[4] أزليته لا يرتقى لإقدام حادثة، انخفضت دون قلة عزته عقول الحزم والابتهال، فكيف بنفوس أهل البطالة الأغبياء الجُهال،!؟ لا مجال لأهل التُبصر إلى كُنه المعرفةِ في الحال ولا في المآل: حتى إذا انتهوا إلى ذلك المقام الشريف، اعترفوا بالنقص دون الكمال، ونادوا بلسان الذلة والعجز والإقلال والتلاشي والاضمحلال (المبارك)[5] لا نحصى ثناءً عليك تنزيهًا لكمال جلالك عن الإحاطة وضَرب الأمثال: أنت كما أثنيت على نفسك، مع عدمِ الالتفات إلى الأقوال والأفعال، فأن تطاول أحد

---

(1) روى البخاري مقدم أهل اليمن لرسول الله ﷺ بعد قبولهم الإسلام، وقولهم له ﷺ: جئنا نسألك عن ـ أول ـ هذا الأمر ما كان. فقال ﷺ:((كان الله ولم يكن شيء غيره)) ـ وفي رواية ولم يِكن شيء قبله ـ وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، وخلق السموات والأرض ـ وذكر في فتح الباري أن بعض الروايات فيها: معه.. ويستفاد من هذا الروايات وغيرها: أن الله سبحانه: كان ولا عرش ولا كرسي، ولا ماء، ولا كون وكل ما يقال عن قدم العرش أو الكرسي فهو من الأباطيل. هامش لطائف المنن.

(2) الأبدية: نعت من نعوت الله تعالى: كما ذكر السراج الطوسي ت(387هـ).

(3)الملك والملكوت: العالم العلوي والسفلي.

(4)الطَّودُ:الجبل العظيم (ج)أطواد

(5)مابين قوسين زيادة في في (ت) في غير سياقها

منهم وادَّعى رُتبَة الكمال. (زَبَرهُ) [1] بسوطِ أدبٍ وما قدروا الله حق قدره لا في وقت دون وقتٍ أوحال (دون) [2]حال؛ بل تنبيهًا لهم على الاعتراف بالقصور والعجز عن كشف إدراك حقيقة الحال وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ذو الجلال والبهاء والكمال وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الذي بعثه رحمةً للعالمين وإمامًا للمتقين، وقدوةً للمقتدين، ورشدًا للمسترشد، ولسانًا لأهل التحقيق أجمعين، ودليلًا إلى ذروة (اليقين)[3]وحجةً على أهل الخلاف والملحدين الذي (هدَّ)[4] أركانَ الطُغاة بجرأةٍ إيمانية وقوة دينية وعزمٍ مُلكي، وهِمة مَلكوتية، ويقين صادق مانع من الشكِ والريب، وعقلٍ دالّ على الحقائق. ﷺ وعلى آله وأصحابه المنتخبين الذين أرشدهم إلى سلوك صراطه المستقيم فاستقاموا به على الوفاء بما عاهدوهُ عليه، فهداهم إليه به وأوصلهم إلى رياض معارفه، وعلى الأنبياء والمرسلين الذين اصطفاهم لإظهار الدين وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يومِ الدين، وعنّا وعنهم برحمتك يا أرحم الراحمين.

أخواني: من أفرد الله في باطِنه؛ تنزهت جوارحه عن معاصيه، ومن خافه هرب منه إليه، ومن توكل عليه لم يركن في ضميره إلا إليه، ومن آثره أعرض عمن سواه، ومن أحبه تلذذ بما ابتلاه، ومن أطاعه لم يبع آخرتهُ بدنياه!.

يا مشدُوه الذِهن، يا عنّين الفِطنة، يا مشحونًا بوساوس الدنيا، يا من همته بهيمية؛ لم تنتج سعادةً أبدًا، أين همتك العُلوية: ارحل بمطية همتك إلى كعبة جمعِيتك وإلي مِنى المنى[5] ومشّعَرِ الأشعار وعرفات العرفان، فإن أردت أن يكون قلبك محل نظر مولاك؛ (فكنس)[6] زواياه

(1) في (ت) زاره والصواب ما أثبتناه.
(2)في (ت) بعد
(3) ساقطة من (ت)
(4)في (ت) هدم
(5) المُنى بالضم: ما يتمناه المرء لنفسه.
(6) في (ت) فكن

من الشك والشرك والريب والحيرة، واغسله بماء الثقة به، وطيبه بطيب مِسك عرف أنفاس أولي العزم، وأجله بمداوس الخوف والحذر، وحله بالذكر الصادق والفكر، واسرج عليه سرج الأدلة، وانصب عليه سرير المحبة، وافرش عليه فرش الذلة والافتقار، واجلس عليه سلطان التنزيه والتعظيم، واجعل على رأسه تاج الوقار، وعلى بَدَنهِ حُلةُ الفناء، وعلى جبينه إكليل الحياء، وأقِم على بابه حاجب الورعِ الصارِف عن رؤية الأكوان المميز بين الحق والباطل. لأن الكون عدم محض إذ لا حقيقة لوجوده والعَدمُ باطل إلا من حيث من له الوجود المطلق؛ فأن له وجودًا إضافيا وهو دالٌ على الحقيقة؛[1] بدليل قوله تعالى: { إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَاب}،[2] كما دلَّ (القديم)[3]على تفاصيل أجزائها بقوله تعالى: {والله على كل شيءٍ شهيد}، فأصحاب الرسوم[4] تعلقوا بالسور المجازية، وأهل الهمم تعلقوا بالأسرار المعنوية، فماذا بعد الحق إلا الضلال!؟

فالعارفون واقفون تحت ظلال الكبرياء، قد محت رسومهم هيبة الجلال، لشروق أنوار المعارف في قلوبهم، قد غمرتهم المِنَن، وجنبتهم المحن، قد أمِنُوا رقيب الاهتمام وانكشفت عن قلوبهم كروب الاغتمام، قد وجدوا (لداءِ)[5] بُعدِهم ترياق[6] قربهم فهم أبدًا غرقى في بحور مِننه، لا يستطيعون حيلةً في النظر إلى مكنون كبريائه، ولا يهتدون سبيلًا إلى أداء شكر ما ابتدائهم به من جزيل فضله.. كلّت ألسنتهم عن الشكر

(1) للعقاد كلام جميل في كتابه فلسفة الغزالي.. في حقائق الوجود لأن الإمام الغزالي بحث مع الفلاسفة كما بحث مع المتكلمين والمعتزلة، ومع الفقهاء المتصوفة، ومع علماء الدين الإسلامي وغيرهم من الأديان وكان له في كل بحث من هذه البحوث إجتهاد من عنده وتعقيب على قول غيره، وموافقات تقترن بها مخالفات لكثير ممن ناقشهم وناقشوه تتعذر الإحاطة بها في الحديث الواحد.عباس محمود العقاد ـ فلسفة الغزالي.

(2) سورة آل عمران: الآية 190.

(3) ساقطة من (ت)

(4) أصحاب الرسوم: هم الذين اقتصر نظرهم على علم الشريعة فقط وهم العباد الذين لم يصلوا بعد إلى مقام المحبة. لطائف الإعلام 102/2

(5) في (ت) الداء والصواب ما أثبتناه

(6) ترياق دواء.

لامحاء رسومهم، فهم سابحون في بحر الفناء، فالتقَمَهُم تمساح الحيرة، أفناهم عن إياهم وأبقى معناهم، فهم شاخصون إلى نور الجلال بعين الحقيقة لا عين الصورة، في رياض الأنس وبساط الانبساط حالا وأزلًا وأبدا، علمه من علمه وجهله من جهل.

ومع هذا المقام الشريف؛ ما أُوتوا (في)[1]جنب مالم يؤتوا إلا كلا شيء حظهم منه العجز عن إدراك حقيقة الأمر، حينئذٍ لزمهم الأدب في حضرة التقريب عن الالتفات إلى الكرامات، بل المقامات، وترك التمييز في الأشياء، ورؤية الخلق بعين الحق، حتى لا يرون الأشياء صادرة إلا عنه. {والله خلقكم وما تعملون،}[2] وترك الاختيار بالكلية. وما تشاءون إلا أن يشاء الله، وإسقاط الأملاك [3] عن أنفسهم، قل لا املك لنفسي نفعًا ولا ضرًا، والاندراج تحت رِق عبودية مولاهم بالتبري من الحول والقوة برؤية القدرة من القادر، ضرب الله مثلًا عبدا مملوكًا لا يقدر على شيءٍ. والخروج عن رق عبودية ملاحظة الأغيار في الباطن، وكل ما التفت إليه القلب، فهو محبوب وكل محبوب معبود دونه. قال الله تعالى: {أفرأيت من اتخذ إلهه هواه.}[4] وقال صلى عليه وسلم: ((من أحب شيئًا عبده))[5] فهم؛ بريئون من عبادة أوثان المحبوبات، شحنت سفينة أهل الجِدّ (إبريسَم)[6] الاشتياق، وعقاقير حُسن الأخلاق، وعبقري[7] المسارعة إلى التلاق، بعد عمارتها

---

(1) في (ت) إلى.

(2) سورة الصافات: الآية 96

(3) التسليم المطلق لله تعالى.

(4) تكملة الآية: وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشوة فمن يهديه أفلا تذكرون. سورة الجاثية الآية رقم 23

(5)"من احب شيئا اكثر من ذكره" . اسنده في الفردوس من حديث سليمان بن حيان عن داود بن ابي هند عن الشعبي عن عائشة مرفوعا. التذكرة في الحكم والأحاديث المشتهرة. 115/1.

(6) ساقطة من (ت). والإبريسَم: بكسر الهمزة والراء وفتح السين لفظ معرب، أجود أنواع الحرير، أو الحرير المنقوض قبل أن تخرج الدودة من الشرنقة. معجم لغة الفقهاء /ج1 ص39

(7) العبقري: نسبة إلى عبقر وهو صفة لكل ما بولغ في وصفه وما يفوقه شيء يقال رجل عبقري وثوب عبقري وفي التنزيل العزيز {متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان}. المعجم الوسيط ج2 ص581

بقار الوقار، وقِنبار[1] الافتِقار، وألواح الاعتذار، وفساسي الاستغفار، ودُهنت بدِهان اليقين، وإخلاص الأعمال لرب العالمين، حينئذٍ كورت في بحر التوحيد بعد مفارقة أوطان العادة، وإضمار التجريد[2]، ثم نَصَبوا أدقال[3] الاتكال، وحبال الابتهال، وبروسي[4] الاعتدال، وجاء ناخوذة العزم مناديًا على تجار الجد والحزم، السُّرَى بهبوب أنفاس نسيم الإمكان،[5] قبل التورط في شِباك الافتتان، فرفعت شراع الخشوع، ونادى ملاح سكان السكينة والخضوع، وقد اوثق ساورة [6] الزهد والقنوع بسمِ الله (مجراها)[7] عن الأكوان ودار الحدثان، ومرساها في بندر فضاء الكشف والعيان. فسَبحت في بحر التحميد والتمجيد وتلاطُم أمواج التقديس والتوحيد غابت عن بلاد رؤية الزهد والمزهود، تاهت في لجج الافتكار، فرماها حب الاعتبار، في برزخ الكبرياء والجلال، ونادوا بلسان الذلة والعجز؛ سبحان الأبدي بلا زوال، عن حقيقة أمره وضرب الأمثال، تاهت العقول في برزخ جلالك، دُلنا إلى مقر الأنس بالنظر إلى عجائب مكنون صفات كبريائك. فبينماهم في حال تحيرهم فيه؛ إذا جاء بشير التوفيق والعناية، بظهور أعلام جبل القيومية، من سرادق الديمومية، فاستوت سفينة نوح جدهم على جودي جبل الفردانية، في دار الأزلية، ومقاصير الأبدية، في جنات

---

(1) القِنْبار: بالقاف حبل ليف من شجر النارجيل يُتَّخَذ من لِيفه حِبالٌ للسُّفُن. ج14 ص 70

(2) تجَّرد للأمر: جدَّ فيه وتفرغ له. والتجريد في اللغة: التكشيط والإزالة، وتقول جرَّدت الثوب أي أزلته عني، وتجرد فلان أي أزال ثوبه ـ والتجريد هنا ـ ما تجرّد للقلوب من شواهد إذا صفا من كدورة البشرية، وقال بعض الشيوخ وقد سئل عن التجريد، فقال: ((إفراد الحق من كل ما يجري من إسقاط العبد كلما يبدي.الطوسي. اللمع ص425

(3)الأدقال جمع دقل: من آلات السفن الشراعية

(4)البروسي: مخطاف السفينة أو القارب.

(5) الإمكان: العوالم المحسوسة.

(6) من أدوات السفينة

(7)ساقطة من (ت)

حضرته، فانكشف الرين[1] عن أبصار بصائرهم حينئذٍ تجلى لهم صفات معاني ربوبيته من سرادق جلاله في حضرة قدسه، ورياض أنسه، وبساط الانبساط، أخرجهم الدَّهَش عند تجلي صفات معاني ربوبيته، عن الأمر المرسوم، والحد المحتوم في حق من جذبته يد العناية من خواص المقربين، من الملائكة والأنبياء والمرسلين، وأهل الاختصاص من الأولياء والشهداء والصديقين، نربوهم بسوط أدب وما قدروا الله حق قدره حالا وأزلا وأبدا.

حينئذ ناداهم حظهم من الهيبة يا أهل يثرب: (الكشف)[2] لا مقام لكم في مدينة تحقيق إدراك ما تجلى لكم فارجعوا إلى بلاد الاعتراف بالعجز والقصور، عن كشف ادراك حقيقة ما شاهدتم. فهذا غاية ما تبلغون من إدراك (لطف)[3] خفي، سرّ عُلائة فاقتنعوا بما أوتيتم، وكونوا من الشاكرين.

فبينما هم[4] كذلك في حال تحيرهم فيه إذ نادى ثانيًا منادي اللطف بهم تطييبًا لقلوبهم وتقريبًا وتبجيلا لهم؛ عبادي هذه داري فانزلوا، وهذه حضيرة قدسي فانعموا، قالوا ربنا وسيدنا ومولانا: أنت قصدنا وغاية طلبنا.. نحن بك لا بنا أسقنا من صفاء كأس ودك، فسقاهم ربهم شرابا طهورا سقاهم بكاس الصفاء فاستقاموا على الوفاء، سقاهم بكأس الوصال فغابوا عن الأفياء والظلال، وسقاهم بكاس الوداد، فغابوا عن العباد، في مقاصير أُنس ودار قدس، في مقعد صدق عند مليك مقتدر. متى تستخلص حامية رياضتك بإبريز[5] نقود التحلي بأخلاق ربك؟ وتحسن سقالة مرآة قلبك من ريون اقتار

---

(1)الرين: هو الصدأ لأنه يعلو المرآة أو السيف وقد ران أي قد غلب عليه الصدأ، وقد وردت في قوله تعالى: { كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون} المطففين: آية:14. معجم ألفاظ القرآن الكريم ج 1 ص: 511مجمع اللغة العربية.

(2)ساقطة من (ت)

(3)في (ت) لطيف

(4) في (أ) فبينا

(5): الإبريز الذهب الخالص ويقال ذهب إبريز القطعة منه إبريزة. المعجم الوسيط: ج1 ص 2

جفوتك.؟ وتغيب عن التدبير برؤية مدبرك.؟ وتتحلق بزمرة الملأ الأعلى بهمتك.؟ وتلاحظ الحقائق هناك مجردة عن أغشية التشبيه والتمثيل في عالم قدسك؟.. هذا عند ركود الحواس والأفكار[1] وانطماس الآثار، وعدم الالتفات إلى الاغيار، وكنس زوايا القلب من الاختيار، وشرب سلافة المعرفة من بحر محض اليقين والاستبصار[2] شرابا طهورا من الإنكار والاستغراق بملاحظة معاني الأسرار، ولزوم الأدب [3] في حضرة العزيز الجبار عن الحركة والسكون والإعراض عما كان وعما سيكوك، بشروق شمس المعرفة في قلبك، وبروز الأسرار المعنوية في سرك، عند ذلك تشرب صرفًا من صفا كأس غيب ودك، يحملها ساقي لطفه شرابًا طهورًا ممزوجًا بعطفه. حينئذ يسكن عنك وجيب الطلب، ويعدم الالتفات إلى السبب، ويسمع سرك منادي اللطف، {يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ، ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً، فَادْخُلِي فِي عِبَادِي، وَادْخُلِي جَنَّتِي}[4]

العاقل من عقل عن الله أمره فآثره، واشتغل قلبه بطلب ما يفوت؛ بفوائد السعادة الكبرى، وهو النظر إلى الله تعالى بواسطة المصنوعات. قال ذو الفهم الثاقب:(ما رأيت شيئا إلا رأيت الله معه). هذا مقام استدلال صاحب هِمّة، قد جعل الوجود عينا يرى بها الحقائق، وأذنًا يسمع بها الدقائق، وفهمًا يعي به ما يمليه الإلقاء الرباني في صحيفة الوجود، { **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ** }،[5] فالعالم الكبير عند أولي الألباب رقٍ منشور، وما فيه من تفاصيل الأجزاء؛ كتاب مسطور؛ تركيبه وترتيبه

---

(1) أي عند عدم إدراك المحسوسات الخارجية من حولك.

(2)الاستبصار: الاستبانة والوضوح.

(3) الأدب، وسوء الأدب في الحضرة سبب الطرد والبعد، ولهذا قال بعض المحققين ممن عرف هذا المعنى، اقعد على البساط وإياك والانبساط فإن جلاله في أنسنا يمنعنا في الحضرة من سوء الأدب. اصطلاحات الصوفية ص5. 1، لطائف الأعلام 1/ 390.

(4) سورة الفجر: الآيات 29/28/27

(5) سورة آل عمران: الآية 190.

منوط بالحكمة الإلهية القديمة المجردة من أغشية الظلم والجهل، فهي حق بحق من حق، {وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَق}..[1]

وأما من صقلت الرياضة[2] مرآة قلبه، وتجرد من أسباب علائقه، وتنزه عن إشراك عوائق شكوكه، وانطبع المكنونات في صفاء مرآة سره، وارتحل بمطية هِمَّته عن أوطان ذكر كل حاضر وغائب، من عالم حسه، لما تجلى (لقلبه)[3] الصفي، ومصاحبة المضي من أنوار الجلال الإلهي، والكشف الكلي، واندراج سره في حضرة عالم الوجود الحقيقي. عند ذلك دُكت جبال رؤية الأكوان عن سمع قلبه الملكي، وانقشع سحاب حجاب الرجوع إلى العلوم والمعلوم عن حدقة سره القدسي، فلم يرى في الوجود سوى الوجود الحقيقي من وراء سدفة[4] الوجود المجازي، واسترق سمع سرة نداء الغيب الرباني من عالم الأمر العياني.. أفي الله شك!؟ قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون. قال صاحب الكشف والتمكين:[5] "ما رأيت شيئا ألا رأيت الله قبله"؛ لأنه رأي الحقائق فلم يتسع قلبه لذكر شيء غيرها، لانمحاء الرسوم والعلوم في سره، لاستغراقه في الحقائق؛ لأن من أثبت الحقائق فقد نفى غيرها ومن أثبت غيرها فقد نفى الحقائق؛ ولهذا قال بعض أهل التحقيق: "ما في الوجود إلا الله". لأنه يرى كل شيء هالك إلا وجهه، ولا تظن هلكه عنده إلى الأجل المعلوم بل هو يراه كذلك حالًا وأزلًا وأبدا. علم ذلك من علمه فآثره وجهل من جهله فانكر.

---

(1) سورة الحجر: الآية 85.

(2) يعرف أهل الحق الرياضة بأنها المجاهدة والأدب مع الله، أي البعد عن الخواطر الشيطانية، وذلك بتجنب الشهوات، ومخالفة أهواء النفس من طلب للذات والحظوظ الدنيوية. د. حسن الشرقاوي، معجم ألفاظ الصوفية: ص 163.

(3)ساقطة من (ت)

(4) السَّدَفُ بالتحريك ظُلْمة الليل وأَنشد ابن بري لحُمَيْد الأَرْقط وسَدَفُ الخَيْطِ البَهِيم ساتِرُه وقيل هو بَعْدَ الجُنْح قال ولقد رَأَيْتُك بالقَوادِمِ مَرَّةً وعَليَّ مِنْ سَدَفِ العَشِيِّ لِياحُ والجمع أَسْدافٌ. لسان العرب ج9 ص 146.

[عجائب صُنع الله تعالى]

شمس الوجود مشرقه على كل موجود، فأنارت وشعشعت في أُفق ظلام العدم، فأبدعت منه أصناف الخلائق والأمم بعجيب صنعتها ولُطف حكمتها، جميلة الأفعال، جزيلة النوال، معدومة الأشكال، جلّت عن الابتداء، وتقدسّت عن الانتهاء، فهي في رقائق دوام ديموميّة البقاء تميس في حلة الجمال والبهاء، تحيي القلوب وتكشف الكروب، ظلها أبدًا ممدود، وعطفها دائما غير محدود، استأسرت قلوب العارفين بجمالها، وانتهبت أرواح المشتاقين بكمالها، فهي في أقفاص عدم الالتفات محبوسة، علمت الكون قبل التكوين وابتدعت الخلائق بغير معين، عطاؤها فضل وقضاؤها عدل، صفتها الحياة والعلم والقدرة والحلم

لمعت بوارق سطوات قهرها على الجبابرة فاندرسوا، وعلى الأكاسرة فانطمسوا، أفنت القرون الماضية فهل ترى لهم من باقية، بوارق معارفها في قلوب أهل الهداية لامعة، سحب أياديها في ساحات بواطنهم هاطلة، دقت عن ادراك الفهم، واستعلت عن خيالات الوهم، قربها بُعدٌ وبعدها قُرب، خضعت لهيبة جلالها رقاب الكروبيين،[1] وتحيرت عند تَجَلى صفات معانيها قلوب الروحانيين، ظهرت فأعجبت، وبطنت فحيرت، كلّت أوهام المقربين عن الإشارة، وخرست ألسُن الصديقين عن العبارة، لطفت عن الإيماء، وخرجت عن الإحصاء، فهم في برزخ الكبرياء تائهون، وفي بحور أمواج (بحار)[2] الجلال سائحون، صُمٌ بكم عُميٌ لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا. علمه من علمه وجهله من جهل.

---

(1)هم الملائكة المقربين عليهم السلام

(2)ساقطة من (ت)

[قلب المؤمن التقي]

قلب المؤمن التقي بيت الرحمن، ومعدن (العرفان)[1]ومحل الإيقان، وخزانة أسراره، ومَهْبَطُ رحمته، ومُخْتَلف ملائكته، ومنبع حكمته، قد هجر الأوطان وباين الإخوان ونسي نسبه من الأكوان؛ فهو بحماية الورع عن التمثيل محروس، وفي بحار الأمن والطمأنينة مغموس، وفي رياض المعرفة والرضوان مغروس، وفي أقفاص عدم الالتفات إلى الأكوان محبوس، قد شرب من خُمُور القُدسِ صرفًا ونال شرفًا وعاين لطفًا، قد بهره الجمال واستغرقه الكمال، عند مُشاهَدةِ الجلال.

حينئذ: أُتحِف الترحيب وحضي بالتقريب، وارتفع عنه الحجاب[2] وزال عنه الارتياب، عند ذلك انتهض لافتضاض أبكار الحكمة، في جنّة المعرفة وفراديس[3]المحّرَصَة، ورياض الإيقان، في دار الرضوان على سُررِ المحبة، وبساط الذّلة واستشعار الهيبة، فانسلت ذُرية التَخَلُقِ بالأخلاق الشريفة والتحقق بالمعاني اللطيفة.

---

(1)في (ت) الفرقان.

(2) وردت في القرآن الكريم كلمة حجاب بمعني الستر والمنع، سواء كان هذا الستر حسيًا أو معنويًا، كما وردت بمعنى محجوب، أي ممنوع، ومحجوبون حيث أنهم أصحاب نفاق ورياء أي أنهم ممنوعون ـ إهانة لهم ـ عن الدخول على العظماء، كما يقال بمعنى أنهم "مستورون" فلا يرونه تعالى. معجم ألفاظ القران الكريم ج ص: 411.

ـ تستخدم كلمة الحجاب بمعانٍ متعددة حسب الحال الذي يتكلمون فيه، فيقال مثلًا: إن هذا السالك أو هذا المريد الصادق قد كُشف عنه الحجاب، أي رفع عنه حجاب الدنيا، وبدت التجليات، والمنن والعطايا تتوارد على قلبه، وأصبح من أصحاب المكاشفات والفتوحات، أي وصل إلى مقام الولاية، أي من أصحاب الأسرار. كما يستخدم الحجاب بمعنى الحجب فعندما يسقط الولي، ويقع في الالتباس، فينتكس ويتلف، ويقال عنه عند ذلك أنه قد حجب، أي رجع إلى نظره وبصره وحسه ونفسه ومدركاته الحسية، وفقد المنن الربانية، والفيوضات الرحمانية، والعلوم الإشراقية التي تقذف في قلب الأولياء، وأهل الحق، والعارفون بالله. ويمكن أن يستخدم الحجاب بمعنى الستر، أي لا يعرف حال العبد الصالح فهو مستور عن الخلق، معروف لله، فلا يعرف مقامه عند الناس، وما أفاض الله به عليه من النعم، والرحمات والمنن، ولهذا العبد في هذه الحالة حجاب من نفسه على نفسه، فلا تعلم يده، ما ذاقه قلبه من ثمرات المجاهدة. معجم ألفاظ الصوفية، الشرقاوي، د.حسن، ص17.

(3)الفردوس: البستان الجامع لكل ما يكون في البساتين (مذكر وقد يؤنث) والمكان تكثر فيه الكروم والوادي الخصيب واسم جنة من جنات الآخرة (ج) فراديس (قيل إنها معربة.. المعجم الوسيط ج2 ص 680.

فهذه المقامات لا تُدرك بالتمنّي والبطالة والإعراض عن الرشد والسعي في الظلالة. فالرشد تعلق الهمم بالمعاني الباقية، والظلال تعلق القلب بالأمور الفانية.

إياك أن تغتر بلمع سراب دار الحدثان؛ فإنه لمعٌ غرّار خداع للقلوب المتعلقة بشهوات الدنيا.. ولولا كدورات[1] الشهوات في القلوب؛ لظهرت عجائب الغيوب، ولولا حظ باق في النفوس لغبت عن عالم الحس والمحسوس، ولولا العلل لبرزت العبر.

[قلب المنافق الشقي]

وأمّا قلب المنافق الشقي: فإنه بيت الشيطان ومحل الخسران، ومختلف الولهان ومعدن غروره، وخزانة شروره ومرتع ديدان وساوسه، ومهبط مردته ومنبع الأخلاق المذمومة. قد خلع ربقة[2] التقوى عن كاهله، وطوى بساط ورعه وقوّى رباط طمعه، قد هجر السنة وعانق البدعة، فلم يقف عند حدوده ولم يأتمر بأوامره، شعاره النفاق ودثاره الشقاق،[3] قد أرضى الشيطان فدلاه بغروره[4] واسخط الرحمن لتماديه في التقصير عن شكره، قد استعبدته الأهواء واكتنفتهُ الأسواء، قد سَبَحَ في بحور الطُغيان واستغرق في بَرَازِخِ العِصّيان، قد لسعته حيات الحرص والآمال وعقرته عقارب التناسي للآجال، وافترسته سِبَعُ التسويف في الأعمال. فاصبح منطمسًا عن محل الاستقامة[5] أثَرَهُ مُنقطعا عن

---

(1) الكدورة: قلة الصفاء.

(2)الربقة في الأصل عروة في حبل تُجعل في عنق البهيمة أو يدها لتمسكها.

(3) . يري الإمام عبد القادر الجيلاني في تفسير الشقاق والوفاق والنفاق أن الأخذ مع وجود الهوى من غير الأمر عناد وشقاق، والأخذ مع عدم الهوى وفاق واتفاق، وتركه رياء ونفاق. الإمام الجيلاني، فتوح الغيب ص: 92 هامش بهجة الأسرار.

(4) فدلاهما بغرور أي جرأهما على أكل الشجرة.

(5) الاستقامة: تطلق على الاعتدال، وعلى الطريق الذى يكون على خط مستوية، والطاعة في طريق الحق، كقوله سبحانه وتعالى: اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيم. الفاتحة، الآية6.. المفردات ص 418، والقاموس المحيط 1487/1، ولسان العرب 496/12.

. وقد بين القشيري (ت:465هـ) حد الاستقامة، مهتديا في تعريفها بالأصول القرآنية والنبوية، فعرفها بأنها درجة بها كمال الأمور وتمامها وبوجودها حصول الخيرات ونظامها، ومن لم يكن مستقيما في حالته، ضاع سعيه وخاب جهده، ثم استدل لذلك؛ بقوله تعالى: { وَلا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا}

التائبين، خبره منصرما عن السالكين، قطره قد غلبت عليه البهيمية واستولت عليه السبعية. نعوذ بالله من هذه الحالة ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

[من ظل قلبه]

وأمّا من ظلَّ قلبه في تيه الالتباس ولم يغسله بماء الثقة من أدناس الوسواس، ولم يزن على نفسه بالقسطاط، [1] وغلبت عليه الشِقّوة والإبلاس، وتردى[2] من ذروة السعادة في مهواة الشقاوة والانتكاس، أصبح وأمسا قلبه أسيرا في أيدي الغفلة عن التعلق بالمعاني الباقية، والاستغراق بملاحظة الأمور الفانية. فصار مشغولًا بتزويق خياله، مستهترًا بذكر محبوبه من عاجل مطلوبه، ونسي يوم عرضه على ديانه فيناديه عبدي؛ أبرزت نور وجودك من ظُلمة العدم، وأخذتُ عليك الميثاق في سالف القدم، قبل إيجاد الخلائق والأمم ألا تعبدوا إلا إياي بإسقاط ما دوني، وان لا يلاحظ سرك غيري.. فلم ترع ذمتي ولم توفِ بعهدي، وجلوت على عين بصيرتك حسن عروس مكنوناتي لتعرفني بمصنوعاتي، وأيدتك بثاقب شهاب العقل المميز وجعلته نورا يسعى بين يديك لتهتدي به في ظلمات السهو عني، والغفلة عن تأمل مسطور يد قدرتي، فلم تلاحظ معاني الأسرار بواسطة الأقدار. فمن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى؛ فمن كان في هذه أعمى عن مشاهدة الأسرار بواسطة الأقدار فهو في الآخرة أعمى عن ملاحظة العزيز الجبار في دار العز والوقار.

إلى متى هذه الغفلة والتواني والتسويف والتماني وقناعتك بالصور عن المعاني وعكوفك على الأطلال والدِمن!؟ فارِق بلد عادتك وارحل

النحل آية:92. وقوله تعالى:{ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا} . الأحقاف آية: 13، وقد استدل على معنى الاستقامة بحديث سفيان بن عبد الله الثقفي : " قل آمنت بالله ثم استقم "

(1) القُسْطَاسُ بالضم والكسر: المِيزَان، قال الله تعالى: {وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ }قرَأَ الكُوفِيُّون غيرَ أَبي بَكْرٍ بالكَسْرِ، والبَاقُونَ بالضَّمِّ.وقِيلَ: هو أَقْوَمُ المَوَازِينِ وأَعْدَلُهَا. تاج العروس من جواهر القاموس، ج16 ص278.

(2)تردى: سقط

بمطيةِ همتك إلى موطن قلبك ومألوف سرك، وفارق أبناء جنسك من عالم حسك، وارتق بمهمتك إلى عالم قدسك، ولا تجعل يومك كماضي أمسك.

إن كان لك هِمّة في الترقّي[1] ورغبة في التلقي ومرافقة الملأ الأعلى بقلبك؛ فاطمس آثارك وامح أسطارك، اطبق جفن ناظر رغبتك عن رؤية الأكوان، وافتح عين بصيرتك المكحولة بمرود [2] أهل الإيمان، وانظر إلى جريان مياه الأقدار من خلجات وسائط مصنوعاته بالمكاره (والمسار)[3]ولا تكن محجوب النظر عن تلمُح الكائنات بعين الفكر وما أودعته يدُ الأقدار فيها من الآيات والعبر. يا أعمى البصيرة يا بليد الفهم عن قرآن مسطور الكائنات وما أودع فيها من لطف خفي، سر حكمته من الآيات. ما لهذا خلقت ولا بهذا امرت؟ تقول قول الأخيار وتسلك طريق الأشرار {أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا}.[4] أشرقت عليك شمس الوجود المجازي لتهتدي بها في ظلمات تيه بر الجهالات وغطائط أمواج بحر الشك والغباوات، وتستخرج منها علم شريف غامض لطيف. {وما خلقت الجن والأنس إلا ليعبدون}.[5]

فالعبادة هاهنا هي المعرفة بواضحات الأدلة والآثار فلا يحجبنّك غمام الغفلة والإنكار، والتقلب في الأطوار عن أسرار العلم الرباني، والإلقاء الإلهامي {كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ، ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُون}،[6]

---

(1) الترقّي: في المصطلح الصوفي: التنقل في الأحوال والمقامات والمعارف.
. (إذا صدق السالك إلى الله، أصبح ظاهره كباطنه، فأخلص وأطاع، واستعد قلبه للمكاشفات، والأحوال والمقامات، وإذا فتح الله عليه بالمنن والعطايا انتقل من حال إلى حال ومن مقام إلى مقام، فإذا ثبت الحال أصبح مقامًا، ويقال عند ذلك أن الولي قد ترقي من مقام إلى مقام، وصاحب المقام الأعلى يعرف مقامه الأدنى، أما صاحب المقام الأدنى فلا يعرف المقام الأعلى ولكنه يعرف الذي يشابهه). الشرقاوي د . حسن: معجم ألفاظ الصوفية،ص76.

(2)المِرْوَدُ بكسر الميم: المِيلُ الذي يُكْتَحَلُ به.

(3)ساقطة من (ت).

(4) (أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وأنكم إلينا لا ترجعون) سورة المؤمنون: آية 115

(5) سورة الذاريات: آية 56.

(6) سورة التكاثر: الآيتان 4/3.

يوم الحسرة والندامة يوم تُبلى السرائر (وتكشف الضمائر)[1] {وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ} .[2]

أيها الظالم لنفسه بالغفلة عما كُلِف في يومه وأمسه.. أرضيت من عمرك بتضييع الأوقات بإعراضك عن المهمات، وتعرضك لإدراك الآفات، وسعيك مدى عمرك في اتباع الشهوات. وقد أخذ الشيطان بزمامك يقودك إلى محل الهلكات بالغفلة عن تدبر الآيات، والإعراض عن تأمل مسطور المقدورات، في ألواح الكائنات. إلى متى عين فضيلتك راقدة عن استنباط العلوم الربانية بواسطة المصنوعات!؟ لعل نفسك تمنيك أن تطلع على أسرار العلوم الربانية، من غير تقديم الرياضة للنفس، ومضاعفة الكدّ و(النصب)[3]عليها، وصرف الرغبة عن الحظوظ الدينية، والاهتمام بعزوف النفس عن التعلق بالمقامات الأُخروية، فظلًا عن الحظوظ الدنيوية، وإخلاء السر للعلوم الربانية، والخروج عن كل خلق مذموم مثل: الجهل والرياء والكبر والعجب والحسد[4] وحب المحامد، وفرار القلب من مذمة الخلق، وحب المنزلة عندهم، والشره والرعونة وحب الدنيا، والفرح عند النعمة، والسخط عند النقمة، والغفلة عما يعنيك، وفتور الأعضاء عن الطاعات، والتحلي بكل خلق محمود مثل والإنابة تفتح التوبة، والتوبة[5] هي الأوبة من محال البعد إلى أوطان القرب، والزهد، والخوف، والرجاء، والصبر، والشكر، والإخلاص، واليقين، والتوكل،[6] على الله، والتسليم

---

(1)ساقطة من (ت)

(2) سورة الزمر: الآية 47.

(3) في (ت) التعب.

(4) هو تمني العبد زوال النعمة عن غيره.

(5) يذكر القشيرى (ت:465هـ) أن التوبة أول منزل من منازل السالكين وأول مقام من مقامات الطالبين، وحقيقة التوبة الرجوع عما كان مذموما في الشرع إلى ما هو محمود فيه، واستدل لذلك بقوله تعالى:{ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ }، النور: آية31. الرسالة القشيرية 275/1.

(6)أحكام الدلالات الرسالة القشيرية ج 1ص 520.

لأمر الله، كلًا إنها أمنية كاذبة مثل السراب، تبعد منك القريب، وتقرب منك البعيد.

[التوكل]

عليك بالتوكل فانه من أخلاق الموقنين، وراحة المريدين، وعمدة الزاهدين، ولن يتوصل العبد إلى ذروة الإيمان إلا بالتوكل على الله، قال الله تعالى: {وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}[1] فصحة التوكل الخروج عن رؤية العلة والسبب وطرح الأذى عن نفسك بالكلية بالاعتماد على الله، والإعراض عن رؤية الوسائط، وترك التمييز في الحالتين بطمأنينة القلب من الاهتمام، وسكون الحواس من الاضطراب، والخروج عن حيل الكسب ثقة بالضمان، إياك أن تتهمه في رزقك فانه مضمون فلو أتيته بأعمال أهل الأرضين والسموات لم يقبله منك إلا بتصديقك له حيث سمعته يقول: وما من دابةٍ في الأرض إلا على الله رزقها، وأضاف إليه الأقسام وفي السماء رزقكم وما توعدون، فورب السماء والأرض إنه لحق مثلما إنكم تنطقون. فالراحة الكبرى؛ التوكل على الله، والعز الدائم الانقطاع إلى الله. والسلامة من الآفات؛ ملازمة تقوى الله وحياة القلب التمسك بذكر الله، وجلاء البصائر التفكر في مصنوعات الله، والغنى كل الغنى: الإياس مما في أيدي خلق الله، وسلامة الصدر: التسليم لأمر الله.

إياك والاعتراض على الله في امر قضاه، ومنازعتك له في حكم أمضاه. فإنه ملحق بالأخسرين أعمالا. {الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا}[2].

---

(1) الآية: { قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِين }. سورة المائدة: آية23.

(2)سورة الكهف الآية 104

[الزهد]

ازهد فيما في أيدي الناس؛ يحبك الناس، ولا تجعل حظك من الزهد[1] قناعتك بمحبتهم وقبولهم، واقطع طمعك باليأس من جاههم ومعرفتهم فانه الغنى. وإياك وحب المنزلة عندهم، فإنه سُم قاتل. وازهد في حظك العاجل والآجل، فإنه شعار الصالحين ودثار المتقين، ودأب المريدين، وطريق الراغبين، وعلم المستبصرين، وأخلاق الموقنين، لا يدخل على من أعتمده ما يشوش عليه ولا ما يوصل من القال والقيل، ولا يجد لقلبه وجهة إلا إليه، ولا لحاجته معولًا إلا عليه، قد أراح على قلبه بالإعراض عما لا يعنيه، واشتغل عن الأكوان بطلب ما يعنيه، فأن عُظِّمَ قدر أهل الدنيا في قلبك يومًا ما من أجل دنياهم فقد عظّمْتَ ما حقّرَ الله، ولا تكثر من الصداقة والمؤاخاة، ولا تتوهم أن هذا نقض للحديث المشهور عنه ﷺ حيث قال: ((أكثروا من معارف المؤمنين))[2] وذلك قبل زمان الفتنة وفساد الناس.

وقد ندب إلى العزلة في آخر الزمان، وقد وصف أهله في أحاديث كثيرة صدرت عنه ﷺ.. إياك أن تغتر بإظهارهم المودة لك لا سيما أهل عصركم، فإنهم يظهرون المودة لك بألسنتهم ويخفون العداوة في قلوبهم، يحسدون على القليل والكثير.. فترك ملاقاتهم أسلم لدينك وإياك أن تتعرض لهدم دينك في حال لقياهم بالتزين بما ليس لك فيه

---

(1) الزهيد: الشيء القليل. والزاهد في الشيء: الراغب عنه والراضي منه بالزهيد أي القليل. المعجم الصوفي ص 955

ـ الزهد في الاصطلاح الصوفي مقام شريف، وهو عندهم أساس الأحوال الرضية والمراتب السنية، وهو أول قدم القاصدين إلى الله عز وجل، والمنقطعين إلى الله، والراضين عن الله، والمتوكلين على الله تعالى، فمن لم يحكم أساسه في الزهد، لم يصح له شيء مما بعده لأن حب الدنيا رأس كل خطيئة، والزهد في الدنيا رأس كل خير وطاعة. وقيل: الزهد عزوف النفس إعراضها عن الدنيا بلا تكلف فيه؛ لأنَّ قلبه امتلأ بصِغَر قدرها؛ وما ترتَّب عليه من ضررها، بخلاف المزهَّد! فأنه يتكلف الإعراض عنها. فقوله (بلا تكلُّف) إشارة إلى الف بين الزهد والمتزهَّد. وقيل من أتته الدنيا راغمة. أحكام الدلالات الرسالة القشيرية جـ1 ص 407.

الجنيد: وسئل الجنيد رحمه الله عن الزهد؛ فقال: خلوُّ اليد من الملك..والقلب من التتبع.

وسئل الشبلي عن الزهد؛ فقال: أن تزهد بقلبك فيما سوى الله تعالى. أحكام الدلالات الرسالة القشيرية جـ1 ص410.

(2) اخرجه الحاكم في تاريخه عن أنس (اكثرو من معارف المؤمنين فإن لكل مؤمن شفاعة.

فائدة، والإصغاء إلى أراجيفهم وأباطيل لغوهم، ولا تفرح بثنائهم عليك، ولا تحزن من مذمتهم لك، واقرضهم عرضك لعلمك أنك لا تسلم من أصدقائك؛ فكيف من غيرهم. وفِر بدينك منهم فرارك من الأسد واقبل نصيحة المصطفى صلى الله عليه وسلم حيث قال: ((عليك بخاصة نفسك وليسعك بيتك خذ ما تعرف ودع ما تنكر)).[1]

[صدق الطلب]

أما بعد: فإن صدق الطلب عنوان بلوغ الإرب. من شرطه مفارقة الحالتين المتضادتين الرغبة والرهبة فمن صحبتاه؛ لم يصدق في الطلب ولم يظفر بالإرب.

هذا أول قدم في السلوك وإنما المقاصد متفاوتة، والقاصدون أيضًا متفاوتون؛ منهم من ترقى بلطافته إلى أعلى عليين، ومنهم من تردى بكثافته إلى أسفل السافلين،

ومنهم من جذبته يد العناية فألبسته خُلَع[2] الهداية؛ فخرج من ظلمة طبعه ونجى من هول جفاء بجار الأكوان، فصار في زمرة قصاد الرحمن. فاعرف أين رتبتك من هذه المراتب، وأين أنت منهم.؟ هيهات لا تدرك الأماني بطول التماني؛ إنما يدرك ذلك من استضاء بمقباس شهاب النور الفُرقاني المستفاد من السراج الإسلامي؛ فأنّى لك رسوخ

---

(1) من حديث عبدالله بن عمر أخرجه أحمد (272/2) وأبو داوود كتاب الملاحم (4343) والنسائي في اليوم والليلة، رقم (205)، والحام في المستدرك (525/4)، من طريق: يونس بن أبي اسحاق، عن هلال بن خباب أبي العلاء، قال: حدثني عكرمة، قال حدثني غبدالله بن عمرو بن العاص، قال: بينما نحن حول رسول الله ﷺ إذ ذكر الفتنة فقال: " إذا رأيتم الناس..".

وفيه: "إلزم بيتك، واملك عليك لسانك؛ وخذ بما تعرف، ودع ما تنكر؛ وعليك بأمر خاصة نفسك، ودع عنك أمر العامة " ـ ورد هذا الحديث في نيل الوطر من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر جمعه مُحَمَّد بن مُحَمَّد زبارة حيث قال المولف وللسيد مُحَمَّد بن لإبراهيم الوزير مؤلف بسيط في العزلة ومن الحديث النبي عليك بخويصة نفسك وليسعك بيتك ص 9 ج2

عليك بخاصة نفسك..ورد في حديث؛ عن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: (كيف أنت إذا بقيت في حثالة من الناس قد مرجت عهودهم وأماناتهم؟ وشبك بين أصابعه، قلت: فما تأمرني؟ قال: عليك بخاصة نفسك، ودع عوامهم. أبو نعيم الأصبهاني ـ أخبار أصبهان ـ 299/2

(2)الخُلعة: بكسر أوله وسكون ثانيه، خُلع، ما يهديه الملك ونحوه لأحد. د. مُحَمَّد قلعجي، معجم لغة الفقهاء.

قدم التمييز للمعاني لاستغراق قلبك بالصور والمباني فإن لمعت أشعة وأشرقت أنوار من جوّ أفق الوجود قبل الاستعداد فلا تغتر بهجومهما حتى تنطبع تلك الواردات[1] بطابع الكتاب والسنة وتتزن أنت بميزان الاقتداء والاّ فبرق خلب[2] فغرضي مساعدتك بنبذة يسيرة مما يكتمله فهمك من مداول علم طريق الأبرار المستحقين للنعيم الأبدي في دار القرار بمقتضى الوعد الأزلي وهو قوله تعالى {إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ}،[3] لتكون لك عدة عند تصاعد بخار الشهوات وتراكم غمام الشبهات وانقياد العلم والعمل للهوى.

[جهاد النفس]

نقول وبالله التوفيق وهو الهادي إلى أوضح الطريق: إن أعز الجهاد مجاهدة هواك. وأشرف الهجرة هجرة ما نهاك الله عنه، وصيانة العمل أن تترك القال والقيل.

هذا سر قوله ﷺ: ((إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يجد لها بالًا يحبط بها عمل عشرين سنة))[4] وفي حديث آخر يهوي بها في قعر جهنم سبعين خريفًا. وقال صلى الله عليه وسلم: ((من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه))[5]. مدلول الحديث وسره أن جعل ترك الاشتغال بما لا يُعني من شروط صحة الإسلام. فالإيمان والإسلام معًا هنا بمعنى

(1) الواردات: ما يَرِدُ على القلوب من الخواطر المحمودة، ممَّا لا يكون بتعمُّد: بتكسبه، بل هو كلام يفهمه العبد من غير صوت.. والواردات قد يترتب على سببٍ ثم ينساه العبد؛ كأن يفكر في أمرٍ من أمور آخرته؛ فيوجب له فكرهُ قبضًا مثلًا، ثم ينسى ذلك ويحسنُ القبض، روقد لا يترتب على سبب، بل ينشئه الحقُّ في قلب العبد؛ تنبيهًا على ما كان؛ أو ما يكون.. من قبض وبسط وسرور وفرح وغيرها..

أنواعها: والواردات تكون تارة وارد سرور وتارةً واردَ حزن، وتارةً وارد قبض، وتارةَ وارد بسط!! إلي غير هذه المعاني. أحكام الدلالات الرسالة القشيرية ج1 ص 329.

ـ وقال عبدالصمد الجبرتي: الواردات ثمرات الأوراد. الشرجي ـ طبقات الخواص. ص 104

(2) بَرْقٌ خُلّبٍ: خادع لا يتبعه مطر، يضرب مثلًا لمن يَعِدُ ولا ينجز. معجم المعاني

(3)سورة الانفطار آية 13

(4) سبق تخريجه.

(5)حديث أبي هريرة: أخرجه الترمذي (558/4 رقم 2317) وقال: غريب. وابن ماجه (1315/2، رقم 3976)، والبيهقي في شعب الإيمان (255/4، رقم 4987). وأخرجه أيضًا: ابن حبان (466/1، رقم 229)، وابن عساكر. جامع الاحاديث45/22.

واحد. ومن شروطه أن تحسن رعاية من استرعاك الله، فمن رعاياك جوارحك الباطنة والظاهرة. إذ هي أمانات عندك، ونعم مستفادة بحكم الكرم لا من طريق اللزوم.. فخيانتك في أمانتك غاية الكفران لنعمه.

ولا تتهم الله في رزقك؛ فالتهمة منبعها الشك، والشك يزيد الكفر الموجب للحجاب والبعد. فعند ذلك ينتكس القلب وعلامة انتكاسه رؤيته إياه في حالتيه، وفراره من الذم واستبشاره بالمدح. السعيد من سعد بما هو سبب شقائه، والشقي من شقي بما هو سبب فوزه، الشرف مقرون بالطاعة، والعز والكرم ميراث التقوى، الوضيع من وضعته مخالفته والراحة الكبرى انقيادك لوفق أحكام الربوبية وإن أردت أن تعرف منزلتك عند الله؛ فاعرف منزلته عندك. فانه ينزلك حيث أنزلته. وإياك إن يغرك الشيطان بترهات البطالين، وفاسد تأويل المغترين، فمن المحال المتعذر أن تحصد مالم تزرع، وأدل الدليل كلام الملك الجليل {وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى}[1]. {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه}،[2] وقال تعالى: {لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ}، [3] فالاجتباء (عناية)[4] والهداية سعاية.

[حقائق الذكر]

إن الله عز وجل بعدله هيكل الجسوم الشبحية وجعلها مطالع نجوم الحركات، وهدفًا لسهام الحادثات، وجعل منافذ أسماعها خلجانًا مؤدية إلى أوعية القلوب، حاملة لذيذ أسرار الغيوب،[5] باعثة روح النشاط عند ذكر المحبوب، فاعذب ألسنتها بحقائق الذكر، وسبحت

---

(1)سورة النجم آية 39

(2)سورة الزلزلة آية 7و8

(3)سورة النساء آية123

(4) في (ت) غاية.

(5)أسرار الغيوب على قسمين: ظاهرة وباطنة. فالظاهرة يعرفها أهل الظاهر إذا نظروا وحقّقوا والباطنة لا تُعرَف أبدًا بالنظر فإن معرفتها موقوفة على الوهب الإلهي، وهذا هو طور النبوّة والولاية والفصل بينهما لا خفاءَ به فأن النبي ﷺ متبوع تابعُه الولّي ومقتبس من مشكاته.(عرب، تدب، 208، 4).

القلوب في ميادين الفكر، فتخرجت لباب[1] العلوم الحقيقية من قشور الصور المجازية. إن الله عز وجل بفضله خلق الأشباح الخيالية، والأجسام المجازية، وجعلها أقفاصًا لطيور مكنون أسراره، وغرضا لسهام أقداره، تبصرة للحكيم الرباني، وذكرى لصاحب الإلقاء الإلهامي. {كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّك}[2] فمن تفرغ وانتهض لقضاء ما عليه وأخذ صارم عزمه وقطع به أوصال علائقه وعوائقه؛ فانه عدل في قضائه، قاهر لشيطانه قامع لأعدائه، قد هجر المحبوبات، وباين المألوفات، متكيًا على فرش الخدمة بطائنها من استبرق الحرمة، ترابي النسبة، ملكي الهمة، قد أوى إلي كهف الاتكال، متجردا عن الأشغال، ومفارقًا لأوطان التدبير والاحتيال، يشرب من عين الصغار، ويرعى في بساتين الرضا، لا يحزنه الفزع الأكبر عند اصتدام خيول الأهواء، ولا تستهويه خيول البدع عن المحجة البيضاء، فطابت أرض وصاله بريا طيب وصاله، فطاف على أرض قلبه طائف الهداية، بيده مقباس العناية، فأخرجه به عن ظلم حجب الغواية، وتوجه بتاج الولاية، ومنطقه بمنطقة الرعاية، وأجلسه على سرير الدراية، في حلة الكفاية، فاصبح معظمًا في ملكوته، مستأنسًا في حضرته، متلذذًا بمشاهدته، مستشعرًا لرؤيته.. قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون.

[تفسير آية]

في معنى قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}[3]

اصبروا على مناهي الله، وصابروا على اتباع امر الله، ورابطوا على إخلاصكم العمل لله، واتقوا الله من رؤية أفعالكم برؤية تقديرا لله لعلكم تفلحون.. إي تحضون بمشاهدة جلال الله.

---

(1)اللباب: بضم اللام، خلاصة كل شيء. معجم لغة الفقهاء 388/1

(2) سورة الإسراء، آية: 20.

(3) سورة آل عمران: الآية 200.

اصبروا على بلاء الله، وصابروا على أداء شكر الله، ورابطوا على الرضا بقضاء الله، واتقوا الله في الضر والنفع عن غير الله لعلكم تفلحون.. أي تحظون بمطالعة أسرار الله.

اصبروا على هجر العادات، وصابروا على بساط المناجاة، ورابطوا على التنعم بالخلوات، واتقوا الله في أنسكم بالمكونات لعلكم تفلحون.. أي تحضون في التنعم بروض المشاهدات. اصبروا على مفارقة الأوطان، وصابروا على مقارنة الخوف والأحزان، ورابطوا على معانقة الإخلاص[1] والإيقان، واتقوا الله مع رجوعكم إلى الشك والخذلان، لعلكم تفلحون.. أي تحظون بملاحظة الحضرة القدسية عن المكان.
اصبروا على قبول أمر الله، وصابروا على الرضا بمقدور الله، ورابطوا على صوامع معرفة الله، واتقوا الله من النظر إلى المصنوعات بعين الغفلة عن الله لعلكم تفلحون.. أي تحظون بالاستبصار بأسرار الله.

اصبروا عن رؤية الأسباب، وصابروا على ترك الاكتساب، ورابطوا على هجر المسار والمحاب، واتقوا الله في أخلادكم يا أولي الألباب لعلكم تفلحون.. أي تحظون برفع الحجاب.

اصبروا على حفظ الحدود، وصابروا على الوفاء بالعهود، ورابطوا على الإذعان له والسجود، واتقوا الله من الخلاف والجحود، لعلكم تفلحون.. أي تردوا عين الجود ونعيما غير مجذوذ.

[التحذير من البدع والمبتدعين]

قد اشتد الأمر وحار الفكر، ظهرت البدع وزال الورع، وقوي الطمع، تواترت الآيات، وعمت المنكرات، فلم يحزن أحد على ما فات، ظهرت الزلازل والنيران، فلم يفق احد من سكر الغفلة والنسيان، تمادت القحوط فأظهرت القنوط، عدِمَت أئمة المؤمنين من الخلفاء الراشدين، وتولى أهل الشرك أمور المسلمين، أقفرت البلاد من الصالحين واهل التوكل والموقنين.

---

(1) الإخلاص ضد الرياء.

هذا والله لأمر عظيم وخطب جسيم، أين أهل النظر؟. أين أهل الفكر.؟ أين أهل العبر.؟ أعمى في الأبصار أم خبل في الأفكار.!؟

انظر بعين الاستبصار إلى ما تجري به يد الأقدار، ولا تسلك سلوك أهل عصرك أهل التخليط والاكدار أهل الشك والإنكار، أهل الحرص والاغترار، أهل البطالة والاستنكار والاستكبار، أهل التعويق عن طريق الأبرار، إياك أن تغتر بهم، ظاهرهم ثياب، وباطنهم ذئاب، ودَّ أكثرهم ملق ونفاق. لو طلبت حقيقة ودهم لم تجد في الألف واحدا، طعّانون بهّاتون لا يقيلون العثار ولا يقبلون الاعتذار، هذا فيمن تعرف فكيف فيمن تنكر؟ فانا لله وانا إليه راجعون، لا ملجأ ولا منجا من الله إلا إليه، ولا حول ولا قوة بالله العلي العظيم، أصبحنا في امرٍ عظيم، وخطبٍ جسيم. يا لها من حيرة عامة ومصيبة طامة، أغارت عساكر البدع على قلوب أهل الإيمان، فسبت حريم الاحترام، وسلبت لباس الاحتشام، لم يبق للشريعة حرمة من البشر، ولا بقي لأهل الحقيقة[1] أثر، لم يبق للدين إلا الاسم، ولا من الإيمان إلا الرسم، عمّت الفتن العامّة، ودبت في الخاصة والعامة،[2] وقع الالتباس بالخروج عن ربقة

---

(1) ورد مصطلح الحقيقة في ألفاظ الصوفية على عدة معان، تدور أغلبها حول الصدق في الإيمان، وبلوغ درجة الإحسان، وكمال المراقبة، والمداومة على النظر في أفعال الله. المصطلحات الصوفية ص310

ـ ويبين القشيري: أن الحقيقة في اصطلاح الصوفية، ما يقابل الشريعة، فالشريعة أمر بالتزام العبودية، والحقيقة مشاهدة الربوبية، وكل حقيقة غير مقيدة بالشريعة فغير مقبولة فالشريعة جاءت بتكليف الخلق، والحقيقة إنباء عن تصريف الحق فالشريعة أن تعبده، والحقيقة أن تشهده، والشريعة قيام بما أمر، والحقيقة شهود لما قضى وقدر وأخفى وأظهر، والشريعة حقيقة من حيث أنها وجبت بأمره، والحقيقة أيضا شريعة، من حيث إن المعارف به سبحانه أيضا وجبت بأمره.الرسالة القشيرية 86/2.

(2) خصه بالشيء يخصه إذا أفرده به دون غيره، والخاصة ضد العامة. لسان العرب 24/7

. الخاصة ضد العامة، وهم أعلى في المقام والمنزلة وربما تتنوع دلالة الخصوص من مفهوم لآخر على النحو الآتي: 1- الخاصة منزلة يتصف بها أصحاب الدرجة الإيمانية العليا، المتحققون في تقواهم وإخلاصهم لله، أو غيرهم، كما روى عن أبي بكر الوراق (ت:بعد250هـ) قال: (الخاصة هم الذين فقهت قلوبهم، وحسنت أخلاقهم، وكانوا أئمة يدعون الناس إلى الخير والعمل به وسالموا السلطان على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، والعلماء على صدق الخبر، والعامة على ظاهر الأمور، فإذا خلو من ذلك فهم المفترون، وإذا فسدت الخاصة غلبت الكذبة على الصادقين والكهنة على الموقنين والموسوسون على المخلصين) طبقات الصوفية ص.226

2- الخاصة هم الصوفية دون غيرهم من العامة أو سائر الطوائف، فيذكر السراج الطوسي أن الصوفية هم الخاصة، لأنهم يختصون عن غيرهم بالارتقاء إلى الدرجات العالية، والتعلق بالأحوال الشريفة، والمنازل=

التقوى والورع اتبعت الشهوات وارتكبت المحرمات، وهانت الموبقات، وكثرت السيئات، خفت الأمانات، وترادفت التبعات، وولوا عن الدين مدبرين لا يرقبون في مؤمن إلاّ ولا ذمة.

قد ثقبت شهب الظلالة في قلوبهم، ورتعت ديدان الوسوسة في قلوب أهل التمييز والنظر، قد سبحت أفكار فهومهم في تيار برزخ الشك والحيرة، صُم لا يسمعون مناطقة العبرة الباهرة، عُميٌ لا يبصرون جلاء حُسن عروس الكائنات المبصرة، بُكم لا يعقلون عن الله بواسطة مصنوعاته الباطنة والظاهرة، في أذهانهم خبَل عن استخراج ما أودع من لطيف خفي سرّ حكمته فيما اخترع وجال الشيطان في ميادين الالتباس والغباوة مناديًا وقد اودع الداء الدفين في نصحه.

يا أهل العقول الفطنة[1] والكياسة هلمّوا إليَّ وعندي قد نَهَجت لكم الطريق إلى محجة التحقيق[1] وغرهم في دينهم فتركهم في ظلمات لا

=الرفيعة من أنواع العبادات، وحقائق الطاعات والأخلاق الجميلة، ولهم في معاني ذلك تخصيص لغيرهم من العلماء والفقهاء، وأصحاب الحديث ثم يبين على حد زعمه بعض الأنواع التي تفردوا بها، فأول شيء من التخصيصات التي للصوفية وما تفردوا بها عن غيرهم، ترك ما لا يعنيهم، وقطع كل علاقة تحول بينهم وبين مطلوبهم ومقصودهم، إذ ليس لهم مطلوب ولا مقصود غير الله تبارك وتعالى، ويذكر أيضا أن الصوفية لهم تخصيص من طبقات أهل العلم بفهم آيات من كتاب الله تعالى متلوة، وأخبار عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – مروية ما نسختها آية وما رفع حكمها خبر ولا أثر، يدعو ذلك إلى مكارم الأخلاق، ويبحث عن معالي الأحوال وفضائل الأعمال، وليس لغير الصوفية من أولى العلم القائمين بالقسط في ذلك نصيب غير الإقرار به والإيمان بأنه حق. ويشير السراج الطوسى إلى أنه من أعظم النعم التي اختصوا بها دوام المراقبة وهي: التحقق بمقام الإحسان. وللصوفية أيضا تخصيص في معرفة الحرص والأمل ودقائقهما، ومعرفة النفس وأماراتها وخواطرها ودقائق الرياء والشهوة الخفية والشرك الخفي، وكيفية الخلاص من ذلك، وكيفية وجه الإنابة إلى الله عز وجل وصدق الالتجاء، ودوام الافتقار والتسليم والتفويض والتبري من الحول والقوة، ولهم أيضا على حد زعمه مستنبطات في علوم مشكلة على مفهوم الفقهاء والعلماء، لأن ذلك لطائف مودعة في إشارات لهم، تخفى في العبارة من دقتها ولطافتها، فالصوفية عند السراج الطوسى مخصوصون من أولى العلم القائمين بالقسط بحل هذه العقد والوقوف على المشكل من ذلك انظر.. اللمع ص28: ص33. المعجم الصوفي ص 350

ورد عن عبد الرزاق الكاشاني حيث قال: (الخاصة هم علماء الطريقة وخاصة الخاصة هم علماء الحقيقة) لطائف الإعلام 441/1.

ـ العامة في الاصطلاح الصوفي ضد الخاصة، وهم الذين اقتصر نظرهم على علم الشريعة فقط، ويراد بالعامة علماء الرسوم، والعباد الذين لم يصلوا بعد إلى مقام المحبة. لطائف الإعلام 102/2.

(1) الفطنة الحذق والمهارة.

يبصرون. يَعِدُهُم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا.. بأن استحلوا ما يأخذونه من أيدي السلاطين وأهل التخليط ورؤية انفسهم بعين الكمال، ورؤية الخلق بعين النقص والاستقلال، أين العلماء المميزون المبرزون والحكماء العارفون؟. أين العلماء بالله لا العلماء بأمر الله؟. أين المخصوصون بالفضل والقائمون بالعدل أين المشهورون في الأمصار والمقتدى بهم في الاعصار؟. أين الذابّون عن دين الله في الأقطار؟. أين الذين لم صرفوا رغبتهم عن التعلق بزخارف هذه الدار؟. أين الذين لم يبق لهم رغبة في الدارين سوى مليكهم الجبار؟. أين الذين آثروا الله في الأيسار والإعسار؟.

أما الخيام فأنها كخيامهم.. وأرى نساء الحي غير نسائها[2].

كان السلف الصالح ﵃ يتعوذون بالله من إدراك ما أدركنا من الفتن، ومن سوء ما شهدنا من المحن، فقد والله عظمت المصيبة لفقد أمثال هؤلاء الأعلام.

اللهم أحي موات أرض قلوبنا بغيث سحاب العلم النافع، وابعثنا من وحشة ظلام قبر الجهل القاطع إلى بقاع[3] فضاء المعرفة بالصانع، وأعزنا بجنود التقوى والورع المانع، واكحل أبصار بصائرنا بمرود أهل الاعتبار، وتوجنا بتيجان الوقار، وزينا بزينة ترك الاختيار،[4] وحلَّ

---

(1)التحقّق معناه التحقيق وهو مثل التعلّم والتعليم، و"الحقيقة" اسم و"الحقائق" جمع الحقيقة، ومعناه وقوف القلب بدوام الانتصاب بين يدي من آمن به، فلو داخل القلوب شكَ أو مخيّلة فيما آمنت به حتى لا تكون به واقفة وبين يديه منتصبة لبطل الإيمان. الطوسي اللمع: ص 12,413

(2) هذا البيت من قصيدة:

لمّـــا تبـــدلتِ المنـــازلُ أوجُهًـــا   غيرَ الـذين عهدتُ من علمائِها
ورأيتهـــا محفوفـــةً بســـوى الألى   كـــانوا ولاةَ صـــدورِها وفِنائهـــا
أنشـــدتُ بيتًـــا ســـائرًا متقـــدمًا   والعينُ قـد شـرقت بجاري مائها
أمـــا الخيـــام فإنهـــا كخيـــامهم   وأرى نســـاء الحـــي غـــير نســـائها

(3) بقاء ـ في نص الدعاء الوارد في مخطوط كرامات الزيلعي ص 116

(4)الاختيار الذى يعنى اختيار العبد لما أراده اللَّه شرعا، فليس للعبد إرادة مخالفة لإرادة اللَّه الشرعية، وللصوفية في هذا المعنى، ما روى عن يحى بن معاذ (ت:258هـ) أنه قال: (ما دام العبد يتعرف يقال له لا تختر، فإنك لست بأمين في اختيارك حتى تعرف، فإذا عرفت، يقال له: إن شئت فاختر وإن شئت فلا تختر، فإنك إن اخترت فبنا، فيما تختار وفيما لا تختار).اللمع ص429 وانظر نوادر الأصول للترمذي ص89=

ظواهرنا وبواطننا بحُلي الاستبصار، وغيبنا بك عن الآثار، وأنظمنا في سلك المصطفين الأخيار، وعرفنا مزَلَة أقدام الأشرار، وقنا الانقطاع عنك بملاحظة الأغيار من العلائق الظاهرة والعوائق الباطنة، وطهر بواطننا من الإدلال بالعلوم، وظواهرنا من التعلق بالرسوم، وأيدنا بجنود عدم الالتفات إلى الجزئيات، وسلمنا من الآفات والإدلال بالطاعات[1]، إنك أهل الامتنان والعطيات برحمتك يا ارحم الراحمين. هذه مسألة يحتاج أن ترفع إلى من بقي من أمثال هؤلاء الأفراد القائمين بالحجة،من أهل الهدى والرشاد، والرادّين على أهل الخلاف والجحد والعناد، الناصحين للعموم من الخلق في جميع البلاد، المشمرين في كشف ظلام الشك والريب عن طريق العباد،[2]المنزهين من درن الالتباس عن قلوب أهل الشك والإلحاد، ليكشفوا عن حقيقة الحال وسوء المآل، ويداوا علل أمراض القلوب المتحيرة بمراهم العلوم، ويلقوا إكسير[3] حياة العلم الشافي من موات أرض الفهوم، ويهزموا جند

=وما بعدها حيث يبين أن اختيار العبد الذى يعود عليه بالخير يكون في اختيار الله له وانظر ختم الأولياء ص 279. والمعنى: ما دام العبد في طريق المعرفة باللّه، فهو مأمور أن يختار اختيار اللّه له بالمجاهدة في اتباع الشرع، ومن ثم إذا داوم ذلك سوف تتكيف إرادته على مراد اللّه واختياره، وعند ذلك يسمع بسمع اللّه، ويرى بنور اللّه، فأي شئ يختاره وقتها، سيكون اختيارا من اللّه، لأنه صديق يدور في دائرة المجال الشرعي والكوني معا، أو بعني آخر تتفق إرادة العبد، مع الإرادة الشرعية والكونية معا، وهذا المعنى يشهد له أيضا، ما روى عن أبي يزيد البسطامي (ت:261هـ) لما سئل من هو الأمير؟، فقال: (من لم يبق له اختيار وصار اختيار الحق له اختيارا).. كشف المحجوب ص470، وانظر في تفصيل كلام أبى يزيد مفهوم الحرية عند صوفية القرنين الثالث والرابع، رسالة ماجستير للمؤلف، كلية دار العلوم (824) 1995م ص 240.

وقوله أيضا لما سئل ماذا تريد؟، قال: (أريد ألا أريد). الرسالة 473/2، وانظر قوت القلوب للمقارنة بكلام المكي 128/1.

فالاختيار في اصطلاح الأوائل منهم، إشارة إلى ما يختاره اللّه للعبد في دنياة من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة، والعبد يختار ذلك بعناية اللّه له، حتى يختار باختار اللّه له، لا باختيار نفسه. اللمع ص429، وانظر الزيد عن هذه العلاقة في طريق الهجرتين لابن القيم ص216.

(1)الإدلال: هو الإنبساط بالعمل الذي يصل إلى الإغترار.

معنى زائدًا في العُجب وهو أن يعجب بعمله أو علمه فيرى أن له عند الله قدرًا عظيمًا قد ستحق به الثواب على عمله فغن رجاء المغفرة مع الخوف م يكن إدلالًا وإن زائل الخوف ذلك فهو إدلال. (المحاسبي،كتاب الرعاية لحقوق الله عز وجل:213/5.

(2)اظهار حقيقته لهم.

(3)اكسير: ما يلقى على الفضة ونحوها ليحيله إلى ذهب خالص في رأي المتقدمين، يوناني من كسيرون. معجم لغة الفقهاء 19/1

الالتباس والبدع بصولة التعليم والرد على البدع، ينصرون جند الرحمن، ويخذلون جند الشيطان ذوي الألسن الفصيحة، والعقائد الصحيحة، الباذلين المعروف والنصيحة، فإلى أمثالهم ينتجع ولأثارهم يتبع ولأقوالهم يستمع، فصحبتهم من صحة اليقين وفراقهم خلل في الدين، فطاعتهم تقربك ومخالفتهم تبعدك، أيها السالك المشمر الفطن الحذر؛ إن ظفرت بأحد من هؤلاء الأفراد فاتخذهُ وسيلة إلى رب العباد، ودرعا منيعًا لقلبك من الشك والإلحاد. وصلى الله على سيدنا مُحَّد سيد العباد، وسراج البلاد، وعلى آله وأصحابه الأمجاد وسلم.

[رسالة مختصرة في معرفة آداب السلوك]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.. وصلى الله على سيدنا مُحَّد النبي الأمي، وعلى آله وصحبه وسلم؛ الحمد لله الذي نزه قلوب أصفيائه من أكدار طبعها، ومخرجها من أكنَّةِ[1] علائقها بإعتاقها من رق عبودية محبوباتها، ومطلقها من أسر سجون رسوم عوائدها بلطافة أوصافها، فانطفأت جمرة غضبها بنزول سكينة نور ربها، وانطردت ديدان وساوسها، بالتعري عن أثواب مطامعها، وذل هوان همومها، فلازمت هنالك الحزن الدائم على التفريط في سالف أيامها، وأعرضت عما يفرقها ويكثر همومها وغمومها وخرق أسماع فهومها، نداء تنزيل ربها ففهمت مكنونه بلطافة نور إلهامها، وزال الران الحادث عن أدخنة شهواتها، لو كان عرضًا قريبًا وسفرًا قاصدًا لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة، تنبيهًا لها على شوم القناعة بخسائس حظوظها، حينئذٍ استقامت لشرف ذاتها وقوة عزمها لمقاومة أعداء أعدائها، النفس والشيطان ومردة أهوائها،

---

(1)كننت الشيء أكننته بمعنى واحد عند الأخفش قال: "تقول: كننت الجارية: إذا صنتها، وكننتها من الشيء وأكننتها من الشمس أيضا. ويقولون: هي مكنونة ومكنة.... لأن قيسا تقول: كننت العلم فهومكنون، ويقول بنوتميم: أكننت العلم فهو مكن، وكننت الجارية فهي مكنونة، وفي كتاب الله عز وجل: {أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ}، وقال: {كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ} وقال الشاعر:

قد كن يكنن الوجوه تسترا … فاليوم حين بدون للنظار

وقيس تنشد: قد كن يكنن" معاني القرآن 280/2

فاستطالت بقوة يقينها على شياطين شكوكها، وكسرت أصنام شركها بِمعوَلِ إيمانها، وطرحت ترياق التعظيم على أدواء كبرها وإعجابها، فاستعلت من أراضي رذائلها وسمت بعلو همتها إلي سماء نيلها. حينئذٍ تتبدل أوصافها، ويكمل اعترافها بالتبري عن حولها وقوتها، فتصبح آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدًا من كل مكان، بوسائط الأملاك، المبشرين لها بدخول جنات المعارف، وشروق أنوارها واجتناء أثمارها، فتلاحظ هناك علمًا لا معلومًا، وذاتًا مقدسة تميس في حلة جمالها، وتسمع منادي الغيب الرباني من عالم قدسها.{يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ، ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً، فَادْخُلِي فِي عِبَادِي}[1]

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة من عرفه بوحدانيته، وجعلهُ شاهدًا على جميع مكنوناته، كما أخبر تعالى والله على كل شيء شهيد.

وأشهدُ أن محمدًا عبده ورسوله، الذي أختاره لدينه وارتضاه، وانتخبه على الكافة من خلقه واصطفاه وعلى أله وصحابته المهتدين بهداه.

أما بعد يا إخواني: فإن ملازمة ذكر الله نور وبرهان، والغفلة عنه تورث مقارنة الشيطان،

وذلك قوله تعالى: {وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ}.[2] وجولان الفكر في ميادين مصنوعاته يوجب غيبة عن الأوطان، حينئذٍ يسمع بآذان واعية مناطق العبر الباهرة، معبرة عن موجدها في أفصح لسان. فشدوا مئزر الحذر من الافتتان بزخارف دار الحدثان،[3] فإنه قد أزف الرحيل وحان وقت السفر الطويل إما إلى جنة يدوم نعيمها، وإما إلى عذاب وبيل. فأعدوا زادًا مبلغًا لبعد السفر،

---

(1)سورة الفجر: آية 27. 28. 29

(2)سورة الزخرف: آية 36

(3)الحَدَثانِ: الليل والنهار.

وطول القيام في المحشر وتقربوا إلى الله بالسكون تحت مجاري القدر والرضا بمواقع الخطر.

اعلم وفقنا الله وإياك: أن أصل إعراضك عن الله تعالى وإعراضك عن العقبى؛ إقبالك على الدنيا، واستيلاء حبها على قلبك، وذلك لفساد ميل الطبع القلبي ففساده بكثرة أخلاط الشهوات، ونتن جراح ارتكاب المحرمات. رب شهوة انقلب لها القلب لا يعود إلى حاله أبدًا، ويتولد من ذلك قوة الحرص وكثرة الأماني، فباعتياد البطالة حينئذٍ تنّحل رابطة الورع فيهيج ليث الطبع بمخالب الطمع، فيفسد القلب وذلك سبب الخذلان نعوذ بالله من ذلك، فإذا أراد الله بعبد خيرًا بَصَّرَهُ بعيوب نفسه، فأخذ في علاج جراح قلبه، بمرهم الندم وترياق الأسى. ويأخذ من الأشربة إيارج[1] الحزن وإهليج المراقبة [2]وشراب بنفسج الصبر ويسحقه على مساحق الزهد ثم يعجنه بما الصدق والإخلاص ثم يطرحه في طنجير الرضا ويوقد تحته نار الشوق بحطب المحبة ويحركه بمحراك الخوف فإذا نضج بسطه في صحاف التوكل، ويأخذه بملاعق التوحيد يجد طعم العافية إن شاء الله تعالى.

اعلم أن كُلما عرض على الجوهر فهو عارض عليه ومعرب عنه، وهما عالمان كثيف ولطيف، فارتباط أحدهما بالآخر كارتباط الحياة والروح. فهذه عبارة عن العالم الروحاني والجسماني، فكل واحد منهما في مناسبة الآخر، وليس في مقابلته، فإذا أمعنت النظر فيهما وجدت بينهما بونًا بعيدًا ومأخذ هذا من علم التجريد، فقس أحدهما بالآخر أيهما أحق بالحياة الأبدية،[3] لكن معرفة الأسنى متعذرة إلا من طريق

---

(1)إِيارَجُ: بالكسر وفتح الرّاءِ، فارسيّ (مُعرَّبُ إِيارَه، وتفسيره: الدَّواءُ الإِلاهِيّ). قلت: وهاذا التفسيرُ مَحلُّ تأَمُّلٍ.تاج العروس جواهر القاموس ج6 ص 291

(2) المراقبة لغةً: دوامُ ملاحظة المقصود، واصطلاحًا: دوام النظر بالقلب إلى الله، وترقب ما يبدوا من أفعاله وأحكامه، ويعبَّر عنه باستشعارك نظَر الله إليك في حركاتك وسكناتك.

(3)الأبد في المعنى اللغوي هو الدهر . معجم ألفاظ القران الكريم.

الفرق بين الأبد والأزل، أن الأبد هو ما لا نهاية له ولا آخر، والأزل ما لا بداية له ولا أول.(الشيخ أبو نصر الطوسي . اللمع . ص: 441تحقيق الدكتور عبدالحليم محمود).

معرفة الأدنى، فاجعل الأدنى سُلمًا ترتقي به إلى سماء معرفة الأسنى، تفز بالسعادة الأبدية.

رميك سهام اللحظات إلى المحظورات تعقبك ترادف الحسرات وعدم الالتفات عند اضطرام نار الشهوات عن تلمح عواقب اللذات يلقيك في مطامير[1] الهلكات.

ميلك إلى خوادع الآمال ينسيك سرعة الآجال. انخداعك بلامع السراب يقطعك عن الأحباب ويبعدك عن الجناب، فتصير طعمة لنار الحجاب، بدليل قوله تعالى:{كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ}[2]، من صح حجابُه عاجلًا وجب حجابه آجلا. يا غريقًا في بحار الغفلة، يا سكرانًا بخمار خمر الهوى، يا مخدوعًا بلمعان بريق سراب الدنيا، يا ولهان حبها، يا محرق القلب بنار حسرة فقدها. إنما هي جعلت لك مطية لترحل بها عن ظلمة ضيق الجهل إلى فسحة ضياء العلم والعمل، فلا تصرفها عما انطوت عليه من بدائع الأسرار، فتوردك موارد الأخطار، فتكون من الذين بدلوا نعمة الله كفرًا وأحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار.

نقول وبالله التوفيق: إن من صحح شرائط تقواه ملك هواه، ومن ملك هواه استرق مولاه، ومن استرق مولاه سقطت دعواه، ومن سقطت دعواه لم تخط فتواه.

وأعلم إن معرفة مقتضى أوصاف العبودية مقرون بمعرفة أنفاس أوصاف الربوبية، من عرف نفسه عرف ربه، فمعرفتك نفسك ثبوت حدوثها عندك اضطرارًا. فثبوت حدوثها نفي القدم، وثبوت القدم لموجدها اضطرارًا، فإذا قرنت الحادث بالقديم تلاشى وصار حديثًا ولم يبق له أثر.

وسأله رجل عن أول السلوك فأجابه ﵁:

---

(1) مطامير: المطمورة بفتح الميم الاولى وفتح الراء ج مطامير، مؤنث المطمورالسجن، ومنه وضع الاسير في المطمورة ومكان يحفر في الارض وتخبأ فيه الاشياء كالحنطة ونحوها. معجم لغة الفقهاء **336/1**

(2) سورة المطففين، آية: **15**

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ.. وصلى الله على سيدنا مُحَمَّد وصحبه وسلم.. الحمد لله مُحَلي القلوب الروحانية بجواهر الحكم الربانية، ورافعها عن كثائف خيال عالم الجسمانية[1]، ومخرجها عن أكنَّة ظلام رسوم عوائد الطباع النفسانية، ومحلها في رفيع بقاع حدائق رياض مروج حضائر قدس الأزلية، ومجلسها على بساط انبساط أنس إدلال دهشة حيرة فناء بقاء دوام الديمومية. فبرزت لها الحقيقة في حلة نورانية لطيفة قدسية، فتقاطرت عليها منها أنوار عرفانية ذوقية[2] كشفية، فشاهدت ولاحظت وتحيرت وغابت عن الأشكال الحسية، فحبيت بأنوار وأتحفت بأسرار علمًا مكنونا مصونا عن العقول الزكية. وسقاها بكأس الوصال في مقاصير الاتصال[3] شرابًا ممزوجًا بلطائف غيبية، مديرها ساق لا ترمقه العيون ولا تحصله الظنون، محجوب عن الأفكار الوهمية وهب لها نسيم حويجد الوجود بعرف أنفاس مسك علوم كلية، ولاح لها برق الوجود من أفق الجود حيث لا جهة ولا مسافة ولا كيفية، فتاقت واشتاقت وسكرت وتاهت في بحر الفردانية، ونادها منادي الغيب الرباني لا يظفر بقربنا من فيه للكون بقية.

وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له ذو الجود والعطايا السنية.[4] واشهد إن مُحَمَّد عبده ورسوله المعطي عقد الخلافة في البرية، صلى الله عليه وسلم وعلى أصحابه الذين ذبوا عن دين الله بأنفس سخية.. أما بعد:

---

(1)الجسمانية: هو الجسم في عالم الملكوت. مصطلحات كتاب سر الأسرار، عبدالقادر الجيلاني.. تحقيق خالد مُحَمَّد الزرعي، مُحَمَّد غسان عزقول، مكتبة الجيلاني

(2) القائلون بأن التصوف تجربة ذوقية، يقصدون أنها تجربة تنفرد بها ((الذات)) ولا تمازجها ذاتًا أخرى في التلقي والإرسال: تجربة يعرف بها المجرب نفسه فيكتب أو يقول ما يعرفه وهو يعي ذاته الفردية ويدرك خبراته الروحية، د.مجدي مُحَمَّد إبراهيم، التصوف السني حال الفناء: ص 38

(3) هو مكاشفات القلوب ومشاهدات الأسرار، فإذا سلك المريد الصادق،طريق مجاهد الله مجاهدًا صابرًا مخلصًا، فان الله سبحانه وتعالى يكاشفه ببعض الحقائق ويشهد له بعض المغيبات كثمرة من ثمار توكله وفقره ومحبته لله تعالى.(معجم ألفاظ الصوفية ـ د. حسن الشرقاوي ص.26)

(4)السنية: الرفيعة

فيا ذا العقل السليم المتجرد عن كل خلق ذميم المظهر فرط الرغبة في مواطن التعليم، الحريص على اقتباس العلم المفضي إلى صراط مستقيم فإنك إن كنت صادقًا في طلبك وحريصا على إحراز سعادتك المؤدية إلى سرورك وغبطتك أجبتك مسرعًا ولقولك سامعًا وقد استخرت الله تعالى في جمع ألفاظ في معرفة آداب السلوك من مدلول العقل والنقل وجيزة مختصرة، ومن مفاتح الغيب موقره، تسكينا لقلبك وإسعافًا لمسألتك ورجاءَ بلوغ أمنيتك، إنه قريب مجيب.

في معرفة أداب السلوك:

نقول وبالله التوفيق وهو الهادي إلى أوضح الطريق: إن أول السلوك تجريد العزم، وصرف الرغبة في المهم، وإحراز السعادة الكبرى برفض كلما يشغل عن الله تعالى، من أهل ومال وولد، والإقبال على الله تعالى بالكلية، بقطع علائق القلب والحزن [1] على التفريط فيما سلف، وإصلاح الخلل في المؤتنف وهجر الأوطان والاعتزال عن الجنسية [2] والأنس بمواطن الخلوات، والتمسك بذلك القلب وترك الخوض فيما لا يعني، واحتمال الأذى، والخروج من رق عبودية النفس بمعرفة آفاتها ومفارقة حيل الكسب ثقة بالله تعالى، والتعري عن أثواب المطامع مع استغنائه والاستعانة على النفس بالجوع [3] والعطش على التدريج، وملازمة السهر، وهجر الراحة، ومضاعفة الكد، والإيثار

---

(1) الحزن: من أوصاف الصوفية في سلوكهم وحياتهم والمريد الحزين عند أئمة الصوفية يُيسر له الانتقال من مقام إلى مقام أثناء رحلة مجاهداته ورياضاته أسرع من المريد الذي فقد حزنه، ويقال أن ما يقطعه الحزين في، شهر يقطعه غير الحزين في سنة.معجم ألفاظ الصوفية. الشرقاوي د. حسن، ص 122.

. وقال الحارث بن أسد المحاسبى (ت:243هـ): (إذا حزن العبد في الدنيا للأخرة، فهو المفروح غدا فى جوار الله، وإذا حزن في الدنيا للدنيا فهو القاصي عن قرب الله عز وجل، ومخرج الحزن علمهم بعلم الله عز وجل فيهم أنه قد رآهم في مواطن يكرهها، فهم غير آمنين لا تقر لهم أعين، ولا ينشطون لفرح لما غلب على قلوبهم من الأحزان). طبقات الصوفية ص59.

(2)العلاقة الزوجية

(3) الجوع مصطلح صوفي ورد على المعنى القرآنى كأدب من آدابهم يفضلونه على الشبع، وربما أطلق بعضهم علي الجوع الموت الأبيض. انظر طبقات الصوفية ص93 انظر التعريفات ص 255.

- روى عن يحى بن معاذ الرازى (ت:258هـ) أنه قال: (لو علمت أن الجوع يباع فى السوق ما كان ينبغى لطلاب الآخرة إذا دخلوا السوق أن يشتروا غيره). اللمع ص269

بالموجود، وترك طلب المفقود، والعمل بالسنة دليل قوله تعالى: {وَمَاآتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا}،[1] وقال تعالى: {مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ}،[2] فجعل طاعته مرتبطة بنبيه، والإياس من الخلق، وطمس آثار الهوى ومحو ما سطرته يد العادة، والتحصن بالورع من عدو الشح المطاع والهوى المتبع، والتَدَرّع بمعرفة سرعة الأجل من وهج نيران الحرص والأمل، وترك التكبر على الخلق بمعرفة النفس ورؤية المنّة عند ثوران بخار العجب، وإماتة الخلق في القلب عند طهران طوارق الرياء، والتفقد لأحوال[3] القلب بكمين المراقبة، وإجراء[4] سفن الفكر في بحار الصنع الإلهي، والتأمل فيما سطرته يد القدرة في ألواح الأشباح، وفي أنفسكم أفلا تبصرون.

فالصوفي المحقق: قد زال ارتيابه، وانقشع سحابه لمّا قام بقلبه شاهد العلم أبصر حينئذ وعاين وفارق وباين؛ فلم يعرج على ما شاهد ونال ولم يغتر بما صفا له من حال؛ لعلمه أنه يفعل ما يريد، ويختص من يشاهد من العبيد، لا يتوجه لأحد عليه حق، ولا يحكم عليه خلق، ثوابه فضل، وعقابه عدل، ولا تجب عليه رعاية الأصلح.

فمن عرفه بهذه المعرفة؛ قلَّ إلمامه بالراحة، واتخذ حرفته طول النياحة.

من كان محلًا للأغيار، وهدفًا للأقدار؛ استغفر وتاب آناء الليل وأطراف النهار.

وقد نبه المصطفى ﷺ على وجوب دوام الاستغفار برمز إنه "ليغان [5] على قلبي فاستغفر الله كل يوم سبعين مرة".

---

(1)سورة الحشر: الآية 7.

(2)مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا. سورة النساء الآية 80

(3) أربع أَحوال قبل العمل بالجارحة: الخاطر وهو حديث النفس، ثم الميل، ثم الاعتقاد، ثم الهم.(غزا، أخ، 45، 10)موسوعة التصوف

(4) تحريك.قال الله تعالى(وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاس)

(5) "ورويّ مئة مرة". أخرجه مسلم في صحيحه "كتاب الذكر 41. وأبو داود في سننه برقم 1515كلاهما عن الأغرَّ المُزنيّ رضي الله عنهما.

وصية

عليك يا أخي ببذل المجهود، ورؤية (عين)[1] الجود، وإياك والفترة[2] فأنها تورث الحسرة، ولا تفارق الجماعة فتموت موتة جاهلية وكن بصير بعيوب نفسك فلك فيها شغل شاغل، ولا تتعرض لكشف عيب غيرك، فتستحق وعيدان.. {إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ}. [3]

وذِب عن أعراض إخوانك، تكن مسلمًا واسْع في أغراضهم تكن مؤمنًا، ولا تهتك أعراض الناس فتمزقك كلاب جهنم، قال الله تعالى: (والناشطات نشطا) [4] قيل هي كلاب في جهنم، واخزِن عليك لسانك فإنه سبع إن اطلقته افترسك، ولا تغتر بصحبة الناس لك، ولا بثنائهم عليك، كُن وصي نفسك فإنك في زمان نصائحه ممزوجة بالغش، ووده مشوب بالخدع، ولا تفش سرك إلى إخوانك، أنلهم معروفك، واقطع طمعك من معروفهم، كن حسن الخلق، لين العريكة، طلق الوجه، خفيف المؤنة، دائم الفكرة، فطن القلب، خميص البطن، جوادًا من غير سرف، ولا منانا ولا مرائيًا ولا مدعيًا، صبورًا عند كل كريهة، متوكلًا عند كل نازلة، مفوضًا راضيًا. فأنك يا أخي لا تخلوا في هذا الزمان من طوارق الحدثان، فاجعل التقوى زادك، والصبر شعارك ودثارك إيثارًا لله وتقديمًا لمحابه على هواك، فأنك يا أخي لا تجد طعم إيمان العافية حتى تؤثرهُ على غيره، وإياك أن تغضب لنفسك على الله؛ بل تغضب لله على نفسك. كن وحيد عصرك، وفريد دهرك، فارًا بدينك.

قال المناوي في فيض القدير: ج11/3: قال الإمام ابو الحسن الشاذلي: هذا غين أنوار لا غين أغيار، لأنه دائم الترقي، فكلما توالت أنوار المعارف على قلبه ارتقى إلى رتبة أعلى منها، فيعد ماقبلها كالذنب..أي فليس ذلك الغين غين حجاب وغفلة..

(1) في (ت) ساقطة

(2) الفترة: السكون

(3) سورة النور: الآية 19.

(4) سورة النازعات: الآية 2.

فمن علامات الأنس بالله: وجود الوحشة من الخلق، قال صلى الله عليه وسلم"((كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل))[1]. واحذر الله حذرًا يقبضك عن الانبساط، وارجه رجاءً يمنعك من القنوط، كن كيسًا فطنًا عارفًا لأهل زمانك، هاربًا من أصدقائك ولا تجنح إلى الرخص والتأويل، فأنه رائد التحويل والتبديل، ولا يحملنك استبطاء الرزق على أن تطلبه بمعصية الله، ولا تطلب رتبة الصديقين بالكسل والتمني، فتحشر مع الفجار الحمقى. قال ﷺ: ((الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والأحمق من اتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني))[2] فهذه نصيحتي لك، وشفقتي عليك. فاطلب الخلاص لنفسك فأنها أعز الأشياء عندك والسلام.

وهذا ما حضر من الكلام مع كثرة الإشغال، وضيق الوقت. فنسال الله النفع بما جمعناه، وان يجعله خالصًا لوجه الله بمنه وكرمه، انه بذلك جدير، وعلى ما يشاء قدير، ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين.

في معرفة آداب أوراد وظائف الليل والنهار

ينبغي للسالك في ابتداءِ طلبه؛ أن يستمطر من الجود الإلهي، والعطف الرباني صحة الطلب المزعج عن العوائق والعلايق، بقلب سليم عن طلب الأغيار، والتردد في الآثار. عند ذلك يطيب سفره ويخف عليه حمل وعثاء السفر ومؤنه، ويستقبل ذلك بصبر جميل على ما يستقبله من المكاره ويتحمل المشاق بطيب نفس، ولم يعتريه التكلف؛ لأن التكلف جالب الأعياء والملال. فأول شيء يستقبله الإنابة إلى الله تعالى من المعاصي التي تتعلق بالأعضاء الظاهرة والباطنة، ويجعل

---

(1) رواه البخاري عن ابن عمر (2358/5، رقم 6053). وأخرجه أيضًا: ابن حبان (471/2، رقم 698)، والبيهقي (369/3، رقم 6304).جامع الأحاديث الجزء الخامس ص405

(2)"الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت" . اخرجه الحاكم في المستدرك من حديث شداد بن اوس وقال صحيح على شرط البخاري).

الخلوة[1] شعارة ودثاره، وتكون له وظائف من الأذكار المخصوصة، بالتجرد للسفر إلى الحضرة الإلهية، والتنعم بجوار الله تعالى، ووظائف الفكر وتلاوة القرآن.

[أوراد النهار]

فأول نهاره يكون مشغوف القلب بذكر الله تعالى، من حين يصبح إلى أن ترتفع الشمس قيد رمح، ويصلي عند ذلك ركعتين. كان رسول الله ﷺ يصليها وينصرف؛ وهما معدودتان من الضحى.

هذا أول ورد في النهار ويكون ملازمًا فيه للصمت، ولا يتخلله بكلام بغير ذكر الله تعالى. ثم يشرع في التفُكر[2] في عظمة الله تعالى وتمام قدرته في هذا الصُنع المحكم والتدبير والترتيب المتقن، ويكون مستغرق القلب بذلك إلى أن يمضي من النهار الربع حينئذ يصلي الضحى على قدر استطاعته نهايتها على اثني عشر ركعة، وينام بعد ركوعه مقدمًا لنية السهر استعانة على وظائف أوراد الليل لا لطلب الراحة واللذة حتى يكون نومه من جملة وظائف أوراده وصدقة عليه إلى

---

(1)كذلك قال الإمام الشافعي: رحمه الله تعال: (ومن أحب أن يفتح الله قلبه، ويرزقه العلم، فعليه بالخلوة وقلة الأكل، وترك مخالطة السفهاء وبعض أهل العلم الذي ليس معهم إنصاف ولا أدب)["بستان العارفين" للإمام الفقيه الحافظ أبي زكريا محي الدين النووي المتوفى 676 هـ ص47].

جاء في الرسالة القشيرية: إذا أراد الله أن ينقل العبد من ذل المعصية إلى عز الطاعة آنسه بالوحدة وأغناه بالقناعة وبصره بعيوب نفسه. الرسالة القشيرية:50/1

(2)التفكر: الفكرة قوة مطرقة للعلم إلى المعلوم، والتفكر جولان تلك القوة بحسب نظر العقل، وذلك للإنسان دون الحيوان، ولا يقال إلا فيما يمكن أن يحصل له صورة في القلب، والتفكر أثر إعمال العقل في وزن الأسباب ومعرفة العلل، فيستدل من خلالها على عظمة ربه وافتقاره إليه وصدق ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم. المفردات: ص384.

والتفكر الصحيح عند الصوفية، هو غاية علم اليقين، كما أن رعاية الإيمان عين اليقين، وحد التفكر تلمس البصيرة لإدراك البغية وهو ثلاثة أنواع:

الأول: فكرة في عين التوحيد وفى صفات الكمال، ونعوت العظمة والجلال وذلك بحر لا ساحل له، ولا ينجى من الغرق في هذا البحر إلا الاعتصام بحبل اللّه تعالى، والتمسك بالعلم الظاهر.

الثاني: الفكرة في لطائف الصنعة، وفى أسرار الحكمة، وعجائب الإبداع.

الثالث: الفكرة في معانى الأعمال والأحوال فخالص الفكر يوصل إلى استقامة القلوب، واستقامة القلوب توصل إلى الصدق والإخلاص. حياة القلوب على هامش قوت القلوب 106/2،وانظر التعريفات

والفرق بين الفكر والتفكّر، أن التفكر جولان القلب، والفكر وقوف اللب على؛ ما عرف. الطوسي، أبو نصر السراج 378هـ:اللمع ص 1,303.

أن تستوي الشمس في كبد السماء، فيأخذ في الأُهبة للورد الذي يستقبله عند أول الزوال، ولا تزول الشمس إلا وهو مستعد للصلاة في ذلك الوقت، فهو وقت شريف تفتح فيه أبواب السماء.

فإذا فرغ من صلاته اشتغل بتلاوة القرآن بتدبر وحضور قلب، إلى أن يصلي الظهر، فإذا صلى الظهر ثبت مكانه، ويكون مستغرق القلب بالفكر إلى أن يصلي العصر، فإذا صلى العصر كان ملازمًا لتلاوة القرآن إلى أن تصفر الشمس للغروب، عند ذلك يأخذ في الذكر والتسبيح إلى الغروب امتثالًا للأمر الإلهي.. قال الله تعالى (فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب) [1]. يتلوه وضائف أوراد الليل إنشاء الله تعالى..

[أوراد الليل]

فإذا أردت أيها الطالب وظائف أوراد الليل فسبيلك أن تصلى المغرب بحضور قلب وخشوع؛ لأن ذلك روح الصلاة، فإذا فرعت منها فقد استقبلك أول ورد من أوراد الليل؛ وهو إحياء ما بين العشائين بتلاوة كتاب الله تعالى في الصلاة إن استطعت أن تتلوه في ركعتين فحسن، وان لم يساعدك الحال ففي اربع ركعات، أو في ست، وإن لم تستطع فتتلوه قاعدًا في الصلاة، وان تقاعدت همتك بالكلية فاشتغل بتلاوته في غير صلاة، وتكون تلاوتك كأنك حاضر بين يدي الله تعالى يراك ويسمعك، فإذا استشعر القلب نظر الله تعالى وسمعه مع طول التكرار امتلأ منه رعبا ووجلًا، بحيث انه لا يلتفت إلى ما يطرقه من الخطرات الشيطانية، والوساوس التي هي من جنود الهوى، وتكون خاشعًا متذللا، لا تنتهي إلى آية رحمة إلا استبشرت وسالت من الله تعالى أن يلحقك بأهل طاعته، وان لا يحرمك ما أعد لأوليائه من أهل الكرامات.

---

(1) سورة طه: الآية 130.

وإذا أتيت إلى آية عذاب انكسرت واستعذت بالله مما حل من السخط بأهل معصيته في الدنيا، وما أعد لهم من النكال في الآخرة، وتكون مترددا بين الانكسار والاستبشار، لعلك تعد بذلك من التالين إلى أن يدخل وقت العشاء، فهذه الساعة في الفضل تضاهي الساعة التي ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس. قال الله تعالى: {تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ}.[1] قيل هي ما بين العشائين.. وقال تعالى: {إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا..}[2] وللقلب وهي الساعة التي ما بين العشائين، فاذا دخل وقت العشاء وسمعت أذان المؤذن؛ فأحسن إجابته إلى أن يفرغ، واختم الإجابة بالدعاء المأثور عن سيد البشر صلى الله عليه وسلم، واحرص أن لا يفوتك الصلاة مع الجماعة، تحرز بذلك فضل الجماعة. ففي الخبر إن صلاة الرجلين أفضل من صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة.

فإذا فرغت من الصلاة المفروضة السنن التي بعدها فلك الخبار في تقديم الوتر وتأخيره، إن كنت عازمًا على قيام الليل، ولا تستجلب النوم بعد الصلاة بتمهيد الفراش، واشتغل بذكر الله تارة والتفكر تارة، إلى أن يكون نومك غلبة. لتكون بذلك من المجاهدين، وسالك طريق الراغبين. كن حريصا على أن تستيقظ في الثلث الباقي أو الربع، إن ساعدك الحال.

فإذا استيقظت فقدم السواك قبل الوضوء، ثم توضأ مع استصحاب الدعوات المشهورة عن سيد البشر ﷺ عند كل عضو وتختم بالدعاء المشهور عنه كذلك. ثم تستوي للصلاة قائمًا خاشعًا متذللًا تصلي ما استطعت، فإذا فرغت من صلاتك فاجعل ما فضل من وقتك بعضه للذكر وبعضه للفكر، ولا يدركك طلوع الفجر إلا وقد أخذت في التلاوة، لأن هذه الساعة يشهدها ملائكة الليل والنهار

(**1**)سورة السجدة: الآية **16**.

(**2**) سورة المزمل. الآية.**6**

لتنال بذلك شهادتهم لك بالعمل الصالح قال الله تعالى: {وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا}.[1] تمت المختصرة في معرفة آداب السلوك في وظائف أوراد الليل والنهار بفضل الله وتوفيقه فله الحمد على ذلك.

[فتاوى الشيخ أحمد بن عمر الزيلعي رضي الله عنه]

[طلب من بعض أصحابه]

وطلب منه بعض أصحابه الفسح في السياحة[2].. فأجابه رضي الله عنه:

سلام على من سأذكره ورحمة الله وبركاته وعلى المسلمين سلمكم الله نصركم الله آواكم الله أما بعد:

حمدًا لله الذي هو فاتحة كل كتاب، وخاتمة كل خطاب إنه لما كان طاعة النفس سببًا للحرمان وطريق إلى الخذلان فَهِمَ أُولوالألباب ما تضمنه الخطاب.. {ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا}[3] حينئذٍ انتبهوا لمبايعة الأدبا،[4] باذلين أنفسهم لله فأقاموا أنفسهم مقام الأدب مع الله وبالله، أصبحوا وأمسوا مسلوبين الإرادة، فكان مرادهم فيما يراد منهم لا فيما يريدون، فما كان من خلل الظاهر فمن تضييع الأصول وتعاطي الفضول[5] فمصدره عدم الفهم عن الله، فمن عدم الفهم عن الله؛ انقطع في بادئة هواه، ومن انقطع في بادئة هواه، صار طعمة لسبع أماني نفسه فأرداه، فمن رام نعيم الأبد، وبقاء السرمد فليكن للقول سامعًا، وللأمر طائعا، مع سلامة الصدر، وقلة الاعتراض بطمأنينة القلب وسكون الحواس، مفوضًا راضيًا. فمن حرم

---

(1) سورة الإسراء: الآية 78.

(2) كانت السياحة في البراري والقفار وبين المدن والقرى سمة موجودة في عصر المؤلف حيث كان التجرد للسفر لغرض التفكر والتبصر في آيات الله.

(3) سورة الحشر: آية 7

(4) المتأدبون مع الله.

(5) والفضول اشتغال المرء أو تدخله فيما لا يعنيه.

ذلك فمن فساد الطبع، ومخالفة أمر الشرع، واستيلاء الرئاسة على أوطان السياسة، وترادف الغفلة، ونسيان المنة، فمن بُلي بذلك فليفزع إلى الله تعالى ببذل الاعتذار، وصدق الافتقار، ودوام الحزن والانكسار، يجده قريبًا ولدعوة المضطر مجيبًا، إياكم والانفراد فانه اهلك من كان قبلكم، فقد وقع الإجماع على أن كدر الاجتماع خير من صفو التفرق، فليكن أمركم بينكم مشاعًا، غير مقسومٍ. علمه من علمه وجهله من جهله.

وسأله بعض أصحابه عن حزنٍ اعتراهُ على ولدٍ له توفي.؟

فأجابه ﵁:

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، والصلاة والتسليم على مُحَّد واله وصحبه أجمعين.. أما بعد:

فإن التسليم والرضا عن الله نتيجة شُرّبٍ من صفاء عيون المعارف، والسخط عند مفاجئات الرزية سِمَة كل قلب جاهل بالربوبية منكر مخالف، ومن عرف الأفعال من حيث الفاعل فضرورته ترك الاعتراض على أقضية الربوبية، والتمسك بآداب العبودية، فمن اتصف بهذا لم يجب تقديم شيء تأخر، ولا تأخير شيء تقدم، آية ذلك أن لا يرتاح عند العطية، ولا يمازجه السخط عند الرزية، حالته السكون تحت مجاري الأقدار، وحرفته دوام الافتقار، غزير الدمعة كثير الاستغفار، لا يجاوز همهُ قدمه، ولا يختار على الله نقض شيء أبرمه، مستسلمًا للحكم والقضاء، ويستقبل ما أصابه من المكروه بحسن الرضا، فهذه أوصاف نتيجة كمال الإيمان. قال ﷺ: ((لا يكمُل إيمان عبد حتى يكون فيه خمس خصال التوكل على الله، والتفويض إلى الله، والتسليم لأمر الله، والرضى بقضاء الله، والصبر على بلاء الله))[1] وما كان من الاضطراب فمن فساد الاعتقاد ودخول الارتياب، فالرضا عن الله قبول أمره بترك

(1) رواه عبدالله بن عمر، نقله السيوطي في اللآلئ المصنوعة وحم عنه بأنه لا ينبغي أن يذكر في الموضوعات فإنه وارد بغير هذا الإسناد.

التمييز بين الحالين. قال الله تعالى: {رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ورضوا عنه}. بتقديم رضى الله هاهنا على رضى العبد لأنه من أوصافه القديمة، والقديم مقدم على الحادث، فالرزية واحدة مالم يمازجها السخط، فإذا تسخط صارت رزيتين إحداهما حلول البلاء، والثانية عدم الرضا، إياك والسَخَط فإنه مقرون بالسُخط، يقول الله تعالى في بعض الكتب المنزلة: (يا ابن آدم إن رضيت بالمقادير جرت المقادير عليك وأنت مأجور، وأن لم ترض بالمقادير جرت المقادير عليك وأنت مأزور)، وقال ﷺ: ((من رضي فله الرضى ومن سخط فله السخط)) [1]. فمن أراد السلامة من الآفات، والخروج من الملامة في التبعات، وأن يرتسم في جريدة من يحبهم الله ورسوله ويحبونه؛ قدم مراد الله على هواه، ولا يتعدى حدود مولاه، وقّافًا عند كل شبهة، صابرًا عند كل نازلة، مفوضًا راضيًا، يقول الله تعالى: في بعض الكتب المنزلة: (إن أود الأود إليَّ من إذا أخذت منه المحبوب سالمني). [2]

والمسالمة هي ضد المحاربة مأخوذة من السلم، مدلول اللفظ وفائدته هو: الحث على التسليم بترك الاعتراض، واستصحاب الرضا، وزجر عن تعلق القلب بالودائع المسترجعة حتى لا يعظم أسفه عند فواتها وانتزاعها، فالأسف على فوات مالا يدركه غاية الجهل والغباوة، وخروج عن المسالمة التي هي ضد المحاربة، ومنازعة في الأملاك. علمه من علمه وجهله من جهله.

---

(1) الحديث: عن أنس بن مالك رضي الله عنه. أن رسول الله ﷺ قال: " عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله إذا أحب قوما ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط " أخرجه ابن ماجة فى الفتن (4031)، وقال الألباني: حسن 1338/2.

(2) من الإسرائيليات التي تلقاها بعض الصحابة عن أهل الكتاب، وموقف المؤمن تجاهها معروف، وهو عدم التصديق ولا التكذيب، إلا إذا خالفت شرعا أو عقلا. والله أعلم.

وسأله بعض أصحابه عن الطريق إلى الحق[1].

فأجابه ﷺ:

سألني من أعتقد سؤاله منحة، والغفلة عن سؤاله محنة، وأعده في إعداد الراغبين منزلة عن طريق الحق فأجبته مسرعًا لإجابته، ومسعفًا لمسألته فقلت: أيها السائل عن طريق الحق (الآيات ظاهرة، والعلامات متواترة، وإنما سالك طريق الحق)[2] مفرد عن أهله، مستوحش بعد أنسه، يومه قلق وليله أرق دايم الحزن والأشجان، ودمعه على الخدين هتان، العزلة شأنه وترك ما لا يعني حرفته، الصبر شعاره، والشكر طعامه، والتوكل شرابه، والتسليم عمدته، يحل في بيداء الرضا، ويرعى في بساتين الوفاء، قد أوى إلى كهف طود الأحدية، واستغرقته الأنوار السرمدية[3]، لا يعرف بالآباء والأمهات، ولا يعلم أين محله من الجهات، قد فارق الجهات وتبدلت منه الصفات بالصفات وامتحت البشرية وانتفت عنه الكثرة بالكلية، صُم بكم عمي لدينا محضرون، واستغفر الله من الخطايا والزلل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وسأله سائل عن هذه المسألة:

عن قوله ﷺ: "من قرأ يس حين يصبح حفظه الله وأهله وماله إلى المساء، ومن قرأها حين يمسي حفظه الله وأهله وماله إلى الصباح".

فإذا قضى الله على ذلك القارئ في ذلك اليوم هل يغلب حكم القرآن على حكم القضاء، أو حكم القضاء على حكم القرآن.؟

فغضب من المسألة وحكمها، وقال: سألتني أيها الأخ الفطن، والباحث المتقن، جعلك الله ممن يتبع منار الدين، ويتنزه عن أدناس من

---

(1) الحق في عرف الصوفية، يطلق غالبا في إطار المعنى القرآني السابق، فربما أطلقها بعضهم ويعني بها اتباع الشرع أو المعرفة أو الإيمان أو التوحيد أو الله تعالى، كما روى عن أحمد بن خضروية (ت:240هـ) أنه قال: (القلوب أوعية، فإذا امتلأت من الحق، أظهرت زيادة أنوارها على الجوارح، وإذا امتلأت من الباطل، أظهرت زيادة ظلمتها على الجوارح) طبقات الصوفية ص105

(2) ما بين القوسين ساقط من (ت)

(3) السَّرْمد: الدائم الذي لا ينْقَطع

ليس له يقين، عن حديث سيد المرسلين وقائد الغر المحجلين مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم، وعلى اله أجمعين إنه قال: "من قرأ يس حين يصبح حفظه الله وأهله وماله إلى المساء".

فإذا أراد الله أن يمضي قضاؤه وقدره على عبده في ذلك اليوم، كما سبق التقدير وجرى التدبير في القسمة، فهل يرد قضاؤه وقدره أم لا.؟

الجواب والله أعلم:

نقول وبالله التوفيق وهو الهادي إلى أوضح الطريق: إن الله عز وجل بفضله جعل لكل حسنة ثوابًا، ولكل سيئة عقابا عدلًا منه تعالى، فإذا أراد بعبده خيرًا جعل له زاجرا من قلبه يذكره ما سلف من ذنبه، فانبعثت الهمة الصادقة في إصلاح خلل حاله بتوبة ماحية، واستغفار دائم، ودعى إلى الله بتضرع أو تلاوة قرآن بتدبر أو ذكر بتفكر، فإذا علم الله منه صدق الإنابة مع إخلاص النية وصحة الطوية[1]؛ أمطر قلبه سحائب التخلق بأخلاق ربه، وأمر الملائكة الموكلين برفع البلاء عن عبده، وذلك أن الحفظة تصعد بعمل العبد من أنواع الطاعات المقدم ذكرها، فإذا هم ملائكة موكلين بالبلاء فتقول الحفظة إلى أين أمرتم فيقولون: إلى فلان فإنه قد بارز الله بأنواع المعاصي، وأمرنا بإفراغ البلاء عليه، فتقول لهم الحفظة:[2] ارجعوا لا سبيل لكم عليه؛ فأنه قد أحدث من أنواع الطاعات الموجبة لدفع البلاء ماهو كذا وكذا، فإذا كان كذلك فقد استوجب هذا العبد الحفظ في سائر أيامه ولياليه، بعد طهارته من تمويهه وأمانيه.

---

(1)الطَّوِيَّةُ: الظمير ينطوي عليه الإنسان (ج) طوايا.

(2) يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل ملائكته التي تتنزل على هؤلاء المؤمنين الذين استقاموا على طاعته عند موتهم:(نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ) أيها القوم(فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) كنا نتولاكم فيها؛ وذكر أنهم الحفظة الذين كانوا يكتبون أعمالهم. الباب 31 ج21 ص467

وهذا موضع المحو[1] والإثبات قال الله تعالى: {يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَاب} .[2]

وقال ﷺ:((اتبع السيئة الحسنة تمحها..))[3]. وقال لا يرد القضاء إلا الدعاء.

وأما ما ذكره المولى بقوله هل يغلب قضاؤه على حكم القرآن؟. أم يغلب حكم القرآن على قضائه؟.؟ فأن هذا لا يمكن النطق به إذ الغالب هو الله بحكم الربوبية، والقرآن شافع على ما زلت به أقدام العبودية.

فنسأل الله أن يجعلنا من الذين إذا تكلموا أغنموا، وإذا سكتوا سلِموا، وان لا يجعل كلامنا وبالًا علينا، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وسأله سائل.. فقال:

ما تقول يا سيدي الفقيه في النفس التي إذا أحضرت للسباق حَزنَت؟.

فقال رضي الله عنه: إنها تساق بسوط هجر العادات، وترك المألوفات

وسأله سائل.. فقال: ما يقول مولاي الفقيه في قوله صلى الله عليه وسلم..((كادَ الفقْرُ أَن يَكون كفرًا)).[4]

وقال في موضع آخر:

الفقر أزين بالمؤمن من العِذار[5] على خد الفرس. ما باله صلى الله عليه وسلم وصفه تارة بالكفر وتارة وصفه بالزينة؟. فقال رضي الله عنه: صدق رسول الله ﷺ..اعلم يا أخي أن من الفقر ما هو مسخوط

---

(1) المحو والإثبات، صادران عن القدرة. فالمحو: ما ستره الحق ونفاه. والإثبات ما أظهره الحق وأبداه. والمحو والإثبات مقصوران على المشيئة. قال الله تعالى: {يمحو الله ما يشاء ويثبت}، قيل: يمحو عن قلوب العارفين ذكر غير الله تعالى، ويثبت على ألسنة المريدين ذكر الله، ومحو الحق لكل أحد وإثباتهُ على ما يليق بحاله. القشيري. الرسالة القشيرية ص 38/1

(2) سورة الرعد: الآية39.

(3) أخرجه الترمذي من حديث أبي ذر بزيادة في أوله وآخره وقال حسن صحيح

(4) أخرجه أحمد بن منيع في مسنده كما في "المطالب العلية": 2711، والشهاب الضاعي: 586، وأبو نعيم في الحلية 53/3، و"تاريخ أصبهان":290/1، والطبراني في" الأوسط؛عن أنس رضي الله عنه.

(5) العذار: ما سال من اللجام على خد الفرس.

ومرضي، فهو على المتسخط كالكفر، وعلى الراضي أزين من العذار على خد الفرس.

فقال له السائل: ما أدني المشاهدة[1] وما أعلاها؟.

فقال ﷺ: أدنى المشاهدة أن ترى الأشياء بالأشياء، وأعلاها أن ترى الله بالله.

وسأله سائل.. عن محض[2] التقوى [3] وحاصلها.؟

---

(1) يستند حال المشاهدة على قوله تعالى:{إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد}.سورة ق:آية 37

ـ وأما مشاهدة الجمال: فهو التجلي للقلوب بالأنوار والسُرور والألطاف والكلام اللذيذ والحديث والأنس، والبشارة بالمواهب الجسام والمنازل العالية، والقرب منه عز وجلّ مما سيؤل أمرهم إليه، وجفت به القلم من أقسامهم في سابق الدهور فضلًا منه ورحمة، وإيثابًا منه لهم في الدنيا إلى بلوغ الأجل وهو الوقت المقدور، لئلا يفرط بهم المحبة من شدة شوقهم إليه عزَّ وجلَّ...فيهلكوا أو يضعفوا عن القيام بالعبودية إلى أن يأتيهم اليقين الذي هو الموت فيفعل ذلك بهم لطفًا ورحمة ومداواة، وتربية لقلوبهم ومداراة لها، إنه حكيم عليم، لطيف بهم، رؤف رحيم. عبدالقادر الجيلاني، آداب السلوك ص 65.

والمشاهدة: هي رؤية الله ببصر القلب ـ الجيلاني ـ مصطلحات كتاب..سر الأسرار ـ عبدالقادر الجيلاني ـ تحقيق خالد مُحَمَّد الزرعي، مُحَمَّد غسان عزقول، مكتبة الجيلاني

(2) محض: الْمَحْضُ الْخَالِصُ الذي لم يخالِطْهُ غَيْرُهُ. المصباح المنيرج8 ص 287.

(3) التقوى عند أوائل الصوفية، من أعلى المقامات وأجلها، لأنها توقي من المكروهات والمرهوبات، الحائلة بين المرء وبين المحبوبات والمطلوبات، فيتقى الكفر بالإيمان، والشرك بالتوحيد، والرياءبالإخلاص، والكذب بالصدق والغش بالنصيحة، والمعصية بالطاعة، والابتداع بالاتباع، والشبهة بالورع والدنيا بالزهد، والغفلة بالذكر، والشيطان بالاستعواذ، والنار باجتناب الأعمال الرديئة إليها، والشرور كلها بالخيرات المنقذة منها، فالتقوى شاملة لجميع المقامات، ومحتويه على سائر معاملات المقربين والأبرار.. حياة القلوب على هامش قوت القلوب 250/2.

وقال الكاشاني: التقوى المحافظة على الحدود، وهى على أنواع:

1- تقوى العوام: وهى طاعة العبد لربه فيما أمر ونهى.

2- تقوى الخواص: وهى موافقة العبد لربه فيما قدر وقضى.

3- تقوى خاصة الخاصة: أن تعرف ما لك وما له، فلا تصف ما بك من نعمة إليه، وإن وجدت غير ذلك فلا تلومن إلا نفسك.

4- التقوى من التقوى: هو أن تنخلع من إضافة التقوى إليك، لمشاهدتك قيومية الحق تعالى للأشياء.

5- تقوى المنتهين: هو طهارة قلوبهم عن أن يلم بها شئ غير الحق، وهذا القلب هو البيت المحرم.

6- تقوى المحققين: هو التقوى منه به، أى تقواك من مقتضيات اسم المنتقم والضار، بالالتجاء إلى اسمه النافع والغفار،

7 ـ تقوى الحقيقة: (وهو أن يتقي الله من أن يضيف إليه ما لا ينبغي لقدسه من الحدث وتوابعه أو أن يضيف إلى خلقه ما لا ينبغي إلا له. مما استأثر به لنفسه وهو إيثار المتقين. انظر مصطلح الإيثار، لإيثار المتقين). لطائف الإعلام 339/1:341.

فقال ﷺ: إن محض التقوى وحاصلها مجانبة مالا بأس به حذرًا من الوقوع فيما به بأس؛ وذلك من مشاهدة عين اليقين،[1] ومن استشعر إطلاع الحق على ما أسرّ وأخفى تيسر له التحرز عن كل شيء نهى الله عنه من قول وعمل ونية، وذلك من طريق قصر الأمل؛ وإليه ترجع الإشارة بقوله صلى الله: ((من طال أملُه ساءَ عمله)). وهذه ألفاظ وجيزة مختصرة.

وسأله سائل.. عن قوله تعالى في قصة أيوب عليه السلام: {إنا وجدناهُ صابرًا نعم العبد إنه أواب}[2]

وقال في موضع آخر: مسني الضر ما باله تعالى وصفه بالصبر، ثم قال مسني الضر؟.

فأجابهُ ﷺ: صدق الله تعالى..

اعلم يا أخي: أن النبي أيوب عليه السلام لما ابتُلي حتى صار الدود يرعى في جسمه، فكان يجد لأكل كل دودة لذة، فسقطت منه ذات يوم دودة فقال: مسني الضُر لفقد لذة أكل تلك الدودة. ما قال مسني الضر في جسمي والله أعلم.

وسمع قارئًا يقرأ هذه الآية.. {رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا}[3] فقال ﷺ: يزجي[4] لكم فلك الزهد في بحر الدنيا، لتبتغوا من فضله لتلتقطوا من ثمار حِكمِه إنه بكم رحيمًا. رحيما بأوليائه لأن أولياء الله أحرار من رق عبودية الدنيا.

وسأله سائل.. كيف التخلص من الأعداء الأربعة النفس، والهوى، والشيطان، والدنيا.

---

(1) حق اليقين: ما نشأ عن الشهود والعيان. عبدالله بن أحمد عجيبه. ت 1224معراج التشوق إلى حقائق التصوف. ص: 43

(2)سورة ص الآية 44

(3)سورة الاسراء الآية 66.

(4)"يُزْجِي": يجري.

فأجابه ﷺ:

الحمد لله الأول بلا ابتداء، الآخر بلا انتهاء، العلي ذي السنا له المجد والثناء، وله الأسماء الحسنى لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه المنتهى، وصلواته على مُحَّد وأله في الآخرة والأولى، وسلم كثيرًا أما بعد:

فقد انتهى سؤال أخ فطن وباحث متقن حماهُ الله من بوائق هذه الدار، ورزقه الفوز والزلفى في دار القرار، عن كيفية التخلص من الأعداء الأربعة النفس، والهوى، والشيطان، والدنيا؟. وعن كيفية العلاج من أدوائهم وهل ينفع الانتصاب لمحاربتهم مع سبق القضاء بالسعادة والشقاء؟.

نقول وبالله التوفيق:

إن علاج حب الدنيا هو:

ذكر الموت الفاصل بين العبد ولذاته، ويكون على التوالي لاسيما في أوقات الخلوات، أو في بيت مظلم فإنه؛ أعظم تأثير في القلب، فيتولد من ذلك قصر الأمل، ويتولد من قصر الأمل الزهد في الدنيا. بدليل قوله عليه السلام: ((أكثروا من ذكر هاذم اللذات))[1] فإنه؛ إن ذكرتموه في ضيق وسّعة عليكم، وإن ذكرتموه في سعة هونه الله عليكم وجدتم به.

وأما الشيطان:

فسبيل التخلص من عداوته ومكره؛ الانتصاب لمحاربته بجرأة صحة الإيمان، وتضييق مجاريه بالجوع والعطش، ودوام ذكر القلب مع ملازمة الورع الشافي الظاهر والباطن، والطهارة من الحدث والخبث.

وأما النفس:

---

(1) يعني الموت. حديث ((أكثروا من ذكر هاذم اللذات)) رواه الترمذي وحسَّنه، والحاكم وصححه. هو عند الترمذي: 2307. والحاكم: 321/4 وأخرجه ابن ماجة 4258، وابن حبان (موارد: 2559).

فأنها أعدى الأعداء الأربعة وعلاجها أصعب العلاج، يستعان عليها بمدد [1] إلاهي، وعزم مُلكي، يسوسها بقطع الشهوات، وهجر الراحات، ويضاعف عليها الكد والنصب، حتى يقطع مددها، ويفل حدها:

وأما الهوى:

فهو مندرج تحت قهر سلطان النفس المطمئنة، فإن صلحت صار الهوى داخلًا تحت مرادها. وإن فسدت صارت تحت أسره وطاعته، وصار الأمر بالعكس، حتى صار الأمير مأمور والمأمور أميرًا قاهرًا.

قال الله تعالى: {أفرأيت من اتخذ ألهه هواه..}[2] وهذا تكليف يعُم الشقيَ والسعيد بعموم الآية؛ قال الله تعالى: {وما خلقت الجن والأنس إلا ليعبدون}

فصارت العبادة مستحقة له؛ بحكم الاسترقاق. قال الله تعالى: {إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا}.

وليس الإسعاد شرطًا في القيام بواجب التكليف. ولا يسقطه الأشقاء[3] أيضا. فاستحق العبادة بشرط الربوبية فقط؛ ومُحال إن يكون الثواب مستحقًا عليه. بل يثبته بحكم الكرم، لاعن لزوم ويعاقب لإظهار القدرة وقهر سلطان الربوبية لاعن جور. ثوابه فضل وعقابه، عدل، لا رادّ لقضائه ولا معقب لحكمه له الخلق والأمر، وله إيلام البريء من غير جُرم سابق، ولو أراد أن يهلك المسيح بن مريم وأمه، ومن في الأرض جميعًا لم يكن ذلك جورًا في حقه لتصرفه في مُلكه؛ فإنه لا يصادف لغيره ملكًا حتى يكون تصرفه فيه ظلمًا.

---

(1) المدد: العون والغوث.

(2) سورة الجاثية: آية 23

(3) السعادة والشقاء في الآخرة.

فعلى العبد قضاء ما عليه من القيام بواجب التكليف والله تعالى يفعل ما يشاء ولا يحيف. تم الجواب بمنّ الله وحسن أياديه ونسأل الله التجاوز عن الخطأ فيه وأن يجعله خالصًا لوجهه انه أرحم الراحمين.

وسأله سائل عن ثمان مسائل؟.

فأجابه رضي الله عنه:

بسم الله الرحمن الرحيم.. وصلى الله على سيدنا مُحَمَّد وأله وسلم.. الحمد لله واجب الوجود، الظاهر بقواطع الأدلة، الباهر منور الأنوار، سابق الأزمنة الحادثة، الموجود قبل الأمكنة المتناهية، المبر عن التمكن والاستقرار، الذي شهدت له الآيات الجلية، والبراهين العقلية، أنه علة وجود الأغيار، لا علة لوجوده تعالى بعرش أزليته عن حصر الحد والمقدار، لاحد له بأولية ولا منتهى له بآخرية، المنزه عن إدراك خيالات الوهم والأفكار، طود أزليته لا يرتقى بإقدام الحدوث المعلولة المختصة بالفناء والبوار، له الأسماء الحسنى والصفات العلى، لا تتناهى معلوماته ولا تحصى مقدوراته، الفايتِ عن تحصيل العقول ونعوت الألسن والأخبار، لا تدركه الأبصار الحادثة المتناهية لقصورها عن إدراك معاني الأزلية الباقية والأسرار، بل لا يدرك السر الأزلي إلا بوصف أبدي مقدس عن الحدقة والأبصار، فعرفه العارفون بوصف لما خرجوا عن حجب الكائنات وغابوا به عن الآثار، فوضع أسماء الحجب هاهنا عبارة عن المحجوب المتحيز إلى جهة، مدرك بالحس أو مرئي بالأبصار، من كان ذا جهة مختص بالمكان جاز عله وصف الحلول والاستقرار، وإنما شهدته القلوب بحقائق الإيمان حيث لا جهة ولا أينّية بشروق أنوار المعارف إذا لمعت بوارقها على قلب متكبر جبار، متكبر عن كل خُلق دني جبّار على الأعداء؛ النفس والهوى والشيطان والدنيا. فيالها من دهشة عند التجلي، وحيرة أفنت معالمهم فتبدلت معارفهم بالإنكار، سبحان من جعل خزائن قلوب أصفيائه التي هي أوسع من أرضه وسمائه، لطيور المعارف والمعاني كالأوكار، والمعارف الشريفة العلوم

الغامضة اللطيفة مستنبطة من ينبوع عين اليقين المتميز عن العلم الكسبي المأخوذ عن العلماء النظار.

فكل علم لا يدخل تحت الكسب فهو خارج عن دائرة ولاية العقل السليم المعتبر بعين الاعتبار.[1]

فالعقل الدارك قاصر لا يجاوز نظره حدود عالم الصور والمباني، إذ لا سبيل له إلى معرفته إلا بما أوضح من شواهد الأدلة والآثار. وسِعَ عَرَصَةَ الوجود وجعلها مدارًا وعبرة للقلوب المهذبة بتربية العلم متنازحة النواحي والأقطار، فاستخرج منها غواص الفطنة ببديهة العقل المجرد عن أغشية كدورات التقليد والإنكار، جمهور ما انطوت عليه صحائف الوجود من غرائب جواهر الحكم الربانية والأسرار. تشاهد جريان قلم القدرة في صحائف الوجود برقم أصناف المقدورات على وفق التقدير الأزلي بحكم الاقتدار، لما جلى حسن عروس الكائنات على أبصار اللّاحظين لجمالها، تجلى لهم بمحاسن صفاته فطاشوا، فلما احتجب ردهم إلى مقام العقل. عاشوا بلذيذ التأمل والافتكار، سكارى من حسن سماع ترجيع نغمات الألحان من آحاد الذرات في أقطار الأرض والسماوات بالليل والنهار، تنطق بلسان الحال نطقًا رائقًا بغرائب عجائب أنواع التسبيح والأذكار. معبرة عن موجودها وشاهدة بوجود صانعها على مرّ الدهور والاعصار. لهم في كل شيء فكرة وعبرة، قد غلب عليهم الوجد[2]، يشكون بُعد المزار حيارى، مُتيمين (أسر)[3] الحب قد اقلقهم الشوق، فالدمع منهم على صحن الخدود مدرار. منهم من هام بوجده دنف الفؤاد حران الحشا حليف (الصدق)[4] يخترق

---

(1) يقول الإمام عبدالله بن أسعد اليافعي: علوم المعارف لا تنال بالكسب، إنما بالمواهب، فهي أفضل العلوم وأصحابها أفضل العلماء.. فاعلم أنني أنا وأنت ممن لم تَلُح له أنوار تلك الحضرة، ولم نشرب من راح الهوى وفي هذا المعني يقول:

(2)هو الذي يرد على القلب ويصادفه بلا تأمل ولا تكلف.

(3) في (ت) أُسارى

(4) في (أ) أثبتها في الهامش (الضَّنَا).

المهامه[1] والقفار، ومنهم من سكنت روعته واطمأنت حاملًا لما حُمّل من الأثقال وكاليًا[2] لما استرعى بعدم الأنية [3] وحسن الاتكال نصبًا للوقائع وغرضًا لسهام الرزايا ساكنًا تحت مجاري الأقدار[4] صبورًا شكورًا عند كل كريهة مَعقِلهُ الرضا متقنعًا بالعفاف، شعاره السكينة والوقار. فسبحان من جعل أصناف خلقه في التركيب والطبائع أطوارا. فكل شيءٍ عنده بمقدار. عالم الغيب والشهادة تعالى وتقدس عن صفات الأجسام المركبة من الجواهر المختصة بالحيز والمقدار.

أوجد الخلق على اختلاف طبائعهم وأوصافهم، منهم من عرفه بربوبيته قبل إيجاد الكون؛ إذ كان سميرًا لأكرم عصبة في حظائر[5] قدسه، ورياض أنسه، يطاف عليهم بكؤوس خمور القدس، لا من خمر خمار؛ حتى برز إلى عالم التخطيط والتركيب [6] ملازمًا للعهد القديم، لم يتكدر حاله لطول عهده، فارتفعت عنه الحُجب والأستار، ظاهرُه مزين بأنواع الطاعات، وقلبه محترق بنيران المحبة معمور بالمشاهدات، يزور تلك الحضرة القدسية بالعشي والإبكار.

ومنهم من عرفه بعلم المعقول المستخرج من شواهد الأدلة وآثار القدرة، والشرع المنقول من الآيات والأخبار.

ومنهم من حصل له مقام الإيمان الجازم من غير تردد مع سلامة الصدر مقلد لأهل المقامين المقدم ذكرها، لم يتزلزل إيمانه في حالتي اليسر والإعصار.

---

(1)مهامه: جمع مهمه وهي الفلاة لا ماء فيها ولا أنيس

(2)الكلاءة الحفظ كلأه إذا حفظه.

(3)أني الأمر: حان وقته وقرب { أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ}

(4) ما تجري به الأقدار.

(5) حظائر: جمع حظيرة.. ما يحاط عليه لتأوي إليه الغنم والإبل توقيًا من البرد والريح وهو مجاز هنا عن المقامات المقدسة للأرواح الطاهرة.

(6) الحياة الدنيا.

ومنهم من غلبت عليه البهيمية بليدًا تائهًا في ديجور الجهالة، مُسترق الهوى أسير الغفلة إلى انتهاء مدة الأعمار،[1] قضى وطرًا ولم يفهم حرفًا من الخُطُوط الإلهية المثبتة بقلم القدرة مع وجود الأبصار، يناسب الحيوانات البهيمية في البلادة وارتفاع سلطان العقل وعدم الاستبصار، مصداقه قوله تعالى: {لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَام}،[2] مُضمر الآية: تهديد وإنذار، ألا ترى لما نُفي عنهم العقل وألحقهم بالأنعام لبُطلان حقيقة السمع والبصر، سبق وهمهم إلى الجحد والأنكار. قال الله تعالى: {وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى}،[3] تقديره من كان في هذه أعمى من ملاحظة جريان قلم القدرة والأقدار؛ فهو في الآخرة أعمى عن مشاهدة الملك الجبار في دار العز والقرار. هذه قسمة الله تعالى بين عباده في سابق الأزل؛ منهم سعيد فائز وشقي معرض للأخطار. فمن امعن النظر واستشعر الخطر كان عيشه في الدنيا عيش المرضى لا سكون له فيها ولا قرار.

واشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. تعالى وتنزه عن مشابهة الأشكال والتشبه بالأغيار. واشهد أن مُحَّد عبده ورسوله، الأمين المجتبى المختار ﷺ وعلى اله وأصحابه آناء الليل وأطراف النهار.. أما بعد:

فإني قد وردت عليَّ أسئلة (محكمة)[4] لطيفة في كسوة ألفاظ طريفة وصيغة ظريفة، مضمونها إشارات غريبة من أخ فطن ذي فهم مُلتحن، أريب مفارق لآراء من هو في شك مريب وما أورده عليَّ من

---

(1) ما أجمل ما قاله شاعر الإسلام مُحَّد إقبال:

لحظـــــةً يا صـــــاحبي إن تَغْـــــلِ ... ألـــفَ ميـــلٍ زادَ بُعْـــدُ المنـــزلِ!

رامَ نَقْـــش الشّـــوْك حينًـــا رَجُـــلُ ... فـــاختَفى عـــن ناظِرَيـــهَ المَحْمِـــلُ

(2) سورة الأعراف الآية 179.

(3)سورة الإسراء.الآية: 72

(4)في (ت) ساقطة

السؤال بقوة بحثه.. من أقوى الأدلة على غوص فطنته وبُعد غوره، وغزارة علمه ونفاذ بصيرته وحسن سريرته، إذ قال سيد البشر صلى الله عله وسلم: ((السؤال نصف العلم))، [1] زادك الله تَبحُرًا وغوصًا في غرائب العلم، وتغلغلًا في مدارك الفهم، وأهَّلَكَ لفهم ما تتوقعه من الجواب، (بعد البحث ورفع الخطاب، وجعلك من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه)[2]

فدونك سقياه إن كنت ذا تحصيل ممن يتحساه. فاصغ سمعك المعنوي لا الحسي، وانظر بعين بصيرتك لا عين رأسك، إلى ما يُمليه الحق من خزائن جُوده؛ فاجعله ذخيرة ليكون لك عدة عند ترادُف الشبهات، وركض خيول البدع والأهواء، في ميادين الشهوات.

فنسال الله أن يؤهّلنا لإصابة الحق فيما سطرناه، ليكون موافقًا لسان الصدق فيما جمعناه، وان يجعله خالصا لوجهه من شوب[3] الرياء والتصنع، خاليا عن إرادة غيره إنه قريب مجيب.

السؤال الأول:

إنشاء الله تعالى بلفظ مختصر وجيز، يتضمن ما طولته عن الران الحادث على منافذ القلب، حتى عم وجه القلب وانخلع من الإيمان بالكلية؛ فما الحيلة حتى يعود إلى أصل فطرته من الصفاء وصحة الإيمان.؟

الجواب والله أعلم:

العلاج من هذا الداء؛ أن يستمطر من الجود الإلهي، والعطف الرباني، صحة الطلب، وقوة الرغبة، وإظهار الذل والافتقار، وترادف

---

(1) جزء من حديث ـ أخبرنا هبة الله بن إبراهيم الخولاني أبنا أبو بكر مُحَمَّد بن أحمد بن علي بن إبراهيم بن جابر ثنا عبد الجبار بن أحمد السمرقندي ثنا أحمد بن مدرك الرازي ثنا هشام بن عمار ثنا مخيس بن تميم ثنا حفص بن عمر أخبرني إبراهيم بن عبد الله عن نافع عن بن عمر قال قال رسول الله ﷺ الإقتصاد في النفقه نصف العيش والتودد إلى الناس نصف العقل وحسن السؤال نصف العلم

مسند الشهاب: ج1/ص55 ح33. موسوعة أطراف الحديث ص: 89202

(2)مابين القوسين ساقطة من(ت)

(3)الشَوب: الخلط، ومنه سمي الشيب شيبا؛ لأنه إذا ظهر خُلط بياضه بسواد الشباب

الحزن والانكسار، إلى أن تنصرف رغبتك من الدنيا إلى الآخرة، وتريك حقارة الدنيا وخستها، ونضارة الآخرة ونفاستها، حتى تجد في قلبك رجحان حب الآخرة، فبقدر ما يدخل قلبك من حب الآخرة؛ يخرج منه حب الدنيا، ويدلك على عيوب نفسك وخباثتها، وتجعل ذلك نصب عينيك فلا يتقدر لك شيئا من ذلك الإبقار. ويعُّد من التنبيه بما يرد عليك من الذكر الحكيم من أمره وزجره ووعده ووعيده؛ فيقع أولًا في دهليز الأسماع، ثم ينزل إلى القلوب المستعدة لحسن الاستماع، فيتنعم القلب في روض رياضه، ويغوص في أغواره وأسراره، وذلك عند استقرار معاني القرآن في أودية القلوب، فيحتمل منه زبد الباطل، الذي كان رابيًا، والخبائث المستكنة في زوايا القلب. قال الله تعالى: {فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا}،[1] فالسيل القرآن، والقلوب الأودية، والزبد الباطل وخبائث القلب. فإذا استقرت معاني القرآن في وعاء القلب؛ وكانت له سابقة ولم يطبع بطابع الشقاء، صار زاجرًا. قال ﷺ: ((إذا أراد الله بعبد خيرًا، جعل له زاجرًا من قلبه يأمره وينهاه))[2].

فهذا الزاجر[3] هو ثمرة الخطاب الخارجي، حين استقر في وعاء القلب، وخير القلوب أوعاها، فيثمر هذا الزاجر الخوف من الله تعالى، وهذا الخوف ضروري يوجب الفرار من جميع المناهي، وهو مبدأ كل خير، وعنوان السعادة الأبدية، وينبوع الحكم الربانية هي رأس كل علم

---

(1)سورة الرعد: الآية17.

(2) حديث إذا أراد الله بعبد خيرًا جعل له زاجرًا من نفسه وواعظًا من قلبه، أخرجه أبو نعيم في الحلية من قول ابن سيرين بزيادة يأمره وينهاه.قال ابن السبكي: (6/ 331) ذكره في (الفردوس) من حديث أم سلمة.، 2364 – أخرجه أحمد في الزهد عن أبي الجلد قال قرأت في الحكمة من كان له من نفسه واعظ كان له من الله حافظ ومن أنصف الناس من نفسه زاده الله بذلك عزًا والذل في طاعة الله أقرب من التعزز بالمعصية.

(3) ورد هذا اللفظ في القرآن الكريم ومعناه لغويًا الدفع والطرد فيقال أزدجر وزجره أي انتهره ومنعه ونهاه، وزجره وزجر الراعي غنمه أي صاح بها ودفعها، والزاجر جمعه الزاجرات، وقد وردت بهذا المعنى في قوله تعالى: {فالزاجرات زجرا }الصافات:2. والزاجرات هي الملائكة التي تدفع السحاب أو تطرد الشياطين أو تنهى عن المعاصي بإلهام الخير. معجم ألفاظ القران الكريم 513/1

شريف غامض لطيف، "رأس العلم خشية الله تعالى"[1] فإذا صار محروسًا بالخوف، اضطره الحال إلى تربية نفسه بالعلم، وتزكيتها عن جميع المعاصي الجلية والخفية، فالجلية ما يتعلق بالأعضاء الظاهرة أعني الأعضاء السبعة السمع والبصر واللسان واليد والرجل والفرج والبطن، أن لا يحرك شيئًا منها فيما نهى الله عنه، والخفية ما يتعلق بالقلب من الخطرات الرديئة، والوساوس الشيطانية، مع جملة من الخبائث. مثل الكبر والرياء والعجب والحسد والنفاق والرغبة في الدنيا، والحرص، والأمل، وسوء الظن، وحب الثناء والفرار من الذم، والشره، والرعونة، والخيلاء، والفرح بالدنيا إذا أقبلت، والأسف على فواتها إذا أدبرت، والسخط بقضاء الله عند نزوله، وشدة الجزع في البلاء عند حلوله، والمكر، والخديعة، وقلة الرحمة، وما أشبه ذلك، ومحوت عن مرآة قلبك كدورات كل خلق دنيء، مذموم شرعًا، حتى لا يبقى منه شيئًا دق أو جل، فالصغير في التأثير مع الإصرار، كالكبيرة مع ترك الاستغفار، هذا هو معنى التخلية؛ [2] وهي مقدمة على التحلية؛ فإذا تطهر القلب من هذه الخبائث كلها؛ أناب إلى الله تعالى.

والإنابة[3] عبارة عن حالة الأقبال بكُنه[1] الهمة على الله تعالى. فلا يصح إقبالة حتى يعرض عن طلب غيره، ويهون عليه فراق ألفه

---

(1)قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: قلت لأبي: هل كان مع معروف الكرخي شيء من العلم؟ فقال لي: يا بني كان معه رأس العلم، خشية الله تعالى. "تاريخ بغداد" 201/13.

(2)التخلي: هو الإعراض عن العوارض المشغلة، بالظاهر والباطن، وهو اختيار الخلوة، وإيثار العزلة، وملازمة الوحدة. الطوسي اللمع ص 3,440.

(3)الإنابة:الرجوع إلى اللَّه بالتوبة، وفى الذكر الحكيم:{مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَلا تَكُونُوا مِنْ الْمُشْرِكِينَ} الروم /31، أى راجعين إلى ما أمر به، غير خارجين عن شئ من أمره. (لسان العرب 775/1. وانظر المفردات ص508، والمصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، تأليف أحمد بن مُحَمَّد المقري الفيومي، نشر المكتبة العلمية بيروت 629/2).

والإنابة وردت في الكتاب والسنة على معنى الرجوع إلى اللَّه تعالى، بالتوبة وإخلاص العمل، كقوله تعالى: {وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ} الزمر:54، وقوله سبحانه:{ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ } سورة ص،24.

والإنابة فى اصطلاح الصوفية: وردت على معنى الرجوع من مخالفة الأمر إلى موافقته، فلا يجدك حيث نهاك، ولا يفتقدك حيث أمرك.. لطائف الإعلام 248/1.

ومألوفه، من أبناء جنسه وعرسه، ووالده وولده، ونسيبه ونسبه، وكل شيء يلتفت القلب بالمحبة له والميل إليه؛

عند ذلك يطيب سفره، ويخف عنه حمل وعثاء السفر ومؤنه لقوة نشاطه ونزوعه إلى محبوبه،

قال ﷺ ((حبك للشيئ يعمي ويصم))[2] مراده يعمي عن طلب غير محبوبه.

هذا أول قدم في السفر إلى الحضرة الإلهية، فتستقبله العوائق الأربعة؛ النفس والهوى والشيطان والدنيا، وينتصب لمحاربتهم بجنود الإيمان، ونجدة العرفان. فيسل عليهم صارم عزمه، بمدد إلهي، وعطف رباني، ينصر به جند الرحمن، ويهزم جند الشيطان، فيستفك القلب وجنوده من أيديهم.

عند ذلك يستقبله فرض التوبة من الالتفات إلى الكرامات، بل إلى المقامات بعد فراغه من أحكام التوبة، التي هي فرضٌ عليه لأنها توبة العموم، وهذه توبة الخصوص.

فإذا تناهى به الحال وأشرف به السير إلى الحضرة الإلهية تاب من الالتفات إلى الأكوان، فهذه توبة خاص الخاص.[3] قد علم كل أناس مشربهم، كل حزب بما لديهم فرحون.

---

(1) الكُنْهُ، بالضم: جوهر الشيء، وغايته، وقدره، ووقته، ووجهُه. الفيروز أبادي القاموس المحيط ص 1441

(2) أخرجه أحمد: 194/5، والبخاري في ((التاريخ الكبير)): 127/1/3، وأبو داود:5130، والقضاعي: 151 – 219، والطبراني في ((مسند الشاميين)): 1454 –1468، والفسوي في ((المعرفه التاريخ)):328/2، والحكيم الترمذي في ((نوادر الأصول))، والطبراني في ((الكبير))، والبيهقي في ((الشعب))،والعسكري في ((الأمثال))؛ عن ابي الدرداء ﵁.

سمعت الأستاذ أبا علي، رحمه الله، يقول في معنى قوله ﷺ: ((حبّك للشيء يعمى ويُصم)): فقال: هو زائد يعمى عن الغير؛ أي: غيرِ الشيء المحبوب؛ غيرةً للمحبوب أن يُروى أنَّهُ ناقص لا يصلح لمحبَّة محبوبه ويصم هيبةً له. عبدالكريم القشيري. أحكام الدلالات القشيرية ص890

(3) قال العز بن عبدالسلام: (اعلم أن توبة العوام من الذنوب، وتوبة الخواص من غفلة القلوب، وتوبة خواص الخواص من كل شيء سوى المحبوب، فشتان بين التائب من الزلات. وبين التائب من رؤية الحسنات). العز بن عبدالسلام. زبد خلاصة التصوف المسمى بحل الرموز ومفاتيح الكنوز، تحقيق أ. أحمد عبدالرحيم السايح. ص: 93

ثم يتحلى بكل خُلق حميد بعد إحكام التوبة مثل: الورع والزهد.

إذ هي ثمرة الورع، والخوف، والرجاء،[1] والصبر، والشكر، والتوكل على الله، والتفويض إلى الله، والتسليم لأمر الله، والمعرفة، والرضا عن الله، والمحبة، والشوق، هذا هو معنى التحلية.

فإذا تخلى القلب وتحلى وصار كالمرآة المجلية؛ انطبعت فيه الكائنات بأسرها؛ فيعود القلب إلى الفطرة الأصلية التي جُبل عليها. قال ﷺ: ((القلب مثل المرآة المجلية))،[2] فإذا أذنب العبد، تكتب فيه نكتة سوداء، حتى يعم السواد وجه القلب". هذا هو معنى الرّان المعبر عنه بالكنّ والقفل؛ يُكتَسب من أعمال النفاق وسوء الأخلاق ويتولد من كدورات أوصاف البشرية وخبائث القلب والله أعلم.

السؤال الثاني:

وهو عن الخواطر[3] التي تعاود القلب، في حل النوم واليقظة، ويخشى أن تستمر إلى أخر نفس من الحياة.

الجواب والله أعلم:

إن الخواطر الواردات على القلب، متباينة، منها ما هو معصية، يجب تجديد التوبة منها، لأنها معدودة من جملة أفعاله التي تتعلق بالأعضاء الظاهرة والباطنة، التي تقدم ذكرها، وهي:

---

(1)يقترن الرجاء بالخوف عند الصوفية، منهم من يقدم الخوف على الرجاء، ومنهم من يقدم الرجاء على الخوف ومنهم من يعدها من جملة المقامات ـ كما في قوت القلوب ـ ومنهم من يراها في جملة الأحول.

(2)لم أقف عليه.

(3) خطر الشيء بباله، من باب دخل، وأخطره الله بباله. مختار الصحاح. ص: 180.

ـ ولقد أتفق أئمة الصوفية على أن الذي يسير في طريق الشيطان لا يميز بين الخاطر الإلهامي والوسواس الشيطاني، أما الذي سكنت نفسه وهواجسها، فذلك الصادق في مجاهداته وإخلاصه وطاعته، لأن قلبه ينطق بالحق والعلم. الرسالة القشيرية ج 1 ص: 243.

ـ ويقول الجنيد، ﷺ ـ أن الخاطر الأول الذي هو من الحق تعالى، أقوى من الخاطر الثاني، لأنه إذا بقي رجع صاحبه إلى التأمل، وهذا بشرط العلم، فترك الأول يضعف الخاطر الثاني، ولكن بعض الشيوخ خالفوه في ذلك وقال بعضهم: أن الخاطر الثاني أقوى لأنه ازداد قوة بالأول، وهناك رأي ثالث يرى أن كلاهما من الحق تعالى فلا ميزة لأحدهما على الآخر. الرسالة القشيرية ج 1 ص: 244.

النية المنعقدة على فعل محرم بعزم قطعي؛ فهي من جملة المعاصي، يجب تجديد التوبة والاستغفار منهما مع ندم القلب؛ أعني الندم الذي يوجب ترك المعاودة إلى ما تقدم من جناياته لأنها من جملة المعاصي.

ويدل عليه من النقل كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ.

أما الدليل من كتاب الله تعالى قوله تعالى: {وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ}[1]. وأما من السنة قوله صلى الله عليه وسلم: ((إذا ألتقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار))[2] قيل هذا القاتل فما بال المقتول.؟ فاعتل بقوله: أنه أراد قتل صاحبه.

فالإرادة هي: النية المنعقدة ومنها خواطر ردية يخرج من اعتقدها عن الملّة؛ فإن سامرها حتى تستقوي عليه ولم يكن عنده من المعتقدات الأصولية، والبراهين العقلية حتى ينفيها بها وإلا تأكدت عنده وصارت اعتقادًا، فإن اعتقدها خرج عن مِلّة الإسلام والعياذ بالله، فإن مات على ذلك؛ مات كافرًا وحُشر مع الكفار. فإن أراد الخروج منها قبل الموت، حصل من المعتقدات الأصولية والبراهين العقلية مع التهاون بورودها وترك الإصغاء بقلبه إليها، مع حُسن الابتهال والتضرع إلى الله، إذ هي من هواجس النفس لا من وساوس الشيطان. فهو يتخلص إنشاء الله تعالى، وأما الوساوس العارضة، التي تعرض على القلب، ولم تكن مرادة للعبد وترد على سبيل الوسوسة؛ فهي معفو عنها والعبد غير مؤاخذ بها، لأن القلب لا ينفك منها، قال ﷺ: ((عُفي عن أمتي ما حدثت به نفوسها)).[3]

---

(1)سورة البقرة: الآية 284.

(2)متفق عليه. (أحمد، والبخارى، ومسلم، وأبو داود، والنسائى عن أبى بكرة. ابن ماجه، والطبرانى عن أبى موسى). جامع الاحاديث 399/2

(3)حديث " عفي لأمتي عما حدثت به نفوسها " متفق عليه من حديث أبي هريرة " إن الله تجاوز لأمتي عما .. حدثت به أنفسها... الحديث ". تخريج أحاديث الإحياء.

إلا أنها تصد عن طريق الحق والذكر، والفكر، وتشتغل عن الله تعالى بالكلية ما دام القلب مستغرقًا بالخطرات الواردة عليه. فإن أردت صفاء وقتك؛ ادرأها باليقين بعلم أنك حاضر بين يدي الله تعالى، واستشعر الحضور معه على أي حال كنت، يعلم منك السر وأخفى وانك لا تغيب عن نظره طرفه عين لعلك إن تستحي أن يراك ملتفتا إلى غيره، ويعينك على هذا قطع العلائق التي يتعلق بها القلب، من المحبوبات والمشتهيات مباحًا كان أو محضورًا؛ فالخطرات[1] على قدر العلائق والمحبوبات، فمن قلت علائقه قلت وساوسه وخطراته والله اعلم.

السؤال الثالث:

عن النفس المنفوسة التي حازت أوصاف البشرية جملتها، حتى صارت لها طبيعة، ولم تنفك منها. فما السبيل إلى التخلص منها، حتى تنقلب روحانيه؟.

الجواب والله اعلم:

إن أول علاج النفس؛ معرفة عداوتها، لأنها حريصة على اتلاف مهجتك ناجزا إن أصغيت إلى أمرها، قال الله تعالى: {إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ}.[2] ويكون ذلك سبب البعد من الله تعالى، ويهدم عليك دينك، ويخرب عليك أخرتك، لأنها مأوى كل شر. فإذا عرفت عداوتها، وتقرر عندك إنها تريد هلاكك،واشتد غضبك عليها، ونظرت إليها بعين العداوة عند ذلك؛ تستعد لمحاربتها، وتتهيأ لمقاومتها، إذ هي

متفق عليه من حديث أبي هريرة " إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم" متفق عليه. البخاري (2020/5، 2454/6) (4968، 6287)، مسلم (116/1) (127)، أحمد (255/2، 393، 425، 474، 481)، وهو عند أبي داود (264/2) (2209)، والترمذي (489/3) (1183)، والنسائي (156/6، 157)، وابن ماجه (658/1، 659) (2040، 2044)، وابن حبان (178/10، 179) (4334، 4335)، وابن خزيمة (52/2) (898)، وأبي يعلى (276/11) (6389).

(1)الخطرات هي دواعي القلوب إلى كل خير وشر موسوعة التصوف ص 324

تجدر الإشارة أن الجنيد أفرد رسالة كاملة عن الخطرات.

(2){وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ} سورة يوسف الآية 53

من أعدى أعدائك، قال ﷺ: ((أعدى عدو لك نفسك التي بين جنبيك)).[1] فإن أردت أن تضعف قواها بالكلية، فضيق مدارك مجاريها، بقطع ما تميل إليه بالطبع من المألوفات، من مأكول أو مشروب، أو ملبس حسن، ومركب نفيس.. إلى غير ذلك من الشهوات المعتادة، التي هي من جنود الهوى، فهذه من أوصاف البهائم، وتكون حريصًا على مجانبة أوصاف الشياطين. مثل الرياء والكبر والعجب والحسد، إلى أمثال هذه الأوصاف، وتفارق الغضب والضراوة والعداوة والحدة. وما أشبهها من أوصاف السباع. فإذا فرغت من هذه الأوصاف كلها، عند ذلك ترقيت إلى مقام الإنسانية. وهي أشرف الأوصاف التي تقدم ذكرها.

ثم تترقى من الإنسانية إلى الملائكية بعد طهارة القلب من الأوصاف البشرية كلها، عند ذلك تتصف بأوصاف الملائكة، وتتأدب بآدابهم حينئذ تتقلب النفس روحانية بعد أن كانت محجوبة بأوصاف البشرية والبهيمية والشيطانية والسبعية والله أعلم.

السؤال الرابع:

عن الوسواس، الذي يوسوس في صدور الناس، من الجنة والناس.؟

الجواب والله أعلم:

اعلم رحمنا الله وإياك؛ إن الوسواس الذي يخنس في صدور الناس؛ عبارة عن الشيطان الذي هو جاثم على القلوب.

فسبيل التخلص من وحيه وغروره؛ مداومة ذكر الله تعالى. مع طهارة القلب من الخبائث، التي تقدم ذكرها. فإذا ذُكر الله مع الطهارة المقدم ذكرها خنس الشيطان، فلم يرفع رأسه حتى يفتر الذاكر عن الذكر. كلما ذكر الله خنس، وكلما فتر رفع رأسه بالوسوسة. إلا إن

---

(1)حديث " أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك ". أخرجه البيهقي في كتاب الزهد من حديث ابن عباس وفيه مُحَّد بن عبد الرحمن بن غزوان أحد الوضاعين. تخريج أحاديث الإحياء: 1/3

هذه الوسوسة مع ورود الذكر عليه ضعيفة، ليس لها مدد من الغفلات، ولا الميل إلى الشهوات، فإذا كان الذكر بهذا الوصف؛ كلما ذكر الله تعالى احترق الشيطان من ذكره، قال ﷺ: ((ذكر الله في جنب الشيطان كالأكلة في جنب بعير)) هذا سبب ضعف مواده ووسوسته. فإذا أردت أن تحسم باب وسوسته بالكلية؛ فطهر صندوقك من ذكر غير الله تعالى، وكنس زواياه من أدناس خبائث القلب كلها، واغسله بماء الثقة والإخلاص في القول والعمل والنية، واجعل الذكر شعارك ودثارك، حتى أنك لا تفتر بحال من الأحوال.

فإذا استولى الذكر على القلب سطع لذكرك نورًا إذا رآه الشيطان صرع منه. فلا يفيق من صرعته مادام الذكر متواترًا.

قال ﷺ: ((إن الشيطان ليصرع من الذكر كما يصرع أحدكم من الشيطان)) فتبتدره الشياطين يقولون: ما الذي أصاب هذا فيقال: إنهُ مسَّه الإنس فليس كل الأذكار يصرع منها الشيطان؛ إنما الذكر الذي يصرع منه الشيطان هو الذي يصدر عن قلب سليم، طاهر من الخبائث، فارغ من غير ذكر الله. وعن لسان طاهر عن النطق بما لا يعني. مشغولًا بالذكر والتلاوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإصلاح بين الناس. هذا طريق العلاج في قطع مواد الوسوسة التي يلقيها العدو الذي هو ملازم لثمرة القلب. والله أعلم.

السؤال الخامس:

والله أعلم عن الحلال والحرام كيف السبيل إلى تمييز الحلال. لا سيما في وقتنا هذا، لأجل التباس الأموال والحرام، وفساد المعاملات، وإفشاء الظلم حتى عمَّ وجهُ الأرض، كيف السبيل إلى التخلص من هذه الأخطار.؟

قال ﷺ: ((لو كان في بيت أحدكم حبة شعير من حرام لم يُقبل دعاؤه ولو كان نبيًا)).

الجواب والله أعلم:

الحلال بيّن والحرام بيّن، وبينهما أمور متشابهة. فالناس في هذه ثلاثة مراتب:

الرتبة الأولى: هم أهل العدالة الذين وقفوا على حد العلم، من غير تأويل ولا ميل إلى رخصة، واستحلال مال الغير بحجة ضعيفة مقرومة بحيلة، سببها الإلجاء. ولا يتناولون من مال أجمعت العلماء على تحريمه. مثل مال السلطان، وأعوانه وعماله،

وكل من ينسب إليه، أو من يأخذ منهم بحكم الإدرار، أو من يعاملهم، ومن يتزيا بزيهم، أو مال المرابي، وبايع الخمر، وقاطع الطريق، وبايع السلاح منه، وبايع المصحف من الكفار، وما أشبه ذلك؛ فهو حرام مقطوع بتحريمه.

ومن اعتقد حِلّه فهو كافر؛ لأنه مكذب للشرع. والمجترئ على الأخذ من هذا الوجه مع اعتقاد تحريمه؛ منسوب إلى الفسق لا يوثق على ثلاثة أشياء منها:

أداء الشهادة، ورواية الحديث، والفتوى.

ومن اجتنب هذه الأموال من هذا الوجوه، وجانب أهلها. فهو عدل. وما عدا هذه الأموال من غير هذه الوجوه مقطوع بحلها، وإن كانت لا تنفك من الاشتباه، وإنما الغلبة للظن على حلها.. فهذه طريق العدالة.

وأما طريق الورع فهو:[1]

ترك التناول من هذا المال المقطوع بحله، لأنه يتعذر انفكاكه من الاشتباه، سوى قدر الضرورة؛ من مأكل، ومشرب، أو ملبس، أو

(1) يقول الإمام عبدالله بن أسعد اليافعي في الورع وهو المقام الثاني من مقامات السالكين:
جَليلُ العَطَايا في دَقِيقِ التورعِ فَدَقِقْ تَنل عَالي المَقَام المُرفْع
وتسلم من الحضور في كل حالة وتغنم من الخيرات في كل موضع
إيمان البلوي. اليافعي شاعرا، رسالة ما جستير ص 53

مسكن، أو منكح. من غير توسع. أما الطعام أو الشراب..فما سد الجوع والعطش.

وأما اللباس فما ستر العورة. ومن المسكن ما أكنَّ من الحر والبرد. وكذلك المنكح لا يتناهى فيه، فيأخذ أي امرأة كانت مع وجود الدين فليس له من هذه الأشياء سوى قدر الضرورة لا غير، ويترك الفضول.

المرتبة الثالثة هي طريق المتقين وهو:

أن يترك ما لابأس به حذار من الوقوع فيما فيه بأس. إلا إن أشرف على الهلاك فأنه يتناول من هذه الأموال التي أجمعت الأقاويل على حلها، قدر سد الرمق، من غير شبع. لبقاء الروح[1] فاعرف أين رتبتك من هذه المراتب، وأين منزلتك من هذه المنازل.

هيهات فاز المتقون، وخسر المبطلون. إياك أن تشتغل بهوسات المبطلين، وفاسد تأويل المغترين، بلامع السراب ممن استعبده الهوى، وأسره حب الدنيا في سجن طول الأمل، حتى أزعجه عن لذاته سرعة الأجل، فنغَّص عليه عيشه. يقول: الحلال متعذر وجوده في وقتنا هذا، وذلك لمجانبة التقوى، واتباعه دعاوي ضيم الهوى، وحرصه على التوسع في كسب الحرام وارتكاب الآثام، وقوة منافسته في جميع الحطام. قد أخرجه حرصه عن المراتب الثلاثة: العدالة، والورع، والتقوى، فلا تمل إلى رخصهم، وفاسد تأويلهم، لميلهم إلى الكسل عن الطاعات، وتنافسهم على ارتكاب المحرمات. كسب درهم واحد احب إلى أحدهم من ازدياده في الحسنات، والفوز بالدرجات، قد أخذت الدنيا بأزمة قلوبهم فانقادوا لها، ولم يبقى فيهم متسع لغيرها. فصارت لهم صنمًا يُعبد

(1) قال الجنيد الروح شيء استأثر الله بعلمه ولم يطلع عليه أحدًا من خلقه ولا يجوز العبارة عنه بأكثر من موجود لقوله {قُلِ الرُّح مِن أَمرِ رَبِي} الاسراء:85 كلا، عرف، 40، 14.

من دون الله. قال الله تعالى:{أفرأيت من اتخذ إلهه هواه }. [1] وقال ﷺ: ((من أحب شيئًا عَبَده)). [2]

فهذه العبادة من حيث الانقياد والإذعان، لا من حيث الجحد والكفران.

فهؤلاء من الذين قال الله فيهم: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ، أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [3]

فهذه مراتب تمييز الحلال من الحرام، ومنازل أهلها.

وأما استدلالك بالخبر الوارد عنه ﷺ حيث يقول: ((لو كان في بيت أحدكم حبة من شعير من حرام لم يتقبل الله دعاؤه ولو كان نبيا)).

فالخبر صحيح؛ وإنما مراده بالحرام: المال المقطوع بتحريمه من الوجوه المتقدم ذكرها، قال ﷺ: ((الحلال بين والحرام بين، وبينهما أمور مشتبهات)). [4] فادرأوها بالورع؛ فإنه ملاك الدين ورئيسه الورع من الدين بمنزلة الرأس من الجسد، من لا ورع له لادين له. وقال صلى الله عليه وسلم: ((الأمور ثلاثة: أمر استبان رشده فاتبعوه)) [5] وأمر استبان غيّه فاجتنبوه. وأمر أشكل عليكم فردوه إلى الله تعالى. والله أعلم.

---

(1) سورة الجاثية: آية 23

(2) سبق تخريجه.

(3)سورة هود: الآيتان 16/15.

(4) الحديث " عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ الْحَلاَلُ بَيِّنٌ وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَةٌ فَمَنْ تَرَكَ مَا شُبِّهَ عَلَيْهِ مِنَ الإِثْمِ كَانَ لِمَا اسْتَبَانَ أَتْرَكَ وَمَنِ اجْتَرَأَ عَلَى مَا يَشُكُّ فِيهِ مِنَ الإِثْمِ أَوْشَكَ أَنْ يُوَاقِعَ مَا اسْتَبَانَ وَالْمَعَاصِي حِمَى اللهِ مَنْ يَرْتَعْ حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكْ أَنْ يُوَاقِعَهُ". أخرجه البخاري في صحيحه برقم 52

(5) رواه الطبراني في الكبير ورجاله ثقات..والحديث: عن ابن عباس عن النبي ﷺ أن عيسى ابن مريم عليه السلام قال: إنما الامور ثلاثة؛أمر تبين لك رشده فاتبعه وأمر تبين لك غيه فاجتنبه وأمر اختلف فيه فرده إلى عالمه.

السؤال السادس:

وهو عن: رجل يريد الخروج عن الدنيا ونفسه له مغالية. فما دواء ذلك حتى يعود إلى طريق من تركها.؟

الجواب والله أعلم:

إن أقوى أسباب علاج القلب من فرط حب الدنيا:

ذكر الموت الفاصل بين العبد ولذاته؛ ويكون ذلك على التوالي لاسيما في أوقات الخلوات في بيت مظلم خالٍ، حتى يعظم تأثيره في القلب، فيتولد منه قصر الأمل، وذلك عند استيلاء ذكر الموت على القلب. قال صلى الله عله وسلم: ((أكثروا من ذكر هاذم اللذات،))[1] فأنكم إن ذكرتموه في ضيق وسعه عليكم، وإن ذكرتموه في سعة هونه عليكم وجدتم به)).

هذا دليل على أن ذكر الموت يتولد منه قصر الأمل[2] الذي هو ضرورته الزهد في الدنيا؛ مع خوف مزعج يتنغص منه العيش، وهو خوف هجومه في وقت لا يحتسبه. لأنه لا يأتي في وقت مخصوص، ولا في حال مخصوص، ولا يفارق قلبك الوجل من تفريطك في أيامك وساعاتك. وسائر أوقاتك. فينقلب هذا الوجل رعبًا يوجب انقطاعك عن جميع الشواغل. حتى انك لا تسمع بتفريط ساعه تمر بك، إن أصبحت لا تحدثك نفسك بالمساء وإن أمسيت لا تحدثك نفسك بالصباح لأن أجلك مبهم لا تدري أي وقت يهجم [عليك][3]. فتستعد له مادام حبلك على غاربك.

---

(1) سبق تخريجه.

(2) من ألطف ما قيل في تصوير قِصَر الأمل قول القائل:

أذانُ المرء حينَ الطفَّلُ يأتي وتأخيرُ الصّلاة إلى المماتِ

دليلٌ أنَّ محياهُ يسيرٌ كما بينَ الأذان إلى الصلاةِ

(3) ما بين المعقوفتين من وضع بالمحقق

فهذا من أسباب العلاج لقلبك من فرط حب الدنيا إن انتفعت وإلا فذكر نفسك الوعيد الوارد من الكتاب والسنة، في حق من احبها وركن بقلبه إليها.

أما من الكتاب: مثل قوله تعالى: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا}.[1] ومثل قوله تعالى:{مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ، أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}[2]

وأما من الآثار مثل قوله ﷺ: من أصبح والدنيا أكبر همه أحبط الله ثلثي عمله)). وقال ﷺ: ((حُب الدنيا رأس كل خطيئة))،[3] فإذا كان حبها رأس كل خطيئة؛ فالزهد فيها رأس كل حسنة فمثل هذه الآيات والأخبار كثيرة، فكرر ذكرها في كل وقت لعلك تفلح وتزهد فيها، وإن لم تنتفع بذكر الموت والآيات والأخبار؛ لم تنتفع بشيء من غيرها. والله أعلم.

السؤال السابع:

وهو عن رجل له دَين على آخر فطلب منه رهن بقرة تحلب، وطلب المرتهن من الراهن إباحة اللبن، لأجل الدراهم التي أقرضهُ إياها، وإلا لم يفعل، فهل يحل اللبن للمرتهن على هذا الوجه ظاهرًا وباطنًا أم لا؟.

الجواب

والله أعلم: اللبن حلال بمجرد لفظ الإباحة عند الحكام، وحرام لعدم الرضا عند الملك العلام، فالحكام وأهل الفتيا من أهل العلم الظاهر؛ يقطعون بما ظهر لهم، لقصور نظرهم، وعكوفهم على الظاهر،

---

(1) سورة الأسراء: الآية 18.

(2) سورة هود: الآيتان 16/15.

(3) سبق تخريجة.

وجمودهم على تقليد أسلافهم. إلا إن غلب ظن المرتهن على أن الراهن تسمح نفسه بذلك، لا لجر منفعة ولا لدفع مضرة عليه، يكاد يقطع بها، أو كان الراهن ممن أعد ماله لمكارم الأخلاق فهو حلال.

وأما علماء الأخرة: فقد أجمعت أقاويلهم إن الأخذ من هذه الوجوه حرام.

وأيضًا لا يقطع على مخلوق بشر باستدامة حال واحد على الدوام، من الإباحة وغيرها والله أعلم.

فلم يعرجوا على الظاهر مع ما ظهر لهم من عدم الرضا بقرينة حالة. وعلى الجملة متابعة الورعين واقتفاء آثار المتقين أبرأ لدينك، واسلم لعاقبتك.

السؤال الثامن

وهو عن رجل كان له دين على آخر وهو ممن يخلط الحلال بالحرام فهل يصح له أن يتقاضى منه دينه.

الجواب والله أعلم:

إن كان أقل ماله الحرام؛ جاز له أن يتقاضى منه، لغلبة الحلال على ماله. فالحكم للأغلب.

وإن كان أكثر ماله حرامًا؛ فقد اختلف العراقيون والخراسانيون[1] في جواز معاملته؛

وانفرد الشيخ أبو إسحاق [2] رحمه الله بتجويز معاملته. وخالفه الخرسانيون، وجملة علماء الآخرة من أهل الورع في ذلك. وقع إجماعهم

---

(1) إي اختلافهم في كتبهم وهي مراجع لأهل التصوف.

اورد القشيري أيضا في رسالته القول باختلاف بعض المتصوفين من الخرسانيين والعراقيين. الرسالة القشيرية ص 117.

ذكر البدر الأهدل في تحفة الزمن في ترجمة والد الفقيه العلامة صاحب الضحي مُحَمَّد بن إسماعيل الحضرمي قال: (...وكان يدرس في طريقة الخرسانيين والعراقيين...).

(2)أبو إسحاق الشيرازى: صاحب المهذب والتنبيه، وتكرر في الروضة. هو الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن على ابن يوسف بن عبد الله الشيرازى الفيروزأباذى، منسوب إلى فيروز أباذ، بفتح الفاء، وأصله بالفارسية: الكبير، وهى بليدة من بلاد فارس، وهو الإمام المحقق المتقن المدقق ذو الفنون من العلوم المتكاثرات والتصانيف النافعة المستجادات، الزاهد، العابد، الورع، المعرض عن الدنيا، المقبل بقلبه على الآخرة،=

=الباذل نفسه فى نصر دين الله، المجانب للهوى، أحد العلماء الصالحين، وعباد الله العارفين، الجامعين بين العلم، والعبادة، والورع، والزهادة، المواظبين على وظائف الدين، المتبعين هدى سيد المرسلين – صلى الله عليه وسلم – ورضى الله عنهم أجمعين.

ولد سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة، وتفقه بفارس على أبى الفرج بن البيضاوى، وبالبصرة على الجوزى، ثم دخل بغداد سنة خمس عشرة وأربعمائة، وتفقه على شيخه القاضى الإمام الجليل أبى الطيب الطبرى طاهر بن عبد الله، وجماعة من مشايخه المعروفين، وسمع الحديث من الإمام الحافظ أبى بكر البرقانى، بفتح الباء وكسرها، وأبى على بن شاذان، وغيرهما من الأئمة المشهورين.

ورأى رسول الله – ﷺ – فى المنام، فقال له: يا شيخ، فكان يفرح بذلك ويقول: سمانى رسول الله – ﷺ – شيخًا. وقال: كنت أعيد كل درس مائة مرة، وإذا كان فى المسألة بيت شعر يستشهد به حفظت القصيدة كلها من أجله.

وكان عاملًا بعلمه، صابرًا على خشونة العيش، معظمًا للعلم، مراعيًا للعمل بدقاته وبالاحتياط. كان يومًا يمشى وبعض أصحابه معه، فعرض له فى الطريق كلب، فحسره صاحبه، فنهاه الشيخ، وقال: أما علمت أن الطريق بينى وبينه مشترك. ودخل يومًا مسجدًا ليأكل فيه شيئًا على عادته، فنسى دينارًا فذكره فى الطريق، فرجع وجده فتركه ولم يمسه، وقال: ربما وقع من غيرى ولا يكون دينارى.

قال الحافظ أبو سعد السمعانى: كان الشيخ أبو إسحاق إمام الشافعية، والمدرس ببغداد فى النظامية، شيخ الدهر، وإمام العصر، رحل إليه الناس من الأقطار، وقصدوه من كل النواحى والأمصار، وكان يجرى مجرى أبى العباس بن سريج. قال: وكان زاهدًا، ورعًا، متواضعًا، ظريفًا، كريمًا، سخيًا، جوادًا، طلق الوجه، دائم البشر، حسن المحاورة، مليح المجاورة، وكان يحكى الحكايات الحسنة، والأشعار المليحة، وكان يحفظ منها كثيرًا، وكان يضرب به المثل فى الفصاحة.وقال السمعاني أيضًا في موضع آخر: تفرد الإمام أبو إسحاق الشيرازي بالعلم الوافر، كالبحر الزاخر مع السيرة الجميلة، والطريقة المرضية، جاءته الدنيا صاغرة فأباها، وأطرحها، وقلاها. قال: وكان عامة المدرسين بالعراق والجبال تلاميذه وأصحابه، وصنَّف في الأصول، والفروع، والخلاف، والجدل، كُتبًا أضحت للدين أنجمًا وشُهبًا. قال: وكان يكثر مباسطة أصحابه ويكرمهم ويعظمهم، ويشترى طعامًا كثيرًا، فيدخل بعض المساجد فيأكل كل منه مع أصحابه، وما فضل تركوه لمن يرغب فيه، وكان طارحًا للتكلف.

قال القاضى أبو بكر مُحَمَّد بن عبد الباقى الأنصارى: حملت إليه فتوى، فرأيته فى الطريق، فمضى إلى دكان خباز أو بقال، وأخذ دواته وقلمه، وكتب جوابه، ومسح القلم فى ثوبه، وكان ذا نصيب وافر من مراقبة الله تعالى، والإخلاص، وإرادة إظهار الحق، ونصح الخلق.

وقال أبو الوفاء بن عقيل: شاهدت شيخنا أبا إسحاق لا يخرج شيئًا إلى فقير إلا أحضر النية، ولا يتكلم في مسألة إلا قدَّم الاستعاذة بالله تعالى، وأخلص القصد في نصرة الحق، ولا صنَّف شيئًا إلا بعدما صلى ركعات، فلا جرم شاع اسمه واشتهرت تصانيفه شرقًا وغربًا ببركة إخلاصه. قالوا: وكان مستجاب الدعوة.

قال القاضي مُحَمَّد بن مُحَمَّد الماهاني: إمامان لم يتفق لهما الحج: أبو إسحاق الشيرازي، والقاضي أبو عبد الله الدامغاني. أنشد السمعاني وغيره للرئيس أبى الخطاب على بن عبد الرحمن بن هارون بن الجراح شعرًا:

سـقيا لمـن ألـف التنبيـه مختصـرًا
إن الإمـام أبا إسـحاق صـنفه
رأى علومـًا عـن الأفهـام شـاردة
بقيـت للشـرع إبـراهيم منتصـرًا
ألفاظـه الغـر واستقصـى معانيـه
لله والـدين لا للكـبر والتيـه
فخازهـا ابـن علـى كلهـا فيـه
تـذود عنـه أعاديـه وتحميـه

على تحريم معاملته، لغلبة الحرام على ماله، كالثوب الذي هو أكثره حرير وقع إجماعهم على تحريم لبسه، وإن كان نصفه حرير فعلى الخلاف. فمِل إلى طريق الورعين، واقف آثار المتقين.

إن الورع من الدين بمنزلة الرأس من الجسد. وقال أيضًا: من لقي الله ورعًا أعطاه الله ثواب الإسلام كله

وقال أيضًا: حكاية عن ربه تعالى: أما الورعون فإني استحي منهم يوم القيامة أن أنشر لهم ديوانًا وانصب لهم ميزانًا.

=قوله: مختصرًا، بكسر الصاد وألفاظه منصوبة. ولأبي الخطاب أيضًا:

أضحت بفضل أبي إسحاق ناطقة
بها المعاني كسلك العقد كامنة
رأى علومًا وكانت قبل شاردة
ولا زال علمك ممدودًا سرادقه
صحائف شهدت بالعلم والورع
واللفظ كالدر سهل صد ممتنع
فخازها الألمعي الندب في اللمع
على الشريعة منصورًا على البدع

ولأبي الحسن القابسي:

إن شئت شرع رسول الله مجتهدًا
فاقصد هديت أبا إسحاق مغتنمًا
تفتى وتعلم حقًا كلما شرعا
وادرس تصانيفه ثم احفظ اللمعا

ونقل عنه، رحمه الله، أنه قال: بدأت في تصنيف المهذب سنة خمس وخمسين وأربعمائة، وفرغت منه يوم الأحد آخر رجب سنة تسع وستين وأربعمائة. توفى ببغداد يوم الأحد، وقيل: ليلة الأحد الحادي والعشرين من جمادى الآخرة، وقيل: الأولى، سنة ثنتين وسبعين وأربعمائة، ودفن بباب البرز، وصلى عليه من الخلائق ما لا يعلمه إلا الله، ورؤي في النوم وعليه ثياب بيض، فقيل له: ما هذا؟ فقال: عز العلم، رحمه الله. الأنساب 361/9، 362 وطبقات فقهاء اليمن 270 والمنتظم 228/16 – 231 وصفة الصفوة 66/4، 67 والمنتخب من السياق 124 والكامل فى التاريخ 132/10، 133 واللباب (451/2) ووفيات الأعيان (29/1 – 31) والمختصر فى أخبار البشر (194/2، 195) والعبر (283/3، 284) وسير أعلام النبلاء (542/18 – 464) والإعلام بوفيات الأعلام (196) والمستفاد من ذيل تاريخ بغداد (42 – 46) وتاريخ ابن الوردى (381/1) ومرآة الجنان (110/3 – 119) والبداية والنهاية (124/12، 125) وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى (88/3، 111) طبقات الشافعية للإسنوى (83/2 – 85) والوافى بالوفيات (62/6 – 66) وتاريخ الخميس (401/2) وطبقات الشافعية لابن قاضى شهبة (244/1 – 246) والنجوم الزاهرة (117/5، 118) وتاريخ الخلفاء (426) وديوان الإسلام (68/1، 69) والأعلام (51/1) ومعجم المؤلفين (69/1)..

وأما في وقتنا هذا لا يراعى فيه إلا التوقف والتثبت؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: ((خيركم في آخر الزمان المتوقف المتثبت)). [1]

فشهد له ﷺ أن السبق في آخر الزمان بالورع والتثبت على السنة، لا بسائر الطاعات مع قلة الورع وذلك لعدم الورع وفقد أهله واندراس علمه وعمله، حتى انه كالمنكر في وقتنا، فلا تغتر بقول من يجرّئُك على الحرام والشبهات، واتبع سبيل أولى الحزم والنهى، من أهل الورع والتقوى، ولا تتعلل بالرخص والأماني.

قال ﷺ: ((الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني)).[2] لا تعدل من طريق الورعين فيحبط عملك، قال ﷺ: ((لو صليتم حتى تكونوا كالحنايا وصمتم حتى تكونوا كالأوتار لن يتقبل الله ذلك منكم إلا بورع حاجز))[3] والله أعلم.

وسُئل رضي الله عنه: عن لفظ صدر في أول خطبة هذه المسائل الثمان:

وهو عن معنى قوله: أوجد الخلق على اختلاف طبائعهم وأوصافهم، منهم من عرفه بربوبيته قبل إيجاد الكون. إذ كان سمير الإكرام عصبة في خطائر قدسه، ورياض أنسه، يُطاف عليهم بكؤوس خمور القدس، لا من خمر خمار، حتى برز إلى عالم التخطيط والتركيب، ملازمًا للعهد القديم، لم يتكدر حاله لطول عهده، فارتفعت عنه الحجب والأستار.

فقال السائل: هذه المعرفة قبل إيجاد الكون لم تزل موجودة، ولم يطرأ عليها ساتر بالبروز إلى عالم التخطيط والتركيب، أم يقع عليها

---

(1) ذكر الغزالي في إحياء علوم الدين هذا اللفظ وفي حديث بلفظه " أنتمُ اليومَ في زمانٍ خيرُكمْ فيهِ المسارعُ وسيَأتي زمانٌ خيرُكُمْ فيهِ المتثبتُ . ليس له اسناد، السبكي:طبقات الشافعية الكبرى:381/6

(2) سبق تخريجه.

(3) اورده الامام الغزالي في إحياء علوم الدين..كتاب الحلال والحرام وهو الكتاب الرابع من ربع العبادات. وقال عبد الله بن عمر ﷺ: لو صليتم حتى تكونوا كالحنايا وصمتم حتى تكونوا كالأوتار لم يقبل ذلك منكم إلا بورع حاجز.

الساتر ثم ينكشف، حتى يذكر ما كان منه في الأزل من العهد القديم، ذكر معرفة لِما كان منه في الأزل تحقيقًا لا تقليدًا هو.؟ أم ذكر موافقة بأمر لطيف لا يُدرك بالعبارة الظاهرة بل بإلهام رباني.؟

فأجابه ﷺ:

مبتدئًا بحمد الله الذي دلَّ على نفسه، ببديع إنشاء مُحكم ترتيب تركيب عجائب ما صنع الداعي إلى دينه، بجوامع منظوم غرائب فصاحة بلاغة معجزة ما شرع، والهادي به خاصه أوليائه إلى المنهج الأسنى والجناب المقدس الأرفع، فجلى عنهم ظلام كل ريب بفهوم قواطع أدله نتائج العقول وقضايا... الاصنع فنتيجتة مجموعها صدق اليقين المحروس من مضلات الفتن ومحدثات البدع، فحداهم فرط الاشتياق إلى تطهير المحل من نجاسات أوساخ كدورات أوصاف البشرية التي هي منشاءها حب المال، والشرف والهوى المتبع، فنهج لهم الطريق إلى معرفته؛ بتسليط دواعي الشوق المزعج إلى العطن الرحيب الأوسع، وصرف عن قلوبهم كُلفة كل عائق ومثبط عن مراميها، بصولة عدم الالتفات إلى خط عاجل أو آجل ودفع[1] وجالت أرواحهم في ميادين الملكوت الأعلى على بساط الأنس، فأنكشف عنها الغطاء وارتفع وتجلى لها بمحاسن صفاته وأسمائه في حلل بهائه، فعزَّ عليها الرجوع وامتنع، فكلما رامت الرقي إلى إدراك حِمى ذاتِهِ دُفعت بيد القهر وصولة الرد إلى الاعتراف بالعجز والقصور، مترددة بين اليأس والطمع، فسمعت النداء من سرادق الجلال: أيها الطامع في نيل حمى ذاتنا مُت ببيداء[2] الهلع، كم تاه قبلك تائه في مهامه الحيرة وانقطع لك عندي منزل بهي ومَوْرِدٍ[3] روي رائق ومشرع.

وأشهد أن لا أله ألا الله وحده لا شريك له تعالى وتنزه قول كل أفاك افترى أثمًا وابتدع. وأشهد أن محمدًا عبده المرتضى ورسوله المجتبى

---

(1)هكذا في الأصل (ا)وفي (ت).

(2) البيداء: الصحراء الواسعة سميت بذلك لأنها تبيد من يحلها.

(3) المَوْرِد: موقف الورود إلى الله تعالى.

السابق في كل مشهد ومجمع، ﷺ وعلى آله وأصحابه، ما أضاء فجرٌ وسطع، أو شَدَا حمام على الأيك وسجع..وبعد:

فإنه لما أوجد الله الأرواح اللطيفة من سرادق جلال عالم الأمر بحكمته، كان إيجادها قبل إيجاد أجسام العالم، حين لا أرض مدحية ولا سماء مبنية، ولا شمس تجري، ولا قمر يسري، ولا أنجم غايرة، ولا أبحر زاخرة، لا العرش ولا الكرسي، لا الجنة ولا النار. مصداقه قول سيد البشر ﷺ حيث يقول: ((خلق الله تعالى الأرواح قبل الأجساد بألفي عام))،

مراده هاهنا؛ أجساد العالم الكبير المقدم ذكره فقط، أوجدها في حلة نورانية لطيفة معتدلة لا تقبل التغيير بحال لمن ليست له أهلية ملكية، أو قرآنيه ملكوتية، ولم يكن له بصر نافذ يفرق به بين الحق والباطل، ثم جعل لهذه الأرواح إحساسًا خمسة معنوية، وزينها بنور العقل الذي هو ميزان الله تعالى في أرضه، فكانت عارفة بالله تعالى في سابق القدم، قبل إيجاد الكون.

حينئذٍ صلحت للخطاب الإلهي يوم البساط حين قال: ألست بربكم.؟ قالوا بلى. فمن لا يسمع ولا يبصر ولا يعقل؛ كيف يصلح للخطاب.!؟ أم كيف يصدر عنه الجواب.

هذا من أدّل الدليل على أن الأرواح كانت مستغنية عن الأشباح.

فينبني من هذا؛ أن الأدوات الإنسانية هي: المعاني القائمة بالأشباح، وإنما الأشباح تكملة لها. ألا ترى أنها أذا انتزعت عند الموت وفارقت شبحها بقيت في القبر منعمة أو معذبة تُسأل وتخاطب فهذا اعتقاده حق، والإيمان به واجب.

نعود إلى ذكر حديث الأرواح:

فلمّا أوجدها في عالم سابق أزله؛ ميزها وجعلها فريقين؛ فريقًا للهداية التي هي نتيجة السعادة الأبدية لا بوسيلة تقدمت.

وفريقًا حقت عليهم الضلالة؛ لا بجريمة سلفت بل إسعاده لإتمام فضله وإشقاؤه لإظهار عدله وليس شرطًا على الصانع أن يتناسب صنعه أو يتساوى بل له إصلاح شيءٍ بإفساد شيء؛ لأن فعله يتقدس عن العبث الذي هو جزاف وليس يفعل إلا ما هو أولى، ولو صلح الخلق جملة لبطلت الحكمة ولم يظهر شرف الصلاح، ولم يحصل لأهل الصلاح معرفة بقدر النعمة، ولم يتميز الخير من الشر، إنما تُعرف الأشياء بأضدادها. فإذا عرف أهل النعمة ما ينزل بأهل العذاب من النكال أو أهل العافية ما يقاسيه أهل البلاء من سوء الحال؛ ابتهجوا للنعمة وعدّوها من أعظم المنّة. وعُظِم شُكرهم لله تعالى، ولا مبالاة عند الحكيم بمن أُشقى ولا بمن أُسعِد؛ فمرَادَهُ كمال أوصاف ربوبيته بإظهار الفضل على السعداء، وإتمام العدل على الأشقياء فقط.

فإن اعترض مُعترِض وقال: كيف يُعَذِب بعدما سبق قضاؤه بالأشقياء.؟

نقول: الدنيا والآخرة مملوكتان لله تعالى ليس فيهما من شريك ولا مُنازع له، فمن تصرف في مُلكِهِ كيف يُنْسَبُ إلى الظُلم والجور؛ فأرواح الأشقياء كانت جاهلة بموجدها، مطروحة في سابق قِدَمِه في غَيَابَاتِ حُجُبِ الظُلمة، لم تعرف موجدها.

ولهذا خرجت جاحدة منكرة لأنها؛ لم تتقدم لها معرفة به فعبر عنها بقوله تعالى: {قلوبهم منكره وهم مستكبرون}،[1] وقال الله تعالى: {وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لا يُبْصِرُونَ}[2]. وأمّا أرواح السعداءَ؛ فأنها كانت مرفوعة في حظاير قُدسة مستأنسة بقربه، مُنعمة بلذيذ مناجاته، يطاف عليهم بكؤوس خمور القدس. لم تطلب عنه حولًا ولا عنه معدِلًا. ولم تعرف غيره في مقعد صدق عند مليك مقتدر. فلم تزل كذلك حتى أوجد الله تعالى آدم عليه السلام من تراب، وركبه أحسن تركيب في أتم

---

(1) {إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ}سورة النحل. آية **22**.

(2) الآية: { مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لا يُبْصِرُونَ }.سورة البقرة: الآية **17**.

تقويم، وأظهر شرفه إذ منحه صورته. ولا يقال إن لله صورة أي محسوسة، فإن ذلك اعتقاد الحشوية؛[1] بل هو من طريق المعني.

فلما أتم خلقه نفخ فيه من روحه، وعلمه أسماء كل شيء، وتعليمه كان بالجبلة الفطرية. ثم أمر الملائكة بالسجود له فامتثلوا قوله ولم يخالفوا أمره، فسجد الملائكة كلهم أجمعون، إلا إبليس، فكان استثناؤه لما سبق له من الطرد والإبعاد.

وذلك السجود من الملائكة لم يكن بمباشرة الجِباه، بل كان سجودهم كهيئة الركوع إجلالًا للربوبية، وتعظيمًا للديمومية.

ثم أخذ الأرواح جملة فأسكنها صلب آدم عليه السلام فجعل العارفة في شقه الأيمن لمزية شرف اليمين على الشمال. وقال هؤلاء في الجنة ولا أُبالي. وجعل الجاهلة في شِقه الأيسر وقال: هؤلاء في النار ولا أبالي. فأرواح السعداء كانت نورانية لطيفة معتدلة يعلوها البياض.

وأرواح الأشقياء؛ كانت مائلة كَدِرة يعلوها السواد فمكثت في صلب آدم عليه السلام ما شاء الله تعالى.

فلما كان يوم البساط؛ وحضرت الملائكة على أقطارها؛ أخرجهم من صلب آدم كهيئة الذر، وأخذ عليهم الميثاق. وقال: ألستُ بربكم.؟ قالوا بلى. فكان الإقرار من الأرواح جملة.

فلم يتصور للجاهلة يومئذ إنكار أصلًا. لغلبة شدة الهيبة عند ظهور قهر سلطان العزة.

فقالت الملائكة: "شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا أنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون"

فمن تمام عدله؛ بعث إليهم رسلًا بالآيات البينات، وقواطع الحجج الواضحات، يذكرونهم سالف عهدهم. فأصبحت حجتهم

---

(1) هم المجسمة وهم الذين لا يجيزون النظر في الدين انظر جامع الفرق والمذاهب ص 87.

داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد. قال الله تعالى: {وما كنا معذبين حتى نبعث رسولًا}.

وأمّا قوله ألست بربكم؛ لم يكن ذلك من طريق الاستفهام؛ بل هو تقرير وإلزام، فلم يبعث الرسل إلا لإقامة الحجة على خلقه، وأحضر الملائكة وجعلهم شهداء على الناس فلمّا قَضَى فيهم أمرة، وأنفذ فيهم حُكمُه، ردهُم إلى صُلب آدم عليه السلام. فهم ينتقلون من صُلب إلى صُلب، ومن بطنٍ إلى بطن، حتى برزوا إلى عالم التخطيط، والتركيب؛ وهم على العهد القديم، ملازمين له غير ناسيين، حتى لابسوا عالم الشهادة، فمالوا بالطبع إلى الأهواء المضلة، والعقائد الفاسدة، واتباع الشهوات، وصحبة الغافلين، فتولد من ذلك كدورة على المرآة التي كانت على اصل فطرتها، من الصفاء الذي كانت مجبولة عليه، فتَسَوَّد وجه القلب، وسواده سبب الحجاب عن الله تعالى، حتى أنه لا يسمع، ولا يبصر، ولا يعقل، حتى ينفذ فيهم أمره وقضاؤه الذي سبق لهم في أُم الكتاب.

فهؤلاء المرادون بقوله تعالى: {لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ}[1]

هذا مع وجود الأحساس الخمسة، لما بطلت حقيقتها لم يجعل لها حكمًا ولا تأثيرًا. وإليه الإشارة بقوله عليه السلام: ((كل مولود يولد على الفطرة وإنما أبواه يهوّدانه وينصرانه ويمجسانه))[2]. وذلك لغلبة الطباع فالنفس مجبولة على التشبه والاقتداء.

---

(1) سورة الأعراف: الآية 179،

(2) متفق عليه.. البخاري 1358، 1359، 4775,6599، ومسلم: 22 . 2658؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه: " ما من مولود إلا يولد....."

قال ﷺ: الطبع يسرق من الطبع ولو كرهت النفس. فإذًا أهل المقامات [1] على ثلاث طبقات؛ منهم من يقع عليه الساتر من الحجب المتكاثفة المتولدة من أنواع المعاصي، التي يرتكبها العبد بالانقياد لغاوي شيطان الهوى. والميل إلى الشهوات والكفر والنفاق على وفق أحكام الربوبية، وتقدير سابق المشية. فأن كان ممن سبقت له من الله الحسنى، فمتداركته يد العناية، فاستخرجته من فم تنين الغواية، ويفتح له أسباب الهداية، فينتهز فرصة الإمكان بقوة العزم، لجلاء تلك الكدورات المتولدة من الأعمال الخبيثة والأخلاق الرديئة، بتوبة صادقة موجبة للحزن اللازم، والبكاء الطويل على التفريط فيما سلف، وتكون حريصًا على إصلاح الخلل من المؤتنف، مبادرًا سرعة الأجل، ولا يغتر بطول المهل، يفارق كل خلق دني، ويتَحلى بكل خلق سني، فإذا حسنت صقالة مرآة قلبه حتى لم يبقى فيها كدورات، واستعدت لقبول الأنوار الإلهية، والأسرار الربانية، تجلت فيها أمور صادقة، لا تقبل التغيير بحال ولا تدرك بالعبارة الظاهرة بمجال، بل بعلوم ذوقية. وبهذا الإدراك؛ يدرك ما كان منه في الأزل، تحقيقًا لا تقليدًا. فإن تزايد نوره وقوي كشفه[2] على قدر استعداده، أدرك ما يكون في المستقبل. فصاحب هذا الإدراك لا يقبل التقليد؛ لأنه يقتبس من جانب طور ذاته، ويقتبس من مشكاة نور قلبه. فمثل هذا يعد إمام وقته، ورئيس

---

(1) في الإصطلاح الصوفي تعريفهم للمقام، يرتقي فيه العبد، بالمجاهدات والعبادات فيعرف مفهوم الألوهية فيزدجر خوفًا من خشية الله، وتقود الخشية لإلي الطاعات التامة عملًا بقوله تعالى {ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد }. سورة إبراهيم. آية 14.

و يرى الطوسي أن المقام هو الذي يقوم بالعبد في الأوقات مثل مقام الصابرين والمتوكلين وهو مقام العبد بظاهرة وباطنه في هذه المعاملات والمجاهدات والإرادات.

(2)إن الصوفي في حالة القول قد يأتيه الكلام كشفًا لحظيًا يتفضل الله به عليه، وأحيانًا مّا يقول كلامه وهو في حال غيبة أو وجد ناتج عن سماع مثلًا.. ومن ذلك ما يرويه الشرجي في طبقات الخواص ص297 عن التباعي أنه: توالى عليه الذهول، فكانت تطرقه حالات يبقى تارة شاخصًا ببصره إلى السماء ساعة طويلة، وتارة يكون مطرقًا لا يجيب أحدًا، وكان يمكث الأشهر لا يأكل ولا يشرب ولا يفهم منه أمر وكان في بعض الأوقات يرجع إليه حسه فيتكلم بكلام من الحكمة، ويتكلم بشيء من المكاشفات..علوان مهدي الجيلاني: سلطان العارفين – إسماعيل الجبرتي– حياته، طريقته، آثاره وتأثيره

أهل ملته، وهم المرادون بقوله تعالى: {واتقوا الله ويعلمكم الله }. وقال ﷺ: ((من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم)). [1]

وقال الصديق الأكبر رضي الله عنه: (إنّي لأعرفُ يوم أخذ الله عليَّ العهد والميثاق. وهو يوم البِساط فمن توهم أن هذا الصديق كان هذا الذكر له مستمرًا ولم يقع عليه كدورات القلب فقد أخطأ) وإلا من أين حصل للصديق هذا الإدراك إلا من حيث صفاء أوصاف القلب من جميع الكدورات البشرية، ومجانبة الكفار والمنافقين. ولهذا المقام أهل هم جمهور أهل العناية والاختصاص.

ومنهم من لم يقع عليه الساتر، ولم يحجبه عن تلك الحضرة تنقله من صلب إلى صلب، أو من بطن إلى بطن، حتى برز إلى عالم التخطيط والتركيب، وهو على الفطرة الأصلية، ولم يقع عليه ساتر يحجبه عن حاله، ولم يغب عن عالمه ساعة، لأنه لم يتلذذ بالشهوات من المباحات، فضلًا عن المحرمات، ولم يتدنس مدة حياته بالمخالفات. كعيسى ابن مريم، ويحيى ابن زكريا، عليهما السلام. وكل من سلك سبيلهما، واتبع اثرهما.

فهؤلاء في شهود دايم، لم يُحجبوا أبدا. وكذلك أهل هذا المقام متفاوتون في الكشف؛ منهم من تجلى له جمالًا، فيغلبُ عليه الأنس والانبساط. ومنهم من تجلى له جلالًا، فتغلبُ عليه الهيبة، فيكون حاله الحزن والانكسار. ومنهم من حجبه وهو في اكمل مقام، لا لبخس حظه، ولا لدُنُوِ رُتبته، بل غِيرة عليه، واستئثارًا به، فحجبه لحكمةٍ أخفى عن خلقهِ إدراكها، تخرج عن مقدور البشر. لأنه من مستأثر علم الله الذي يغيب عن الملائكة المقربين، وعن خواص الأنبياء والمرسلين. فحال أهل هذا الموقف أبدًا؛ الازراء على نفسه، مع قوة اجتهاده، وطول حزنه. لاعتقاده في نفسه أنه من أشرار الخلق على وجه الأرض، يراه الناس أنه من أسقاطهم. لكونه لا يرفع نفسه عن الناس بشيء

---

(1) سبق تخريجه

يأنف منه الناس. وذلك لهوان نفسه عليه. فهؤلاء المرادون بقوله تعالى:{وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ}[1].أي شديدة الخوف من الرد أنهم إلى ربهم راجعون أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون. فشهد لهم بالسبق لتلاشيهم وفنائهم عن أنفسهم.

فالإدراك على ثلاث مراتب: إلهام، وإلقاء، وتلقي. ولكل واحد من هذه المراتب رجال؛ فأما – الإلهام:

فإنه أمر يقوم في نفس الحكيم الرباني، بعد طهارة المحل، ولم يدر من أين هو، إلا أنه يدرك التفرقة بين وارد حق وما يضاده، إن كان وارد حق؛ واقف ما عنده من الصفاء الحاصل، فأن خالف ما عنده من الصفاء؛ تحقق بطلانه، لأنه طاهر المحل بريء الساحة من الباطل، وبهذا يدرك التفرقة بين الحق والباطل لأنه معيار حق، وميزان صدق، فهذا النور هو نتيجة التقوى. قال الله تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا} .[2]

ومعنى الفرقان هاهنا: هو نور الإلهام الذي يقذف في قلب المتقي، يفرق به بين الحق والباطل.

وأمّا الإلقاء: فهو أمر خارج يرد بواسطة الملائكة، إما بسماع صوت كالهاتف من غير رؤية ومشاهدة، أو يكلمونه شفاها، فذلك على قدر استعداده وتحققه بهذه الأعضاء السبعة، ووزنه إياها بميزان الشرع، حتى لا يتعدى أمرًا واحدًا مما حدَّ له الشرع قولًا وعملًا واعتقادًا، وعلى هذا يحمل قوله عليه السلام: "إن من أمتي محدثين ومكلمين" وإن عمر منهم.[3]

---

(1) سورة المؤمنون: الآية 60.

(2) سورة الأنفال: الآية29.

(3) ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: ((إن فيكم محدثين، وإن منهم عمر)) (إي فيكم من يخبر بالأمر كأنه حدث به).وقد وقع للصحابة من ذلك وقائع معروفة تشهد بذلك في مثل قول عمر ﷺ: يا سارية الجبل ـ وهو سارية بن زنيم، كان قائدًا على بعض جيوش المسلمين بالعراق أيام الفتوحات، وتورط مع المشركين في معترك، وهم بالانهزام، وكان بقربه جبل يتجهز إليه، فرفع لعمر ذلك وهو يخطب على المنبر

فهذه الرتبة: أعلى من الأولى.

وأما التلقي: فيختص به الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام والوارثون من خواص أكابر الأولياء، وذلك بعد فنائهم عن أنفسهم وعن حظوظهم وعن جميع الأكوان، ولم يبقى فيهم متسع لغير الله، فحينئذٍ تبدوا لهم جلية الحق، من وراء ستر رقيق كأنهم لم يغيبوا عنه ساعة قط؛ فهذا المقام لا يدعيه كل أحد، ولا يتمناه كل مغتّر بلامع السراب، ولا يدّعيه أحد إلا افتضح.

لأنه أعز من الكبريت الأحمر[1] لا سيما في هذه الاعصار، وقد علم كل أناس مشربهم كل حزب بما لديهم فرحون.

تولى الله سلامتنا وكلايتنا، ونسأله العفو مما جرى به القلم أو سعى إليه القدم، وأن يجعل ما سطرناه خالصًا لوجهه منزهًا عن إرادة غيره، إنه بذلك جدير وعلى ما يشاء قدير، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

[جوابه على اثنا عشر مسألة]

وسأله صاحب الثمان المسائل المتقدمة، عن اثنا عشر مسئلة أخرى.

فأجابه: رضي الله عنه:

بالمدينة فناداه: ((يا سارية الجبل)) وسمعه سارية وهو بمكانه، ورأى شخصه هنالك والقصة معروفة...انتهى. مقدمة ابن خلدون 1/ 535

(1) الكبريت الأحمر: إكسير الذهب. وقولهم اعز من الكبريت الأحمر، إنما هو كقولهم أعز من بيض الأنوق، ويقال ذهب كبريت، أي خالص ونادر. هامش آداب السلوك. عبدالقادر الجيلاني ص45

وقد تكرر ذكر الكبريت الأحمر عند الشيخ عبدالقادر الجيلاني في آداب السلوك.في أكثر من موضع.

. ذكر الأستاذ علوان مهدي الجيلاني حكاية في كتابه – سلطان العارفين إسماعيل الجبرتي، ناقلا من العطر الوردي، قال فيها: وثمة حكاية أخرى ذات دلالات رمزية تشير إلى رفضه للقشور والأعراض التي تنتج عن المجاهدات وشدة رياضة النفس، وعدم التفاته إليها بسبب تركيزه منذ البداية على هدفه الأوحد وهو الله، تقول الحكاية المروية على لسان الجبرتي: لقيني رجل على باب المسجد في أيام البداية فناولني قرطاسًا كبيرًا وقال لي: خذ هذا يا إسماعيل، فقلت له: ما هذا؟ فقال: هذا الكبريت الأحمر الذي إذا طرح منه قيراط على كذا قنطار من النحاس صار ذهبًا، فقلت له: ما أريده، فقال لي: ما تريد؟ فقلت ما أريد إلا الله.

بسم الله الرحمن الرحيم.. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

الحمد لله الأزلي الذي تقدس في سابق قدِم أزلية وحدانيته عن الحدث والابتداء الأبدي، الذي تنزه في دوام ديمومية بقاء فردانيته عن الغاية والانتهاء، الدائم الذي لم يزل مستمر الوجود، تعالى عن النهاية والانقضاء، الباقي بعد فناء خلقه، لا يُقضى عليه بالموت والفناء، المحتجب عن خلقه بحجب الغز والظلمة والضياء. لم تدركه ثواقب الأفهام إلا بشواهد الأدلة والآلاء. كلت الألسن عن نعت أوصاف ذاته بالعبارة والإنباء، تاهت العقول في مهامه الحيرة عن تحصيل معرفته بالإشارة والإيماء، وتحيرت لطائف الأوهام عن تكييفه في بيداء الكبرياء، المجيد الذي استحق أوصاف الكمال بعلو الرتبة والسناء.

فمعرفة العارفين على تفاوت درجاتهم في الكشف من طريق الصفات والأسماء، فلم يأت مخبر عن كنه حقيقة أمره لا من أهل الأرض ولا من أهل السماء، ملكًا كان في أكمل القرب من العظماء، أو من أخص خواص الرسل من الأنبياء، أومن أهل العناية من أنجب الأولياء. ظهر بلطفه لا كظهور الأشياء، واختفى بعز سلطانه حتى صار شدة ظهوره سبب الاختفاء، استوى على العرش لا بالتمكن والحلول؛ بل من طريق الاستيلاء، استواءً منزهًا عن المماسة بالجسم والأعضاء، لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، يسمع حركة الطير في الهواء، ويعلم دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء، ويطلع على هواجس الضمير في طي الأحشاء، يدرك خفيات مستكنات الخواطر على تواليها بالحصر والإحصاء، أُحُدي الذات، لا مثيل له ولا نظير، فردي الصفات لا يدركه الوهم بالتخيل والتصوير، أوجد الخلق بقدرته، فلا معين بالخلق ولا مشير، لم يسبقه سابق بالخلق والتصوير، ولم ينازعه أحد في الحكم والتدبير، بل ابتدع الخلق[1] على

(1) اوجدهم من العدم.

غير مثال سابق، أو تقدير لاحق، بل بالحكمة الأزلية، وترتيب سابق المشيئة، وهو اللطيف الخبير.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا وزير، وأشهد أن مُحَّد عبده ورسوله، المخصوص بالمقام المحمود، والشرف الخطير. صلى الله عليه وعلى اله وأصحابه وأنصاره ما أفتر صبحٌ بضيائه، أو شعشعت شمس في الهجير.. أما بعد:

أيها السائل إنك قد فتحت بقوة بحثك بابًا كان مسدودا، وجليت بحرصك أمرًا يُعْدُ ميتًا في الغابرين ملحودًا؛ فصار علمه وعمله في الوجود مفقودا، وكان لفقد أهله في الخلق مجحودا، فمن انتصب لإحيائه عُدّ في وقتنا بدعيًا، أو شيطانًا مريدا. وذلك لرغبة أهله عن مجموعه وإفراده، سببه الغفلة عن الله تعالى، وتكالبهم وتنافسهم على أخس حظ سريع الزوال، وشيك الاضمحلال، لا يسمعون لك داعيًا، ولا يجيبون مناديًا، قد أسكرهم حب الدنيا وأعمى أبصارهم.. فاقطع عن نفسك من فلاحهم طمعًا، فأنهم يظنون بأنفسهم خيرًا، ويحسبون أنهم يحسنون صنعًا، فمن استفاد منهم علمًا كان قصده باقتباسه وتحصيله مجرد الرواية للترؤس والتصدر ومعلمهم هو المعين لهم على ارتكاب هذه الآفات وشريكهم فيما حصلوا من التبعات؛ كبائع السلاح على من يقطع الطريق أو من يقصد قتال المسلمين. فإذا عرفت هذا فأيسر ما احتملت، وأعظم ما ارتكبت، اشتغالك عن فرض عينك ففرض عينك اشتغالك بإصلاح نفسك، فلك في النظر في عيوبها والوقوف على خبايا خبائثها شغل شاغل، فانظر إلى عيب غيرك لتجتنبه. لا لتعيب أخاك وتثلمه، والسعيد من وَعَظ بغيره.

قيل لعيسى عليه السلام؛ من أدبك قال: ما أدبني أحد، رأيت جهل الجاهل فاجتنبته.

ومعلوم أن القلب إذا اعتدل وصفت مرآته؛ فما قابلها من حَسَنٍ أو قبيح فهو للناظرين فيها، لأن المرآه إنما تحكي صورة الناظر لا

صورتها، فكُلّما نظرت فيها لم تصادف إلا حاصل صفائك أو كدورتك، فكل كدر تراه يتطرق إليها من العالم..كدرك، تعمل في جلائه إذ هو مرآتك.

المؤمن مرآة المؤمن فإذا كان هذا حالك فمتى تتفرغ لإرشاد غيرك، وأنت غير رشيد ومتى تُقَربُ غيرك وأنت بعيد، هيهات، رُبَ أمل خاب إن لم يتداركنا الله برحمته، وإلا فالهلاك واقع ليس له من الله دافع.

فإذا كان حرصك من تحصيل العلم ورغبتك في الوقوف على غرائبه وأسراره، تريد بذلك وجه الله تعالى والدار الآخرة وتتعرف به الطريق إليه، فأبشر؛ فأن الملائكة ترغب في خلتك وتَبسُط لك أجنحتها أذا مشيت، وكل رطب ويابس يستغفر لك، حتى حيتان البحر وهوامه، وسباع البر وأنعامه، والسماء ونجومها، وقد أشرقت على انجلاء سحاب هويتك حينئذ تشهد سرك بارزًا من قشر صورتك، على قدر معرفتك بنفسك؛ تحصل معرفتك بربك.

وإن كان مرادك من تحصيل العلم ما يضاد ما ذكرت لك؛ فقد تعرضت لركوب متن خطر الوعيد الذي صدر على لسان سيد المرسلين ﷺ. حيث يقول: ((من ازداد علما ولم يزدد هدى، لم يزدد به من الله إلا بعدا)).[1]

فنسأل الله تعالى أن يؤهلنا وإياك لإصابة الحق، وطلب ما يرضيه، وأن لا يجعل ما سطرناه وبالًا علينا، وأن يجعله خاليًا عن إرادة غيره إنه قريب مجيب.

---

(1) حديث ((من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد من الله إلا بعدا))..أخرجه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس وحديث علي بإسناد ضعيف إلا أنه قال " زهدا " وروى ابن حبان في روضة العقلاء موقوفا على الحسن: ((من ازداد علما ثم ازداد على الدنيا حرصا لم يزدد من الله إلا بعدا)) وروى أبو الفتح الأزدي في الضعفاء من حديث علي: ((من ازداد بالله علما ثم ازداد للدنيا حبا ازداد الله عليه غضبا)) تخريج أحاديث الأحياء.: أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي (المتوفى: 806هـ) 38/1.. وورد الحديث عند الغزالي في بداية الهداية ص 62

ومن الغرائب وضعك هذه المسائل، وعرضك إياها على من استولت عليه البلادة، وقصر به الفهم، عن تحصيل استنباطات مباحث صيغ ألفاظ العلماء، وتقاعدت به الهمة عن الرقي إلى أعلى عليين، والسعي في حل مشكلات نتائج ازدواجات ترتيب الحكماء، ولم يكن له ذوق في العلوم الصادقة الغريبة، التي يختص بها الصديقون وأهل الاختصاص من الأولياء. مالك وللبذور في الأرض السبخة، فأنها ليس محلًا للماء والكلأ، كما قيل شعرًا:

وإذا بعثت إلى السباخ برائد تبغي الرياض فقد ظلمت الرائدا[1]

---

(1)هذا البيت من قصيدة لعبدالله الخفاجي المعروف بابن سنان الخفاجي الحلبي

أَرَأَيْتَ مِنْ دَاء الصَّبَابَةِ عَائِدًا وَوَجَدتَ في شَكْوَى الغَرَامِ مُسَاعِدَا
أمْ كنتَ تذكرُ بالوفاءِ عصابةً حَتَّى بَلَوْتَهُمُ فَلَم تَرَ وَاحِدَا
تَرَكُوكَ واللّيلَ الطّويلَ وَعِنْدَهُمْ سحرٌ يردُّ لكَ الرقادَ الشاردَا
وَكَأَنَّمَا كانَتْ عُهُودُكَ فِيهِمُ دمنًا حبسنَ على البلى ومعاهدَا
يا صاحبي ومتى نشدتُ محافظًا في الوُدِّ لَمْ أَزلِ المُعَنَّى النَّاشِدَا
أعددتُ بعدكَ للملامةِ وقرة وذخرتُ بعدكَ للصبابةِ شاهدَا
وَرَجَوْتُ فِيْكَ عَلَى النَّوائِبِ نُصَرةً فلقيتُ منكَ نوائبًا وشدائدَا
أمَّا الخيالُ فمَا نكرتُ صدودهُ عنِّي وهلْ يصلُ الخيالُ الساهدَا
سارٍ تيممَ جوشنًا منْ حاجرٍ مَرْمَى كمَا حَكَمَ النَّوَى مُتَبَاعِدَا
كيفَ اهتديتَ لهُ ودونَ منالهِ خرق تجوز بهِ الرياحُ قواصدَا
ما قصرتْ بكَ في الزيارةِ نيةٌ لَوْ كنتَ تَطْرُقُ فِيْهِ جَفْنًا رَاقِدَا
عجبتْ لإخفاقِ الرجاءِ وما درت أني ضربتُ بهِ حديدًا باردَا
مَا كَانَ يُمْطِرُهُ الجَهَامُ سَحَائبًا تروي ولا يجدُ السرابَ مواردَا
وَإِذَا بَعَثْتُ إِلى السَّبَاخِ بِرَائِدٍ تَبْغَي الرِّيَاضَ فَقَدْ ظَلَمتَ الرَّائِدَا
منْ مبلغُ اللؤماءِ أنَّ مطامعي صارتْ حديثًا فيهمُ وقصائدَا
رَكَدَتْ عَلَى أَعْرَاضِهِم وَهِي التي تطوي البلادَ شواردًا ورواكدَا
مَالي أجَاذِبُ كُلَّ وَقتٍ مُعْرِضًا مِنْهُمْ وَأُصْلِحُ كُلَّ يَومٍ فَاسِدَا
وَأُقِيْمَ سُوقَ المَجْدِ في نَادِيهم حتى أنفقَ فيهِ فضلًا كاسدَا
خطلٌ منَ الطبعِ الذميمِ وضلةٌ في الرأيِ ما وجدتْ دليلًا راشدَا
أرأيتَ أضيعَ منْ كريمٍ راغبٍ يدعُو لخلتهِ لئيمًا زاهدَا
ومعرسٍ بركابهِ في منزلٍ يَلْقَى الصَّدِيقَ بِهِ عَدُوًا حَاسِدًا
عكسَ الأنامُ فإنْ سمعتَ بناقصٍ فاعلمْ بأنَّ لديهِ حظًا زائدَا
وَتَفَاوُتُ الأَرْزَاقِ أَوْجَبَ فِيهمُ أنْ يجعلوهُ مصالحًا ومفاسدَا
وَمُعَدّد في الفَخْرِ طَارِفَ مَالِهِ حتَّى تلوتَ عليهِ مجدًا تالدَا

فمن هذا وصفه فضلًا عن تحصيل العلم؛ كيف يتصور سؤاله.؟! إذ هو مستغرق بترويق ظاهره غافل عن عمارة باطنه.

أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام؛ يا داود لا تسأل عني عالمًا قد أسكره حب الدنيا، فيصدك عن طريق محبتي، أولئك قطاع الطريق عن عبادي المريدين.

فالله المستعان وعليه التكلان. ولولا خوف خطر الوعيد الصادر على لسانه ﷺ في حق من كتم علمًا أوتيه عن أهله حيث يقول ((من كتم علمًا أوتيه عن أهله أُلجم بلجام من نار))[1] فأرجوا أن تكون من المستحقين للجواب، فأكون بترك جوابك متعرضًا لخطر الوعيد. لم أتعنى ولم أشغل نفسي بالجواب، فلي في خاصة نفسي شغل شاغل. وهي: اثنا عشر مسئلة.

فالعاشرة والحادية عشر سؤالهما واحد، فحصل بحمد الله وتوفيقه؛ جوابهما واحد. والله المستعان.

طوقتهُ بأوابدِي ولطالَما ... أَهْدَيْتُ أَغْلالًا بِهَا وَقلائدا
مهْلًا فَإِنَّكَ مَا تَعُدُّ مُبَارَكًا ... خَالًا وَلا تَدْعُو سِنَانَا وَالِدَا
أَهْلُ الشُّعورِ إِذَا تُلِمُّ مُلِمَّةٌ ... بَسَطُوا رِمَاحًا دُونَهَا وَسَواعِدا
وَأُولُوا التُّقَى فَإِذَا مَرَرْتَ عَلَيْهِمُ ... لَمْ تَلْقَ إِلاَّ مُكرِمًا وَمُجَاهِدًا
إْن حَارَبُوا مَلأوا البِّلادَ مَصَارِعًا ... أوْ سالموا عمرُوا الديارَ مساجدَا
هَيْهَاتَ مَا تَرِدُ المَطَالِبُ نَائِمًا ... عنها ولا تصلُ الكواكبُ قاعدَا
وَلَرُبَّ مَلْكٍ ثَقَّفُوا مِنْ مَيْلِهِ ... حَتَّى أَقَامُوا فِيْهِ قَدًّا عَائِدًا
مَا كانَ جارهمُ كجالكَ مسلمَا ... يومًا وزندهمُ كزندكَ خامدَا
بيتُ لهُ النسبُ الجليُّ وغيرهُ ... دعوى تريدُ أدلةً وشواهدَا

ديوان عبدالله الخفاجي ص 65

(1) وفي لفظ: ((من كتم علما عنده ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار))
الطبراني في معجمه الأوسط ج 7/ ص 293 حديث رقم: 7532 =
=وفي لفظ آخر: لفظ ((من علم علما فكتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار))
رواه أبو داود والترمذي وابن ماجة وابن حبان والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة قال الترمذي حديث حسن. تخريج احاديث الأحياء رقم 4. 13/1

السؤال الأول:

عمن ركن بقلبه إلى الشهوات، أو قطع أيامه باللهو واللذات، واستغرق أوقاته بالفضول وارتكاب المحرمات، وأردف مع ذلك الغيبة والنميمة والكذب في جميع الأوقات؛ إلَّا انه نصب للوقائع وغرض لسهام الرزايا مع إصراره على الذنوب، فهل المحن والرزايا التي تصيبه في نفسه وماله وولده تكفر عنه الخطايا التي اجترمها وأصر عليها.. أم لا.؟

الجواب والله أعلم:

إن الإصرار والصبر والاستكانة على مضض[1] البلاء من موجبات تكفير السيئات، وتضعيف الحسنات، لا لمجرد حصول الرزايا مع الإصرار على الذنوب، وشدة السخط بقضاء الله تعالى، قال الله تعالى: {وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى}[2]. فإن رضي كان أتم؛ لأن مقام الرضى أعلى من (مقام)[3] الصبر.

قال الله تعالى في بعض الكتب المنزلة: (من لم يرضَى بقضائي ولم يصبر على بلائي فليتخذ ربًا سواي)).[4]

قال النبي ﷺ: "خمس خصال من كُن فيه فقد استكمل الإيمان:

التوكل على الله، والتفويض إلى الله، والتسليم لأمر الله، والرضى بقضاء الله، والصبر على بلاء الله. كيف يرجوا تكفير السيئات من هو في خطر الهلاك بالسخط وعدم الصبر والاستكانة.

قال النبي ﷺ: ((من رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط ومن لم يصبر على البلاء؛ حصل على الرزيتين حلول البلاء، والسخط

---

(1) مضض: المَضُّ الحُرْقةُ مَضَّني الهَمُّ والحُزْنُ والقول يَمُضُّني مَضًّا ومَضِيضًا وأَمَضَّني أَحْرَقَني وشقّ عليّ والهمُّ يَمُضُّ القلبَ أَي يُحْرِقُه. لسان العرب 231/7.

(2)سورة طه. الآية 82

(3)في (ت)ساقطة

(4)تلقاها بعض الصحابة عن أهل الكتاب، وموقف المؤمن تجاهها معروف، وهو عدم التصديق ولا التكذيب، إلا إذا خالفت شرعا أو عقلا. والله أعلم.

من الله تعالى)).[1] ولا يقطع بالشقوة على من مات غير تائب، بل يبقى في خطر المشيئة؛ إن شاء عذبه وإن شاء رحمه، فإذًا الصبر يتولد من صحة التوحيد، ومطالعة الغيب، فإذا صح توحيدك أفردته في جميع الأمور التي تجري في العالم خيرها وشرها، ضرها ونفعها، حتى ترى أن مصدر الأمور كلها من الله تعالى يتولد من هذه المعرفة؛ الصبر والرضا، والتسليم. فمن أقيم في هذا المقام، واتصف بهذه الأوصاف؛ يستحق المعية والمحبة التي توجب تكفير السيئات وتضعيف الحسشنات، إلى غير نهاية. قال ﷺ: ((الأجور تعطي أهلها بالمقادير إلا الصابرون فأنهم يجازفون مجازفة)). فجميع ما ذكرناه لا يحصل إلا بالصبر، ومجانبة السخط بقضاء الله تعالى، وترك الإصرار على الذنب.

قال ﷺ: ((لا صغيرة مع الإصرار ولا كبيرة مع الاستغفار)).[2]

فالصغيرة مع الإصرار ترجع كبيرة، فإذا تركت الذنب وصبرت عند حلول البلاء فقد تطهرت ووجبت لك محبة الله تعالى.

قال الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ}[3] فالطهارة هاهنا في فتوى علماء الآخرة: عبارة عن طهارة الباطن والظاهر.

أمّا طهارة الظاهر؛ فمن النجاسات والقاذورات مع كف الجوارح عن المعاصي التي تتعلق بالأعضاء السبعة.

وأمّا طهارة الباطن: فحفظ القلب من الخبائث الردّية، والأخلاق الدّنية، وحفظ السّر[4]

---

(1) سبق تخريجه.

(2) روى أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس عن أنس قوله: لا صغيرة مع الإصرار وإسناده جيد. تخريج أحاديث الإحياء 6/4

(3) سورة البقرة. الآية 222.

(4) المقصود بالسر هو الحالة تعتري العاشق من الوله والهيجان فيهتك بها حرمة الباطن وحرمة الأسرار.
ويقول ابن عربي:
ما زلتُ أجرعُ دمعتي من غلتي اخفي الهوى من عاذلي وأصونُ

عن غير الله تعالى؛ فلم يجعل في الآية مجرد الإيمان بالله واليوم الآخر كافيًا عن فرض التوبة.

قال الله تعالى: {وأني لغفار لمن تاب وآمن..}،[1] فإذا تطهر القلب عن هذه الخبائث وخلص السّر عن الأغيار، صار موضع المحو والإثبات، يمحو الله تعالى عنه الرذائل ويثبت فيه الفضائل، والله اعلم.

السؤال الثاني:

عن قوله ﷺ: ((القلب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء)).[2] فهل يحصل للعبد حالة يثبت فيها قلبه، ولا يقلبه أبدًا.؟

الجواب والله أعلم:

إن معنى الأصابع واليد هاهنا: عبارة عن القدرة التي أوجدت كل موجود، والحاكمة على كل غائب ومشهود، فالقلب إذا تطهر من جميع الكدورات، ولم يتعلق بما شهد وما غاب من المكونات، وانجلى عن بصره ملاحظة الأغيار؛ لم يرى في الوجود إلا فاعلًا واحدًا، لم يجد قبيحًا يذمه، ولا حسنًا يمدحه، بل يتوجه عليه أن يذم ما ذمه الشرع، ويمدح ما مدحه الشرع، لتمام أدب الشرع، يستوي عنده البر والجفا، والذم والمدح، والقبول والرد، والمنع والعطاء، وذلك لصحة توحيده ورضاه عن ربه أي حالة أدرجه فيها لم يطلب الخروج منها؛ سكون أعلى الجنان والخلود تحت درك النيران عنده بمثابة واحدة، فمن أشرف به الحال إلى هذا المنوال؛ يرجى أن يثبته الله تعالى ولا يقلبه، فصاحب

(1) سورة طه. الآية 81

(2) قطعة من حديث ((يا مثبت القلوب ثبت قلبي على دينك " قالوا أو تخاف يا رسول الله؟ قال " وما يؤمنني والقلب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء))

أخرجه الترمذي من حديث أنس وحسنه والحاكم من حديث جابر وقال ابن أبي الدنيا صحيح على شرط مسلم ولمسلم من حديث عبد الله ابن عمرو" اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك" والنسائي في الكبرى وابن ماجه والحاكم وصححه على شرط البخاري ومسلم من حديث النواس بن سمعان" ما من قلب إلا بين إصبعين من أصابع الرحمن إن شاء أقامه وإن شاء أزاغه " والنسائي في الكبرى بإسناد جيد نحوه من حديث عائشة. تخريج احاديث الاحياء 24/3

هذا المقام لا يفارقه الخوف طرفة (عين)[1] حتى لا يخرج من طور الأمن، والأمن مذموم شرعًا؛ قال الله تعالى:{فلا يأمن مكر الله..}الآية.

وقد سأل رسول الله ﷺ الثبات مع العصمة وعلو المرتبة.

قال ﷺ: ((لقيت جبريل عليه السلام عند سدرة المنتهى قد تغير لونه وقد بقي كالشن البالي وهو يبكي ويقول في بكائه اللهم لا تغير جسمي ولا تبدل أسمي)).

فهاذان هما أخص الخواص.. كيف بغيرها.؟

السؤال الثالث:

وهو عن أخٍ موافق في ودّه، صادق في إخائه، يحفظ أخاه في المغيب والحضور، يحسن إليه ويراعيه، يؤثره على نفسه ويحتمل من الجفاوات أكثر، إن رأى منه حسنة نشرها، وإن رأى منه سيئة سترها، ينصف ولا ينتصف منه، يبذل له جهده وينيله رفده[2] لا يكلفه مؤنته [فما له عند الله][3].

الجواب والله أعلم:

إن موجب عقد الإخاء هو العلاقة التي توجب المعرفة الحقيقة؛ أنها إذا صحت عن الشوائب توجب القرب من الله تعالى والفوز بالدرجات العلى.

أما تحصيل القُرّب من الله تعالى بصدق الإخاء فقوله لموسى عليه السلام: (مرضت فلم تعدني وجعَتُ فلم تطعمني،فبقي موسى متحيرًا من قوله تعالى).!

فقال الله تعالى: (يا موسى مرض عبدي فلان فلم تَعُدهُ، فلو عُدته لعُدتني، وجاع فلم تُطعِمه، ولو أطعمته لأطعمتني).

---

(1)ساقطة من (ت).

(2) الرِّفْدُ بالكسر: العَطاءُ والصِّلَةُ القاموس المحيط. فصل الراء. ص361

(3) ما بين المعقوفتين زيادة في (ت)

وأما الفوز بالدرجات بصحة الإخاء قوله ﷺ: ((المتحابون في الله تعالى في الجنة، على عمود من ياقوته حمراء، يشرفون على أهل الجنة، فيقولون أهل الجنة: من هؤلاء.؟ فيقال لهم:

هؤلاء المتحابون في الله تعالى)).[1]

كفى بهذه الأدلة ترجيحًا على أن الأخوة إذا صحت كانت أفضل سائر الطاعات، فإذا كانت الأخوة يستفاد بها القُرب من الله تعالى، والفوز بالدرجات، كيف يبخل العاقل على أخيه بشيءٍ حقير من الدنيا إذا كان باعثة ما ذكرناه. من بخل بشيء حقير في طلب أمر خطير؛ فهو منافق في أخوته، كاذب في محبته. فالدنيا بحذافيرها أقل وأحقر من بذلها في جنب ما يرجوه من صِدقِ إخوته، ولا سببَ لِهَذا ألا رَجَحان حُب الدُنيا على القُربِ من الله تعالى، والفوز بالدرجات، فكُل من استولى حُب الدنيا على قلبِه؛ لا يصدق في محبته، ولا تسمح نفسه بشيء من ماله، فجميع ما يدعيه من المحبة، وصدق الأخوة ملقٌ[2] ونفاق، فإذًا صحة المحبة شرط في أصل عقد الإخاء. فكلما ورائها تبع لها؛ من بذل وإعانة وإنصاف، أو نشر جميل، أو ستر على قبيح. فكل ذلك حقير في جنب الله ما يأمله بمحبته وصحة أخوته فأن وجد في هذه الاعصار من يختار حُب الآخرة على الدنيا؛ فالحال موجود لأن المرء تابع لهمته، وأن تعذر وجود من هذا وصفه؛ فكل هذه

(**1**) لم أقف عليه بهذا اللفظ فيما لدينا من المصادر. وفي كتاب: "جزء ابن نفيل ورد" بهذا اللفظ: (**61**- عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: ((المتحابون في الله تعالى على عمود من ياقوتة حمراء في رأس العمود سبعون ألف غرفة تضيء حسنها لأهل الجنة كما تضيء الشمس لأهل الدنيا، عليهم ثياب سندس خضر مكتوب على جباههم: هؤلاء المتحابون في الله تعالى)). جزء ابن نفيل: **88/1**.وفي لفظ آخر: (إن المتحابين في الله لعلى عمود من ياقوتة حمراء في رأس العمود سبعون ألف غرفة إذا أشرفوا على أهل الجنة أضاء حسنهم الجنة كما تضيء الشمس لأهل الدنيا فيقول أهل الجنة انطلقوا فلننظر إلى المتحابين في الله عليهم ثياب سندس خضر مكتوب على جباههم هؤلاء المتحابون في الله تعالى. كنز العمال:ج**0**/ص**0** ح**24707**. موسوعة أطراف الحديث: **73411/1**

(**2**)ملق المَلَقُ: الوُدُّ واللَّطَفُ الشَّدِيدُ. والدُّعاءُ والتَّضَرُّعُ. وهو مَلاقٌ مُتمَلِّقٌ. والإِمْلاقُ: الإِنْفَاقُ للمال حتّى يُوْرِثَ الفَقْرَ، أمْلَقَ الرَّجُلُ: أخْفَقَ.

الأوصاف متعذرة، والذي يغلب عليه الظن وتقطع به المشاهدة أن لا وجود لشيء من هذا والله أعلم.

السؤال الرابع:

وهو عن رجل يريد أن يتصدق على الفقراء وله قرابة أرحام؛ منهم من يصلي ومنهم من يقطعها وقتًا ويأتي بها وقتًا، وعنده من الأجانب من هو ظاهره الصلاح، فمن أولى بصدقته من هؤلاء المذكورين؟.

الجواب والله أعلم:

إن أسم الصدقة يقع على صدقة الفرض، وصدقة التطوع، أما صدقة الفرض فأنها؛ لا تصرف إلا على الأصناف المذكورين في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلي الله عليه وسلم، وجميع تصانيف أهل الشرع تشهد بذلك. فمن وجِد منهم صُرفت إليه، إلا أنه يوفر حق الأرحام والقرابات منها تمييزًا لهم عن الأجانب بشرط: أن يكونوا من أهل الزكاة، والجزم أن يخص المواظبين على الصلاة دون من يقطعها ولو وقتًا واحدًا، حتى يخرج من شبهة الخلاف. فمن العلماء من رأى تكفير من يترك الصلاة ولو كان غير جاحد لوجوبها.

وأما صدقة التطوع؛ فالأمر فيها أوسع من صدقة الفرض؛ لأن المتصدق لا يخلو إما أن يكون من سالكي طريق الآخرة، أو من أهل الكمال في مقامه، إن كان من جملة سالكي طريق الآخرة؛ أو من أهل الكمال في مقامه، إن كان من جملة سالكي طريق الآخرة؛ فسبيله أن يجعل صدقته من أطيب الأشياء؛ معناه من أحلّها وفي أنفس الأشياء؛ وهم المتقون أهل العفاف، فليس موالات الأولياء كموالات الأعداء.

قال ﷺ: ((لا تأكل إلا طعام تقي ولا يأكل طعامك إلا تقي))[1].

(1) حديث " لا تأكل إلا طعام تقي ولا يأكل طعامك إلا تقي "

لأن التقي ينزلك منزلة نفسه، وغير التقي أيضًا ينزلك منزلة نفسه، فكل واحد منهما لا يرضى لك إلا ما يرضى لنفسه. فالتقي لا يأكل إلا طيبا؛ أعني حلالًا.

و غير التقي لا يبالي من أين أكل. من أين أكل، لم يبالي الله من أي أبواب النار أدخله. هذا حكم سالكي طريق الآخرة".

أما العارف الذي لا يفترق نظره حتى صار نظره واحدًا، وهمه همًا واحدًا يرى الخلق كلهم عيال الله، لغيبته عن رؤية العاصين والمطيعين؛ فلم يميز في عطائه أحدًا؛ بل يرى وجوب موالاة الجميع بترك التمييز اقتداء بسيده تعالى، فأنه لم يُضيّع أحدًا منهم.

قيل للخليل عليه السلام: (ممن تعلمت هذا الخلق.؟ فقال: تعلمته من سيدي رأيته لا يضيعهم). عوتب الخليل عليه السلام في حق مجوسي استطعمه فلم يطعمه، واشترط عليه الإسلام، فأبى وكره وذهب المجوسي منكسر القلب، فعوتب في حقه، وقيل له: منذ أربعين سنة أنه مُقِيم على كُفره، فلم أحبس عنه رزقي. هذا مقام من خاض لُجّة الحقائق، وفني بالحق عن الخلائق، فأن كنت من أهله وإلا فلا تغتر بالأماني الفاسدة؛ فإن هذا أعز من الكبريت الأحمر، وأما نظرك إلى نفسك في العطاء والمنع؛ فأنه الشرك الخفي، والاحتراز منه متعذر على الأكابر من الصديقين، كيف غيرهم إلا أن يتدارك الله عبده برحمته.

فهذا النظر منبع كل خلق ذميم، مثل الرياء والعُجب والفَرَح بالإنفاق، ورؤية المِنّة على الفقير منًّا عليه بالعطاء، إن شكره ارتاح، وإن قصر عن ذلك نفر قلبه وانطوى على منعه، فيما بعد هذا إذا سلم منه الفقير من الوقوع فيه بلسانه، وذلك لقوة اعتقاده أن المال ماله،

أخرجه أبو داود والترمذي من حديث أبي سعيد بلفظ: " لا تصحب إلا مؤمنا ولا يأكل طعامك إلا تقي " تخريج أحاديث الإحياء، 1/. 175

68768 –) حدثني خالد بن خداش حدثنا عبد الله بن المبارك عن حيوة بن شريح عن سالم بن غيلان عن الوليد بن قيس عن أبي سعيد الخدري أو قال عن أبي الهيثم عن أبي سعيد عن النبي ﷺ قال * لا تصحب إلا مؤمنا ولا يأكل طعامك إلا تقي

ابن أبي الدنيا في الإخوان ج 1/ ص 94 حديث رقم: 41. موسوعة، 16818/1.

وأنه المتَحكم فيه بالمنع والعطاء، فكل هذا شرك خفي إذ لا يملك العبد من سيده شيئًا، قال الله تعالى: {إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا}[1] فإذا ثبتت العبودية سقطت الأملاك، وبقي العبد مستخلفًا حارسًا.

قال الله تعالى: {وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ}.

يرتقب العبد من سيده ثوران داعية المنع والعطاء.. فإن سلط عليه داعية العطاء أعطي مع التبري من الدعوى بطيب نفس، فيثبته الله تعالى بفضله لا لأنه المُعطي وكذلك المنع وكل هذا نتيجة كلمة التحقيق لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

فمن تحقق في نفسه وحمل على ظاهره وفسره بفاسد رأيه وهو قوله ﷺ: ((اليد العليا خير من اليد السفلى))[2] هذا الحديث مأخوذ من الحديث الآخر عنه ﷺ: ((الصدقة تقع في يد الله قبل أن تقع في يد السائل))[3]

فقد صح أن العطاء من الله تعالى، وهو المعطي الأول، وتقع ثانيًا في يده إذ هو المكافئ عليها في العاجل والآجل، وعلى الجملة؛

المال مال الله، والمنفق على الحقيقة هو الله تعالى بتسليط دواعي باعث الإنفاق ولا عبارة لغير هذه اليد فهذه اليد هي يد الطول وهي اليد العليا، فصار كل عارف نظره مقصور على الله تعالى في جميع الأفعال والأحوال والله أعلم.

---

(1) سورة مريم: الآية 93.

(2)حدثنا قتيبة بن سعيد عن مالك بن أنس فيما قرئ عليه عن نافع عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال وهو على المنبر وهو يذكر الصدقة والتعفف عن المسألة اليد العليا خير من اليد السفلى واليد العليا المنفقة والسفلى السائلة

صحيح مسلم: ج2/ص717 ح1033

المعجم الكبير: ج3/ص201 ح3124

(3) – حديث " إن الصدقة تقع بيد الله قبل أن تقع في يد السائل "

أخرجه الدار قطني في الأفراد من حديث ابن عباس وقال غريب من حديث عكرمة عنه ورواه البيهقي في الشعب بسند ضعيف. تخريج أحاديث الإحياء، 174/1.

السؤال الخامس:

وهو عن النكاح والعزوبة: أيهما أفضل في هذه الاعصار؟. فإن النكاح قد تواترت على تفضيله أخبار وآثار.

الجواب: والله أعلم.

إن تفضيل النكاح على العزوبة مفهوم من الأخبار والآثار، وذلك قبل فساد الزمان، وعدم[1] الأخوان، وتغير الأحوال، وركوب الأهوال. ألا ترى أنه ﷺ كان أذن للنساء في الخروج للمساجد وصلاتهن في الجماعات، والخروج إلى المقابر، وزيارة الموتى، فمُنِعوا ذلك من بعده لأنهم؛ رأوا من الأحداث والبدع ما يوجب (المنع)[2]والإنكار، فلم يكن منعهن منكرا في ذلك الزمان عند أحد من علماء الصحابة رضي الله عنهم، ولا غيرهم من أكابر علماء التابعين. فأن كانت الأخبار قد تواترت في تفضيل النكاح على العزوبة، فقد تواترت أيضًا أخبار وآثار تعارضها في تفضيل العزوبة في آخر الزمان. منها قوله ﷺ:((إذا كانت سنة عشرين ومائة من الهجرة لأن يربي أحدكم جرو كلب أحب إليه من أن يربّي ولدًا))،[3] وقال ﷺ: ((خيركم في آخر الزمان الخفيف الحاذ الذي لا أهل له ولا ولد))[4] أراد بالأهل الزوجة. ولما سمعوا ذلك من رسول الله ﷺ قالوا: يا رسول الله إنك أمرتنا بالتزوج وندبتنا إليه.

---

(1) انعدام.

(2)ساقطة من (ت)

(3) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما،أخرجه الطبراني في "المعجم الكبير" وأبو نعيم في "أخبار أصبهان" وتمام في "الفوائد" من طريق أبي المغيرة ثنا عبد الله بن السمط ثنا صالح بن علي بن عبد الله بن عباس، عن أبيه، عن جده عبد الله بن عباس عن النبي ﷺ قال: «لأن يربي أحدكم بعد أربع وخمسين ومائة سنة جرو كلب خير له من أن يربي ولدا لصلبه. وقال الحافظ الهيثمي: رواه الطبراني وفيه عبد الله بن السمط وصالح بن علي بن عبد الله بن عباس ولم أجد من ترجمها، وبقية رجاله ثقات. . مجمع الزوائد. وأما حديث أبي ذر رضي الله عنه أخرجه الحاكم في "المستدرك" والطبراني في " المعجم الأوسط " في حديث طويل جاء فيه: عن رسول الله ﷺ قال: لأن يربي الرجل جرو كلب خير له من أن يربي ولدا له .

(4)عَن حُذيفَةَ، قال: قال رَسول الله ﷺ: «خَيرُكُم فِي المِائَتينِ كُلُّ خَفِيفِ الحاذِ، قِيلَ: يا رَسُولَ الله، وما خَفِيفُ الحاذِ؟ قال: الَّذِي لا أَهلَ لَهُ ولا ولَدَ». ومن طَرِيقٌ آخَرُ:– عَن حُذَيفَةَ، قال: قال رَسول الله ﷺ: «خَيرُكُم فِي المِائَتينِ كُلُّ خَفِيفِ الحاذِ، قالُوا: يا رَسُولَ الله، وما خَفِيفُ الحاذِ؟ قال: الَّذِي لا أَهلَ لَهُ ولا ولَدَ». وقال الدارقطني: تفرد به رواد وهو ضعيف، وقد أدخله البُخارِيّ فِي الضعفا.

فقال: "لا ذلك قبل فساد الناس، وتغير الأحوال". قد يكون هلاك الرجل على يد أبويه، فإن لم يكن (له)[1] ابوان فعلى يد زوجته، فإن لم تكن له زوجة فعلى يد أقاربه، يعّيرونه بضيق اليد حتى يدخل مداخل السوء فيهلك. وعلى الجملة إن النكاح في العصر الأول كان عونًا على الدين، وغضًّا للبصر، وقطعًا لمواد الخواطر الردية؛ التي هي من جنود الهوى وسهام إبليس. كان نكاحهم للتفرغ لعبادة الله تعالى من هواجس النفس والخواطر التي تصد عن طريق الفكر والذكر، لا لمجرد الشهوات، ولا للتمتع لأنهم؛ كانوا أزهد الناس وأبعدهم عن الاغترار بالدنيا وأهلها.

وأما في هذه الأعصار.. صار الأمر بالعكس؛ ففساده أكثر من صلاحه، فإن أردت أن تعرف حقيقة ذلك فانظر إلى أورع أهل عصرك وأعفهم، مهما تزوج مال بقلبه إليها بالمحبة، فإذا أحبها صار من أصغر عبيدها لا يخالف أمرها، فجميع أمرها لا يوافق رضاء الله تعالى. إن كان متعففًا يخرج إلى باب السؤال. وإن كان زاهدًا خرج إلى الكسب ورغِبَ في جمع المال من أي وجه كان، ولا يبالي من أين أكل ولا من أين أكتسب، يسخره أحقر الخلق وأفجرهم، كم من أمر يقدح[2] في دينه يرتكبه في طلب رضاها.. فإذا كان النكاح يُصيّره إلى الخروج إلى هذه الأوصاف؛ فتركه افضل في هذه الأعصار،[3] إلا أن يخاف العَنَت،[4] ولم تكن له قوة على رياضة نفسه، وتضعيف قواها بالجوع والعطش، وخاف أن يخرج من الدين بوقوعه في المحذور؛ فالنكاح له

---

(1)ساقطة من (ت)

(2)القادح قريب من الخاطر إلا أن الخاطر لقلوب أهل اليقظة، والقادح لأهل الغفلة، فإذا نقشّع عن قلوبهم غُيوم الغفلة قدح فيها قادحُ الذكر، وهي لفظة مأخوذة من قَدَحَ النارَ بالزَّناد، والقادح الذي يستوقد النار. الطوسي، اللمع ص 419

(3) الصوفية يحذرون من العوالق والروبط التي تزيل الطفرة الزائدة عندهم في التفرغ للعبادة وينصحون تلاميذهم بعدم التزوج أو طلب التكسب. د.مجدي مُحَّد إبراهيم، التصوف السني حال الفناء: ص 92

(4) العَنَتُ محركة: الفَسادُ والاثمُ والهَلاكُ ودخول المَشَقَّةِ على الانسانِ وأعْنَتَهُ غيرُه ولِقاءُ الشِّدَّةِ والزِّنى والوَهْيُ والانْكِسارُ واكتِسابُ المَأْثم. وعَنَّتَه تَعْنِيتًا: شَدَّدَ عليه وألزمه ما يَصْعُب عليه أداؤُه.الفيروز أبادي،القاموس المحيط . فصل الراء ص 200

أفضل. إياك أن تغتر بالأحاديث المتواترة عنه ﷺ في تفضيل النكاح على العزوبة، وتترك التمييز في الأحوال، ولا ترجح وقتًا على وقت، وتجعل ما سمعته من الأحاديث في فضل النكاح ذريعة إلى التوصل إلى أوطارك وركوب أهوائك، فإذا انقضى منها وطرك مع سوء عشرتك تطلب منها الخلاص، فتمتحنها وتضيق الحال عليها، حتى تختلع منك وتخرج من صداقها، وتبريك براءةً لفظية لسبب إلجائك، تشهد لها قرينة الحال بعدم رضاها، فَعَدَم رضاها يوجب بطلان عقد الإبراء كالبيع وأي فرق بينهما.

قال ﷺ: ((لا يبع إلا عن تراضٍ)) [1] فالرضى شرط صحة كل واحد في منهما فإذا لم ترض لم تبرأ عند العُلام لا عند الحكام والله أعلم.

السؤال السادس:

وهو عن رجل أقرض رجلًا دراهم إلى أجل؛ والغريم ممن يجمع المال من حِلِه وغير حِلِه، حتى امتزج الحرام في جميع أجزاء المال، وتعذر تمييزه.. فهل لصاحب المال أن يتقاضى منه دينه أم لا.؟

الجواب والله أعلم:

إن كان أكثر ماله حرامًا حرُم عليه اقتضاؤه وإن كان الأقل فقد اختلفت فيه أقاويل العلماء.. علماء الآخرة وعلماء الدنيا.

فعلماء الدنيا وسعّوا في جواز الاقتضاء منه لغلبة الحلال.

وأما علماء الآخرة: وقع إجماعهم أنه لا يحل أن يقتضي دينه منه، إلا مما يتيقن حله. وعلى الجملة إن الوقوف للمناقشة عن مالٍ اكتسبه من حِله، وأنفقه في حقِه، يوجب التعذيب إن لم يتداركه الله

---

(1)قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (البيع عن تراض، والخيار بعد الصفقة، ولا يحل لمسلم أن يغش مسلمًا) ""أخرجه ابن جرير هذا حديث مرسل.

برحمته، قال ﷺ: ((من نوقش الحساب عذب)).[1] هذا في الحلال الصرف.. كيف المتشابه.؟

أما الورعون فإنهم قد اتقوا من تناول الحلال الصرف من يد من يكتسب الحرام؛ لأن يده صارت محلًا للنجاسات، ملطخة بالقاذورات كقارورة الحجامين وإن غُسلِت بالماء تأنف النفس من شرب الماء فيها، وإن أفتى المفتي أن الآدمي لا ينجس.

وأما عند الله: فالذي يكتسب الحرام أعظم جرمًا من الذي يأكل الميته؛ لأن حق الله مبني على الدرء والمسامحة؛ وحقوق الخلق لا تُهمل حتى يرضى الخصم. ألا ترى أن الجناية في حق الله يمحوها الندم والتوبة، والجناية على حقوق الخلق لا يمحوها إلا رضاء الخصم، فلا تنفع فيها التوبة.

فان سمحت نفسك ببراءته أبرأته، وجعلت ثواب الله تعالى عوضًا عن مالك، وإن لم تسمح؛ تركته دينًا لازمًا لذمته حتى ترى في يده مالًا حلالًا تتيقن حِلّه، وتعلم من أي وجه دخل عليه يقينًا لا ظنًا، فلك أن تقتضي منه دينك. فتورع ما استطعت إن كان لنفسك عندك قدر وقيمة. الورع من الدين بمنزلة الرأس من الجسد من لا ورع له لا دين له. العبادة من غير ورع مثل البنيان على غير أساس.

فأهل الورع متفاوتون: منهم من ترك الحرام – ومنهم من ترك المتشابه – ومنهم من ترك فضول الحلال خوفًا من أن يخرجه التوسع بترك الاقتصار إلى المحظور،

مثل: فضول النظر– وفضول الكلام – وفضول السمع، إلى غير ذلك.

---

(1)قطعة من حديث: (عَن النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنه قَالَ من يُحَاسب يعذب فَقيل يَا رَسُول الله فَسَوف يُحَاسب حسابا يَسِيرا قَالَ ذَلِك الْعرض "من نُوقِشَ فِي الْحساب عذب".

قلت رَوَاهُ البُخَارِيّ فِي التَّفْسِير وَفِي الْعلم وَمُسلم فِي صفة الْقِيَامَة من حَدِيث عبد الله بن أبي مليكَة عَن عَائِشَة قَالَت سَمِعت رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُول من حُوسِبَ يَوْم الْقِيَامَة عذب فَقلت أَلَيْسَ قد قَالَ الله فَسَوف يُحَاسب حسابا يَسِيرا قَالَ لَيْسَ ذَلِك الْحساب إِنَّمَا ذَلِك الْعرض من نُوقِشَ الْحساب يَوْم الْقِيَامَة عذب انْتَهَى). تخريج أحاديث الكشاف: 177/4.

فإذا تحققت هذا؛ فلك الخيرة. إن تورعت فقد استبرأت لدينك، وحصّنتَ نفسك. وستجني ثمرته،. وإن تماديت بترك التمييز فعليك يعود وباله، والله غني عنك وعن عملك والله أعلم.

السؤال السابع:

وهو عن هذا البحر التيار عظيم الأخطار؛ هل هو متحرك أم قار.. هو صامت، أم ناطق عن الأخبار؟.

الجواب والله أعلم:

إن أسم البحر يقع على البحر المعنوي والمجازي.

أما المعنوي: فهو بحر الآخرة وبحر الدنيا. فالدنيا بحر، والآخرة بحر، وما بينهما برزخ.

والبرزخ: هو المكث في القبور إلى يوم النشور. قد أودع كل واحد منهما مع تفاوت الأحوال من لطائف الحكم وأصناف الأمم، كم في طيهما من علم شريف غامض لطيف.

أما الدنيا فقد نُصِبَ لك أعلامها، وأقام برهانها[1] كم من آيات بينات، وبدايع شاهدات، من أرض مدحية، وسماء مبنية، وشمس تجري، وقمر يسري، وفلك يدور، وأنجم تغور، وبحور زاخرة. وأمواج باهرة تشهد بالوحدانية لصانعها، وتقر بالخلق والإبداع لخالقها، تسبح بلسان حالها تسبيحًا يدركه العقلاء، ويفهمه الحكماء، تقول سبحان الله من أوجدني بقدرته، وأودعني سر حكمته، وجعلني عبرة لأهل معرفته، فما من شيء إلا يسبح بحمده بلسان طلق فصيح ذلق لا يسمعه إلا من ألقى السمع وهو شهيد.

أما المغتر بلامع السراب؛ فأنه في شك وتردد وارتياب كم من جوهر نفيس في طي هذا البحر محجوب عن الغافلين. فمن الغبن أن

---

(1) البرهان: الحجة البينة الفاصلة.

عينك مفتوحة وأنت في إعداد العميان، قال الله تعالى: {وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ}،[1]

فمن أراد قراءة هذه الخطوط في صفحات الوجود، وقويت رغبته في استخراج هذه الجواهر من أعماق مراكز هذه البحور.. سافر عن نفسه وعن أبناء جنسه، لا يسكن إلى معلوم، ولا يلوي إلى سبب، ولا يميل إلى حسب، يهجر هواه ويتلذذ بمولاه، يؤثر على ما سواه، شعاره الذكر، وحرفته الفكر، فقلبه خاشع، وبطنه جائع، صبور على الوقائع، فضله مدفون وطعنه شايع قد أُلبس العِز والوقار لتجردِه عن خلق دني، وتحليه بكل خلق سني. فمن انتهى به الحال إلى أن عُرج إلى هذا المنوال فقد أشرف على فتح باب عالم ملكوت نفسه؛ إذ هو نسخة من العالم الكبير.

وأما البحور المجازية: المتقطعة في أطراف الأرض محصورة في نواحيها، متناهية في بواديها، لها حركة وسكون تجري على مر الدهور، جرايتها المد والجزر، فحركتها من أدّل الدليل على حدوثها، فمن كان محلًا للحوادث فهو حادث، فأهوالها واضطراب أمواجها وبعد قعرها إنما هي حجب وأستار على نفائس ذخائرها النفيسة، وأصناف حيواناتها، لا ينالها إلا من خاطر بنفسه، وقوي طمعه إن يفوز بتلك الجواهر.

وأما نطقها فمعقول، تقول بلسان حالها سبحان من أوجدني بقدرته، وأودعني سر حكمته، وجعلني عبرة للناظرين وفكرة للمتأملين؛ (فالناظر إليَّ بعين)[2] البصيرة[3] يعلم يقينًا أني مربوب مقهور تجري عليَّ تصاريف الأمور، وجعل لي حدًّا لا أستطيع أن أجاوزه، وزَجَرَني بقهر سلطانه زجرة لاأعصيه ولم أخالف أمره، لا يغيب عن علمه جميع

---

(1)سورة الأعراف: الآية 198

(2)في (ت) فالناظرين بعين البصيرة

(3)البصيرة: تقال لقوة القلب المدركة، قال تعالى: {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنْ اتَّبَعَنِي} يوسف/108، أي على معرفة وتحقق وتقال أيضا للحجة والاستبصار في الشيء، كقوله تعالى: {بَلْ الإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ } ،القيامة/14. المفردات ص49.

ما انطويت عليه من أصناف خلقه، فلم يغادر منهم أحدا في رزقه، ولم يغفل عنهم في حفظه، تجري عليَّ مقدوراته على وفق التقدير الأزلي، قبل إيجاد الخلق ذلك تقدير العزيز العليم.

السؤال الثامن:

وهو متى (يصلح)[1] من العبد جميع الجوارح، وتزول عنه الظنون القوادح، ولا يعود إلى ذنبٍ فاضح، يكون في خدمة سيده ناصح.

الجواب والله أعلم:

إن العبد إذا صلحت سريرته؛ صلحت علانيته. فصلاح السريرة بالخوف المزعج والحياء المقلق، وذلك بمطالعة الغيب، و(تحقق)[2] القلب باطلاع الرب تعالى، يخاف أن يراه حيث نهاه فيسقط من عينه. فهذا النظر ضرورته الخوف والحياء، فإذا تمكنا (من)[3] القلب.. منعاه من الانبساط فيما نهى الله عنه.

عند ذلك يصلح القلب؛ ومهما صلح القلب صلحت الجوارح. إذ هو الأمير والجوارح كالجنود.

فإليه الإشارة بقوله ﷺ: ((استحيوا من الله حق الحياء، فمن استحى من الله حق الحياء فليحفظ الرأس وما حوى، والبطن وما وعى))[4]. أشار ﷺ بهذا الحديث إلى الأعضاء السبعة؛ وصلاحها متعلق بصلاح القلب.

أمّا زوال التُهمة والظنون؛ فبصحة المعرفة، وتبديل الأوصاف، وكمال الاعتراف. فالتهمة لا تفارقك مالم تصلح أحوالك، فإذا

---

(1) في (ت) يصلح.

(2)في (ت) وتحقيق.

(3) في (ت) في القلب.

(4)58691 –) حدثنا إسحاق بن إسماعيل قال أخبرنا يعلي بن عبيد قال أخبرنا أبان بن إسحاق عن الصباح بن مُحَمَّد عن مرة عن عبد الله قال قال النبي ﷺ ذات يوم لأناس من أصحابه * استحيوا من الله حق الحياء قالوا يا رسول الله إنا لنفعل ذلك قال ليس ذلك من الحياء من الله ولكن من استحيى من الله حق= =الحياء فليحفظ الراس وما حوى والبطن وما وعى وليذكر الموت والبلى فمن فعل ذلك فقد استحيى من الله حق الحياء.ابن أبي الدنيا في الورع ج 1/ ص 62 حديث رقم: 59. موسوعة التخريج: 15637/1.

صلحت أحوالك وصفا قلبك، وتخلصت معاملتك انتفت التهمة. ومعلوم أنه لا يتهم إلا التهيم ولا يلوم إلا اللئيم كما قيل؛ إذا ساء فعل المرء ساءت ظُنونه، وصدق ما يعتاده من توهم. أما تبديل الأوصاف أنك لا تتبدل إلا بتبديلك أراضي رذائلك بعروجك إلى سماء فضائلك، ثم تطويها بيدٍ؛ فماذا بعد الحق إلا الظلال، لا ترى أرضا مدحيه، ولا سماء مبنيه، ولا العرش ولا الكرسي، ولا الجنة ولا النار، وبرزوا لله الواحد القهار.

فالوجود عند المحقق تهمته وظنون في وجه الحقيقة لأنه قد زال ارتيابه، وانقشع سحابه، يرى بصفاء عين بصر بصيرته، أن ما في الوجود إلا الله تعالى وأفاعاله. سافر عن نفسك بخطوة وقد وصلت ترى من العجائب مالا يحيط به الوصف. وتقصر عن دَرَك الآمال.

ومن العجائب أن ترى الوجود بأسره مندرجًا في وجودك؛ وأنت غافل عنه فصار الوجود شجرة وأنت ثمرتها، وصورة أنت معناها، فلا تعكس الأمر فتجعل المراد مريدًا، والمريد مرادًا، غِب عن نظر ارتباط الأشياء بعضها بعض

حتى لا يطول سفرك،[1] وامحها بيد الفَنَاْء؛علمه من علمه وجهله من جهله.

---

(1) السفر هنا معناه: توجه القلب إلى الحق وعلى ذلك ابتنى لفظ السالك والمسافر عند أهل التصوف. المعجم الصوفي. ص 1223. وعرف الغزالي السفر فقال: (أول مسالك السفر إلى الله تعالى، معرفة قواعد الشرع، وخرق حجب الأمر والنهى، وتعلق الغرض فيها، والمراد بها ومنها، فإذا خلفوا نواحيها وقطعوا معاطفها، أشرفوا على مفاوز أوسع، وبرزت لهم مهامه أعرض وأطول من ذلك معرفة أركان المعارف النبوية النفس والعدو والدنيا، فإذا تخلصوا من أوعارها، أشرفوا على غيرها أعظم منها في الانتساب، وأعرض بغير حساب، من ذلك سر القدر، وكيف خفى بحكم في الخلائق، وقادهم في عنف وشدة في لين، وبقوة في ضعف، وباختيار في جبر، إلى ما هو في مجاريه، لا يخرج المخلفون عنه طرفة عين، ولا يتقدمون ولا يتأخرون عنه والإشراف على الملكوت الأعظم، ورؤية عجائب، ومشاهدة غرائب مثل العلم الإلهي، واللوح المحفوظ واليمين الكاتبة، وملائكة الله يطوفون حول العرش، وبالبيت المعمور، وهم يسبحونه ويقدسونه، وفهم كلام المخلوقات من الحيوانات والجمادات، ثم التخطي منها إلى معرفة الخالق للكل، والقادر على كل شيء، فتغشاهم الأنوار المحرقة، ويتجلى لمرآة قلوبهم الحقائق المحتجبة، فيعلمون الصفات، ويشاهدون الموصوف ويحجبون، حيث غاب أهل الدعوى، ويبصرون ما عمى عنه أولو الأبصار الضعيفة بحجب الهوى. أبو حامد الغزالي. الإملاء: ص60.

السؤال التاسع:

وهو متى يثق العبد بمولاه ولو قرض بالمقاريض وابتلاه. يكون راضيًا لا يأسف على ما فاته، ولا يفرح بما آتاه، متأدبًا بآداب العبودية، لا يصرفه أمره إلى سواه في السراء والضراء، متى تحصل هذه الأحوال.

الجواب والله أعلم:

إن الثقة بالله لا تصح إلا لمن صح إيمانه. فصحة الإيمان نتيجة اليقين. فإذا صح إيمانك وتيقنت أن الله تعالى صادق في وعده ووعيده، قد قسَّم الأرزاق على المقادير وضمنها وقدر الأمور وأبرمها. ترى جريان التدبير على وقف التقدير، لم يجعل رزقك بيد ملك مُقرب، ولا نبي مُرسل، وترى الوسايط في السراء والضراء، حينئذٍ تثق بربك، ولم تصرف أمرك إلى أحد سواه مهما رأيت الوسايط في الإساءة والإحسان[1]، فقد حصّلت شيئًا من الشرك وصرفت أمرك إلى غيره.

وأما قولك إذا قُرض بالمقاريض؛ فهذه صفة المحبة، وأوصاف المحبين؛ أولها (اتباع أمر المحبوب)[2] فقدم مراده على مرادك وأمره على هواك.. ترضى ببلائه وتستحليه لذتك بالبلاء كلذتك بالنعماء لأنها من محبوبك، فما كان من المحبوب فهو محبوب. وهذه أوائل المحبة.

وأمّا أواخرها: فأنها لا تعرف إلا بالحيرة والدهشة. فكلّ من عبَّر عنها فماله منها سوى الاسم.

وأمّا قولك: لا يأسف على ما فاته ولا يفرح بما آتاه:

اعلم أن الفرح بغير الله مذمومًا شرعًا؛ قال الله تعالى: {لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ}،[3] وقال الله تعالى: {لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِين} [4]

---

(1)الإحسان: هنا ضد الإساءة والحسن كل مبهج مرغوب فيه.

(2) ما بين القوسين ساقط من (ت)

(3)سورة الحديد: الآية23.

(4) سورة القصص: الآية 76

وقد ندب إلى الفرح في آية أخرى؛ قال الله تعالى: {قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا}،(1) فالفرح هاهنا عبارة عن الفرح بالمنعم لا بالنعمة. فالدنيا أقل وأحقر من أن يتأسف لفقدها العاقل، إذ هي عدوة الله تعالى منذ خلقها، لم ينظر إليها نظرة، لمكان عداوتها، ولو كانت تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرًا منها شربة ماء (2).

فإذا كان مولاك يبغضها ويعدها من جملة الأعداء، كيف يتصور لعبد حقير يدعي المحبة ويتقلد المنّة أن يحب ما أبغض مولاه.؟ أو يصافي عدوه. فهذا من أعظم العظائم، وأكبر الجرائم، فلهذا صار حبها رأس كل خطيئة، كما أن بغضها والزهد في متاعها رأس كل حسنة.

وأمّا التأدب بآداب العبودية:

فأنه لا يعرفه إلا من يعتاد مجالسة الملوك. فمن آدب العبودية ملازمة الذل، والافتقار، والتواضع، وحسن الخلق، والهيبة، والانكسار، وإطراق الطرف، وجمع الهم، والخضوع تحت الحياء، وترك الانبساط في حضرة سيده. فمن لم يعرف الآداب فليطلبها من أهل الآداب والله أعلم.

السؤال العاشر والحادي عشر:

وهو عن القلب الذي أُقرحت فيه الصفات المذمومة حتى استحكمت وأعيا الأطباء علاجها؟.

الجواب والله أعلم:

إن الداء إذا استحكم في القلب وأعيا الأطباء، صُرف أمرة بحسن الالتجاء إلى من يجيب المضطر إذا دعاه، ويكشف السوء، وليطل الوقوف على الباب بلا ملل ولا يصرف همَّه إلى غيره فيكله إليه، يطيل البكاء، ويلازم الحزن، والانكسار، ويستشفع إلى سيده بمن له

(1) سورة يونس: الآية 58.

(2) يشير إلى ما أخرجه الترمذي: 2320، وابن ماجة: 4110، وأبو نعيم: 253/3، والضياء في المختار؛ عن سهل بن سعد ﷺ: "لو كانت الدنيا تعدل..."

وَجَاهَة عنده، إن وجده في وقته، ويكون كالعبد الأبق، يقدم قبله شفيعًا إلى سيده ومولاة، فإذا علم سيده صدق نيته، وحسن ابتهاله وتضرعه، منكسرًا باكيًا حزينًا، لا ترقى له دمعة، ولا تسكن له روعة،[1] ملازمًا للباب، لا يصرفه طول المماطلة عن الجناب، ولو عمره كله يرى ذلك يسيرًا في جنب ما يأمله من القبول، ولو خرج التوقيع بالرد لم يرده ذلك عن الباب، فماله أحد سواه يعود إليه، فالنقد المزيف لا يرد إلا إلى مالكه، فإذا عرف الله تعالى صدقه عطف عليه برحمته، وأحسن إليه بفضله، لا يكله إلى نفسه فيهلك، ولا إلى غيره فيضيع، يهديه رشده وينيله رفده، ويعطف عليه بقلبه. علامة ذلك أن يوحشه من نفسه ومن أبناء جنسه، يتأسف على التفريط والبطالة في سالف أيامه، ويحرص على أن يتدارك ما سلف من أوقاته، لا يهمه أمر دنياه لحسن ثقته بمولاه، حسرته في صدره، ودمعته لا تزال في خده، قد قنع من الدنيا بالكفاف وهو قوت يومه من غير اهتمام برزق غد، لا يهمّه وقتًا غيره، وربما لا يدركه، لا يطيل أمله فينسى أجله، لا يتهم مولاه في رزقه، ويجعل اهتمامه في أمر دينه، يصاحب الوحدة، ويفارق رهط البدعة، يستوحش من وطنه لأنسه بربه، ولا يفارق قلبه خوف القطيعة، ولا يأمن مكره طرفة عين، ولو أُقيم في مقام العِصمَة.

قال الله تعالى: {أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ}[2] الآية.

لا يتكلف ولا يصاحب الملل، بل يتجدد نشاطه في كل وقت، لا تعتريه فتره،[3] ولا يفارق حسرة، فالفترة والملل عنوان توقيع الطرد وعلامة البُعد، فإن مال إليهما؛ لا يؤمن أن يرجع إلى الأمر الأول، ولا يرى أن طاعاته تبلّغه إلى شيء من منازل القرب. إذ هي من مواهبه تعالى، ولا يفارقها مدة حياته، لأنها عنوان السعادة الأبدية، لا يقطع

(1) الرَوع: الفزع.
(2) سورة الأعراف: الآية 99.
(3) التراخي والتفريط.

على نفسه بالشقوة، ولا يشهد لها بالسعادة، يجعل خوفه ورجائه متوازنًا مادام حيا، إلا عند الموت فيميل إلى الرجاء وحسن الظن بمولاه. قال ﷺ: ((لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بمولاه)).[1]
هذا جواب السؤالين إذ هما سؤال واحد فجوابهما واحد والله أعلم.

السؤال الثاني عشر:

وهو عن رجل اغتذى بالحرام، حتى نبت عليه لحمه، وامتزجت به العروق والمفاصل، كيف يصنع حتى يتبدل اللحم الذي نبت من الحرام بغيره؟.

الجواب والله أعلم:

أن أردت أن يتبدل لحمك الذي نبت من الحرام بغيره، ألزمت نفسك الخلوات، وأخذت في علاجها بقليل اللقمة، والشربة، والرقدة، والكلمة؛ تجعل مكان الشبع جوعًا، ومكان الري عطشًا، ومكان النوم سهرًا، ومكان الكلام صمتًا، ومكان الكسوة عريًا، ومكان العز ذلًا، ومكان الكبر تواضعًا لعموم الخلق صغيرًا وكبيرا، حرًا كان أو عبدا، ذكرًا كان أو أنثى، فقيرًا كان أو غنيًا، لترك التمييز تعالج نفسك بهذا العلاج، وتلزمها الصبر على مرارة الدواء، إلى أن يذوب اللحم الذي اكتسبه من الحرام، حتى لا يبقى له أثر، تجرّع نفسك غُصص الهجر والقلا لأنها قد طالما استعانت بنعم الله تعالى على عصيانه، ولم تبال بنظره، فتمادت في البطالة، فلا تجعل لهذا العلاج أمدًا تستريح إليه نفسك، فتسكن إلى روح الرجاء بسقوط المؤنة عنها، فتكسل وتتوانى، فإذا أحسست منها بالطاعة والإذعان، هونت عليها الأمر وداومت عليها الصوم، مع التقليل وتأخذها على التدريج، بحيث تنقص من غذائها شيئًا بعد شيء، حتى لا تضر بها، ولا تقطعها عن الغذاء بالكلية، فتنقطع عن الطاعات، وتضعف عن طريق الذكر والفكر، كن

---

(1)حديث " لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله ". أخرجه مسلم من حديث جابر 54/4

في شأنها في أوسط الأمور، قال الله تعالى:{ فلا تميلوا كل الميل }وقال ﷺ:((خير الأمور أوسطها)).[1]

فما دام عزمك قائمًا، ونشاطك في الطاعات مستمرًا؛ لم تحدثك نفسك بشيء من الحرص، ولا تمل إلى الكسل، فإذا أحسيت منك فترة أو ميلًا إلى هواها ولو ساعة واحدة أفسدت عليك في ساعة واحدة ما بنيته سنة وتحتاج لها علاجًا جديدًا. إياك أن تغفل عن أمرها، فأنها من أعدى أعدائك، قال ﷺ: ((أعدا عدوك نفسك التي بين جنبيك)).[2] فإذا داومت على هذا العلاج؛ يرجى أن تعرف نفسك وحقارتها وخستها، فمعرفتها طريق إلى معرفة ربك عند ذلك تقف موقف العبودية، وتتأدب بآداب العبيد، تصبح حرًا عن ملك الأغيار، متحليًا بالذل والافتقار، شعارك الذل والانكسار.

يقول الله تعالى في بعض الكتب المنزلة:((أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي)). [3] ولاتَمِل إلى الرُخص في تناول الشبهات في أوقات الضرورة ولا تُحَدِث نفسك بالشهوات، فإن ذلك يوجب الطرد عن الباب، ويعقُب البعد عن الجنات، اجعل الفطنة شعارك، والكياسة حرفتك. قال سيد الرسل ﷺ: ((الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني[4])). أقبل

---

(1) أخرجه البيهقي في الشعب مرسلا. تخريج أحاديث الأحياء 53/2

(2) سبق تخريجه.

(3) حدثنا أبو حامد بن جبلة قال ثنا مُحَمَّد بن إسحاق قال ثنا هارون قال ثنا سيار قال ثنا جعفر بن سليمان قال ثنا مالك بن دينار قال، قال موسى عليه السلام: "يا رب أين أبغيك قال ابغني عند المنكسرة قلوبهم". أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء 2 /364.

. ينقل الصوفية في بعض مؤلفاتهم عن أهل الكتاب أو ما يعرف بالإسرائيليات كذلك علماء التفسير هم أكثر رواية من الصوفية في النقل عن أهل الكتاب ولا يعني ذلك أن علم التفسير تولد عن مصدر مسيحي.. وقد أفاد الدكتور عبد الرحمن بدوى أن مالك بن دينار هو أول شخصية صوفية امتزجت فيها الحياة الروحية الإسلامية بعناصر غير إسلامية وكتابية على وجه التخصيص. د. عبد الرحمن بدوي: تاريخ التصوف الإسلامي. ص207

ـ من الإسرائيليات التي تلقاها بعض الصحابة عن أهل الكتاب، وموقف المؤمن تجاهها معروف، وهو عدم التصديق ولا التكذيب، إلا إذا خالفت شرعا أو عقلا. والله أعلم. اهـ.

(4) سبق تخريجه.

(على)[1]ما يعينك بإعراضك عمّا لا يعينك، لا تتعرض للجناية على حقوق الخلق، فإن جُني عليك اعتذرت للجاني واستغفرت له، أنصف ولا تستنصف، لا تبطر في حال النعمة، ولا تجزع عند حلول النقمة، اشكر على الحالين تراهما نعمتين عليك؛ وترى شكرك أقل وأحقر من أن تقوم (بمكافات)[2] أقل نعمة أنعم بها عليك، إذ شكرك له جملة نعمه عليك، فداوم على هذا ما دمت خلف الحجاب، لعله يفتح لك الباب،ويثبتك في ديوان أخص خواص الأحباب، ومن يرد الله به خيرًا أخذ بيده وهداه، ومن يرد به شرًا أوكله إلى نفسه وهواه، فأرداه.. {وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُور}،[3] تولى الله كلايتنا ورعايتنا، وهدانا إلى سواء السبيل برحمته، أنه أرحم الراحمين.

[إجابته على سائل من أهل زيلع]

وسأله سائل: من أهل أوتل من بلاد زيلع[4] مسائل يحكيها الجواب إن شاء الله تعالى.

فأجابه رضي الله عنه:

الحمد لله فالق الإصباح، الباعث عن مكنون عالم الأمر نفائس جواهر الأرواح، ومسكنها بلطفه غيابات الجسوم الكثيفة، وأقفاص الأشباح، إلى الأجل المعلوم، والحد المرسوم، من المساء والصباح، تحن إلى الوطن الذي منه أوجدت، ومن فارق الأوطان حن وناح، فحدا بها حادي التوفيق إلى عالم الهدى وأنوار الصلاح، فتنزهت عن كل خلق دني ذميم بعيبها والأفعال القباح، فلاح لها برق الجود الإلهي بالسعادة والفلاح، فأتى شهاب الهُدى من أفق سماء العناية والسَنا الوضاح، وأشرق بها السِر المزعج، إلى الكشف الكفاح، وقام في ندماء الحضرة بليل الأفراح، يترنم بصوت رائق يطرب لطائف الأرواح، يا ندماء

---

(1)في (ت) ساقطة.

(2) بمكافات:في (أ) و(ت) فأثبتناها كما وجدت ولعل الصواب بمكافئة والله أعلم.

(3) سورة النور: الآية 40.

(4) بلاد زيلع: سبق التعريف بها في ترجمة المؤلف رحمه الله تعالى.

الحضرة.. بل جلساء ذي القدرة: هل من مديد كؤوس الأقداح، فسمع الخطاب من سرادق الجلال ما على المحب من جناح.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، تعالى وتقدس عن مشابهة الجسوم والأشباح، أو مشاكلة الجواهر والأرواح.

وأشهد إن مُحَمَّد عبده ورسوله الإمام المعصوم، إكسير الوجود ودرياق[1] الجراح ﷺ وعلى آله ما لاح برق أو غنى حمام في الأدواح..أما بعد.

فقد سألني الأخ الفهيم والباحث العليم، حرس الله ساحة قلبك من التعلق بالرسوم وطهرك من كل خلق مذموم، عن شرح القول في أن كرامات الأولياء معجزة للأنبياء.

الجواب والله أعلم:

إن كرامات الأولياء معجزة للأنبياء؛ لأنها وجدت مطابقة لصدق دعوى النبي ﷺ لقوله ﷺ: ((من عمل بما علم أورثه الله علم مالم يعل)).[2] فظهور الآيات التي هي خرق العادات على يد الولي مع التحلي بالأوصاف الحميدة، والمسارعة إلى الطاعات، ومجانبة كل خلق رديء من المخالفات، مؤيدة لدعواه ومصدقة لوعده الذي أداه، لأنها طهرت مطابقة للعمل الصالح فصارت معجزة في حق النبي صلى الله عليه وسلم كساير المعجزات مثل؛ انشقاق القمر، وإنطاق العجمى، وساير الآيات التي تحدى بها كافة العرب، وهي معجزة في حقه لأنها مصدقة لدعواه، وهي في حق الولي كرامة، فالكرامات على ضربين منها ما يوثق به، ومنها ما لا يوثق به، فما ظهر منها مع موافقة أمر الشرع واتباع أمر الشارع في القول والعمل والنية، والوقوف عند الحدود فهي

---

(1) درياق دواء مضاد للسم.قال الشاعر:

كـأن أجفانـه مـن جسـم عاشـقِهِ قـد رُكِّبت فهي في الأَسقام تحكيه

في صـدغه عقربٌ للقلب لادغةٌ درياقٌ لـدغتها يا قـومِ مـن فيـه

(2)سبق تخريجه

كرامة موثوق بها. فيتوجه على العبد الشكر[1] مع تحققه أن الشكر لا يتناهى، فيطلب من الله المزيد، ويسأل من الله تعالى أن لا يجعلها خط عمله، وما كان منها مع مخالفة أمر الشرع فهو غير موثوق به، بل هو مكر واستدراج مثل: البرق الخلب[2] ومنبهة له وزجر عما هو بصدده من المخالفات وفساد الحال. فنسأل الله تعالى الإقالة.[3] هذا سِرّ قوله تعالى: {سنستدرجهم من حيث لا يعلمون}.

وأما قولك التهاون بالكرامات فإنه لم يُنقل عن أحدٍ من الحكماء التهاون بها؛ لأنها بالإضافة إلى نفسها هيّنة، وبالإضافة إلى المنعم عظيمة. وما ضربته بالمثل بالقشاشة[4] لا يصح إلا لذاتها! بل لعظمة من أنعم بها. فأي امريءٍ يقدم على القشقاشة يدوسها بقدمه، فهذا التعظيم ضروري لازم لقلوب عموم الخلق، وذلك لعظمة المنعم لا للنعمة. فمن هنا لا تجد عارفًا بالله تعالى يتهاون بشيء من النعم دق أو جل.

وأما ما نقل عن معروف الكرخي[5] في تركه العبور في الدجلة عند التقاء الشطين من أجله فأنه يحمل على وجهين:

أحدهما أنه خاف أن يكون في طي تلك الكرامة خفيّ المكر والاستدراج، لما سمعه يقول تعالى: {سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُون}[1] فزهد في العبور إلا من حيث يعبر الناس.

---

(1)يتوجب على العبد الشكر.

(2) سبق التعريف به.

(3)الإقالة: بكسر الهمزة من قيل، الإراحة من ثقل، ومنه: أقال عثرته، إذا أنهضه منها. محمّد قلعجي: معجم لغة الفقهاء،ص81/1.

(4) قشة صغيرة.

(5) هو: أبو محفوظ معروف بن فيروز الكرخي نسبةً إلى قرية على باب بغداد يعرف بالكرخ بفتح الكاف وسكون الراء المهملة وبالخاء المعجمة، هو من موالي علي بن موسى الرض، كان أبواه نصارنيين، فلما أسلم معروف على يد الإمام علي بن موسى الرضي وجائهما سألاه على أي دين أنت؟ فقال: على الدين الحنيفي، فتابعه على ذلك، قال القشيري في رسالته: كان من المشايخ الكبار مستجاب الدعاء يستسقى بقبر، يقول= =البغداديون في: معروف ترياق مجرب، ولم يزل في خدمة مولاه علي بن موسى، وهو أستاذ سري السقطي، فقال له يومًا: أذا كانت لك إلى الله حاجة، فاقسم عليه بي، توفي سنة مائتين وقيل إحدى ومائتين. البدر حسين بن عبدالرحمن الأهدل، تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن،ص 219.

والوجه الثاني:

أنه أراد بتركها تعليم المريدين الذين هم بعدُ في مقام الضعفاء،[2] ولم يكن لهم أنس حاصل بالله تعالى، ولا معرفة بأوصاف الربوبية، فأراد زجرهم عن الوقوف مع ما يستقبلهم في حال سيرهم، فيشغلهم النظر إليها بعين الإعجاب على وجه التنزه، فيقطعهم ذلك عما هم بصدده من أرادة معرفة الحق، والأنس بذكره، والتلذذ بمناجاته، إرادة منه لهم وحفظًا لقلوبهم. فمن نقل عن معروف أو غيره أنه تهاون بشيء من الكرامات، فقد نسبه إلى الاستهزاء بآيات الله تعالى، وما كان من الله تعالى فهو عظيم، بالإضافة إلى عظمته وتمام قدرته، فلا تهاون بشيء مما خلقه الله تعالى، كم من آية وكرامة نقلت عن معروف وغيره، وذلك أن الحكيم بالخيار بين الإخفاء والإظهار على قدر حال وقته. كما نُقل عن بعض الأئمة أنه خرج من داره وهو يبكي فسُئل عن قوة بكائه فقال: إني رأيت اليوم في دارٍ منكرًا؛ فعظم كلامه في صدر القوم، وقالوا: ما هذا المنكر الذي رأيته في دارك؟ فقال: رأيت قشر القرع يداس بالأرجل!

فقالوا: وما قدر قشر القرع؟ فقال: أليس يؤكل في سنين المحل وأوقات المجاعة، قالوا: بلى، فقال: هو من جملة نعم الله تعالى؛ فسلموا.

وأمّا إنكارك للحديث المأثور عن سيد البشر ﷺ حيث يقول: ((من زهد في الدنيا علمه الله بلا تعليم وهداه بلا هداية))، فالحديث صحيح لا يجوز إنكاره.. لكونه موافق للكتاب والسنة. قال صلى الله عليه وسلم: ((فإذا بلغكم عني حديث اعرضوه على الكتاب والسنة فما شهدا له بالصحة فاقبلوه، وما خالفهما فانبذوه وراء ظهوركم)). وقال ﷺ: ((لا أعرفن أحدكم يكذبني قالوا كيف نكذبك يا رسول الله، قال: يبلغ أحدكم عني حديثًا فيقول أقرأوا عليَّ بهذا قرآنا فما

---

(1)سورة الأعراف: الآية182وسورة القلم: الآية44.

(2) أي أنهم في البدايات.

بلغكم عني ووافق كتاب الله تعالى وسنتي فهو عني)). ولو لم يكن كذلك فقد قام على صحتيه دليلان قاطعان من كتاب الله تعالى وسنة رسوله. أما الدليل من كتاب الله تعالى قوله {واتقوا الله ويعلمكم الله}[1]

والدليل الثاني من السنة؛ قوله ﷺ: ((من عمل بما علم، أورثه الله علم مالم يعلم))،[2] وقال ﷺ: ((إن من العلم ما هو كهيئة المكنون، لا يعلمه إلا العلماء بالله، فإذا نطقوا به لا ينكره إلا أهل الغِرَةِ بالله تعالى))[3]

وقال الله تعالى: {فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا}،[4] فمراده بالعمل الصالح الموجب للسعادة الأبدية المستفاد بها؛ العلم اللدّني بلا وسائط، فمقتضى الحديث المأثور عنه ﷺ؛ لا يوجب نفي تعليم الحق.. بل هو مصرح بقوله: علمه الله بلا تعليم وهداه بلا هداية إنما يوجب نفي الوسائط في العلم المستفاد من صحة الزهد في الدنيا فقط.

ومما يؤيد هذا الحديث قوله ﷺ: ((إذا رأيتم الرجل قد زهد في الدنيا فاقربوا منه فإنه يُلَقَّى الحكمة)).[5] هذا دليل على نفي الوسائط.

والعلم اللدني[6] يفترق إلى ثلاث أصناف:

إلقاء – وإلهام – وتلقي.

---

(1) سورة البقرة آية 282

(2)سبق تخريجه

(3)أخرجه الديلمي في الفردوس 802، عن أبي هريرة ﷺ وذكره المنذري في الترغيب والترهيب ج103/1، وقال رواه ابو عبدالرحيم السلمي في الأربعين في التصوف.

(4) سورة الكهف: الآية 65

(5) رواه ابن ماجة في السنن عن ابن خلاد " إذا رأيتم الرجل قد أعطي زهدًا في الدنيا منطقًا، فاقربوا منه فإنه يلقي الحكمة".

(6) العلم الحاصل عن الوحي يسمّى علمًا نبويًا. والذي يحصل عن الإلهام يسمَّى لدنّيًا. أبو حامد الغزالي: الرسالة اللدُنية ص14,21.

ويقول الإمام عبدالله بن أسعد اليافعي: علم المعارف هي علوم لا تنال بالكسب إنما بالمواهب، فهي أفض العلوم وأصحابها أفضل العلماء فإن كنت ممن ينكر ذلك.. فاعلم أنني وأنت ممن لم تلح له أنوار تلك الحضرة، ولم نشرب راح الهوى.

فلكل واحد من هذه الأصناف رجال؛ فمن كان له ذوق يقيني، وعلم برهاني عقليّ، أو إيمان جازم تقليدي، فضرورته التسليم[1].

و من خرج عن هذه الثلاثة، فهو أعمى. قال الله تعالى: {وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُون}.[2] كما لا تُغني الشمس من عدم البصر الظاهر، كذلك لا تغني أنوار القرآن من فقد البصيرة الباطنة.

وأما ما ذكرته من ارتباط العلم بالعمل، والعمل بالعلم، مع أن الإخلاص شرط في كل منهما فصحيح إلا من قولك: من تعلم العلم وأخلص فقد بلغ المراد.

فهذا لا يصح ولا يسمع، ولا ذهب إلى هذا ذاهب من أهل التحصيل، لتعذر وجوب ثواب الأعمال على الله تعالى. فالحديث المأثور عنه عليه السلام على غير هذا النسق. قال ﷺ: ((الناس موتى إلا العالمون والعلماء حيارى إلا العاملون والعاملون نيام إلا المخلصون والمخلصون على خطر))[3]

فمحال أن يكون الثواب واجبًا على الله تعالى، بل يجب على العبد القيام بواجب التكليف؛ لثبوت الاسترقاق شرعًا، قال الله تعالى: {إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا}،[4] فإذا تقررت العبودية انتفت الأملاك، وبطل القول بوجوب الثواب على الله تعالى.

---

(1)التسليم: بمعنى الاستسلام والانقياد والقبول، كقول الله تعالى: فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا النساء/65.

والتسليم في الاصطلاح الصوفي، ورد على معني الرضا بالقضاء والقدر، كما نسب إلى الحارث بن أسد المحاسبي، (ت:243هـ) أنه قال: (التسليم هو الثبوت عند نزول البلاء، من غير تغير منه في الظاهر والباطن). طبقات الصوفية ص59.

(2)سورة الاعراف: الآية198.

(3) وقد جاء في تاريخ دمشق لابن عساكر: سمعت ذا النون المصري يقول: الناس كلهم موتى إلا العلماء، والعلماء كلهم نيام إلا العاملون، والعاملون كلهم مغترون إلا المخلصون، والمخلصون على خطر عظيم، قال الله عز وجل: "ليسأل الصادقين عن صدقهم".

(4) سورة مريم: الآية93.

فيتوجب على العبد القيام بواجب التكليف؛ لقيام الدليل من الكتاب وهو قوله تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُون}،[1] فاستحق العبادة بحكم الربوبية. فيثبت بحكم الكرم لا عن لزوم، ويعاقب لإظهار القدرة وقهر سلطان الربوبية، لا عن جور.

وله سرّ آخر في تعذيب عباده وتنعيمهم يخرج الوقوف عليه من مقدور البشر لا يتوجه عليه لأحد حق، ولا يحكم عليه خلق، ثوابه فضل، وعقابه عدل، لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه، فبقي أمر العبد في خطر المشيئة، بعد بذل المجهود.

وأما قولك لو تصور لأحد أن يعلمه الله بلا تعليم لكان رسول الله ﷺ أحق بذلك.

هذا غير مفهوم، إذ جعلت كل ما حواه من العلم من أول نبوته إلى حين وفاته، لم يحصله إلا بواسطة جبريل عليه السلام.

هذا لا يعتقده أحد ممن له أنموذج من العلم الشرعي، فضلا عن غيره مما لا يدخل تحت الكسب، ولا يدرك بمجرد العقل، أين أنت من قول جبريل عليه السلام ليلة الإسراء حيث انتهى إلى حيث انتهى؟ ها أنت وربك لو تقدمت قيد أنملة لاحترقت؛ فانتهى ﷺ حيث؛ لا أينية،[2] ولا كيفية ولا زمان ولا مكان، حيث لا أرض تقل، ولا سماء تظل، فأوحى إلى عبده ما أوحى.

فهذا العلم لا يدرك بالفهم والخيال؛ بل بانفصال العقل عن إدراكه.

---

(1) سورة الذاريات: الآية56.

(2) ـ أيِّن: موجود يقبل التحيز والمكان وهي الأجرام والأجسام والجواهر والأفراد عند الأشعريين ومنها موجود لا يقبل التحيّز بذاته ولكن يقبله بالتبعيّة ولا يقوم بنفسه لكن يحُلّ في غيره وهي الأعراض كالسواد= =والبياض وأشباه ذلك، ومنها ومنها موجودات النِسَب وهي ما يحدث بين هذه الذوات التي ذكرناها وبين الأعراض كالأَين والكيف والزمان والعدد والمقدار والإضافة والوضع وأن يُفعَل وأن يُنفَعَل،... فالأين كالمكان مثل الفوق والتحت وأشباه ذلك.(عر، نشا، 21,5)

ولا مطمع لجبريل عليه السلام، ولا لعظماء الملائكة بل ولا الأنبياء وسائر المرسلين عليهم الصلاة والسلام في الاطلاع على حضيضه فضلا عن أعاليه.

فعلوم الولاية[1] وأسرار النبوة عن معدن واحد إلا أن التفاوت في المقامات، فصح أن لله عباد اختصهم بأسرار يستغنون في تناولها عن وسائط الأنبياء وكذلك الأنبياء لهم أسرار يستغنون فيها عن وسائط الملائكة. ويستدل على صحة ذلك بكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وثواقب البصائر.

قال معاذ بن جبل ﵁ حين بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن: يا رسول الله؛ أذا ورد عليَّ أمرٌ لا أجده في كتاب الله، ولا في سنتك.. ماذا أفعل.

فقال ﷺ: ((أحكم فيه برأي الصالحين))؛ [2] فأنهم موفقون لإصابة الحق. وشرح هذه العلوم لا يليق بعلم المعاملة؛ بل لا مطمع لأحد في تناولها إلا من مكتب الوحدة وإخلاء السرّ عن غير الله تعالى، وجولان الفكر في ميادين الصنع الإلهي، فكرًا واعتبارًا في بدايع أسراره المودعة فيه، والتلذذ بذكر الله تعالى في كل نفَس، والتنزه عن كل خلق ذميم، ودوام الافتقار مع ملازمة الحزن اللازم للقلب، وإيثار الخمول، وترك الأنَفة؛ من أسباب الذل وقلة الانتصار ممن جنى عليه، وترك الحَرَد[3] على من ظلمه، ومجانبة التكبر على الخلق من مطيع أو عاصٍ،

---

(1)الولاية عامَّة وخاصَّة.. فالعامة: ولاية الإيمان، ثمَّ ولاية القيام بالمأمورات. والخاصَّة: محبة الله للعبد وحفظه له. وهي بكل حال ممدوحة ومطلوبة، ولكن المراد الخاصة، قال الله عز وجل: { ألاَ إِنَّ أَولِيآءَ اللهِ لَا خَوفٌ عَلَيهِم وَلَا هُم يَحزَنُونَ}أحكام الدلالات الرسالة القشيرية ج 2 ص736

(2) لم اعثر عليه بهذا اللفظ.. والحديث في سنن أبي داود بهذا اللفظ: **3594** – حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ عُمَرَ عَنْ شُعْبَةَ عَنْ أَبِى عَوْنٍ عَنِ الْحَارِثِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ أَخِى الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ عَنْ أُنَاسٍ مِنْ أَهْلِ حِمْصَ مِنْ أَصْحَابِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ –ﷺ– لَمَّا أَرَادَ أَنْ يَبْعَثَ مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ قَالَ « كَيْفَ تَقْضِى إِذَا عَرَضَ لَكَ قَضَاءٌ ». قَالَ أَقْضِى بِكِتَابِ اللَّهِ. قَالَ « فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فِى كِتَابِ اللَّهِ ». قَالَ فَبِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ –ﷺ–. قَالَ « فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فِى سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ –ﷺ– وَلاَ فِى كِتَابِ اللَّهِ ». قَالَ أَجْتَهِدُ رَأْيِى وَلاَ آلُو. فَضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ –ﷺ– صَدْرَهُ وَقَالَ « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى وَفَّقَ رَسُولَ رَسُولِ اللَّهِ لِمَا يُرْضِى رَسُولَ اللَّهِ »

(3)حَرَد يَحْرِدُ: غَضِبَ، والحِرْدَةُ بالكسر: بساحِلِ بَحْرِ اليَمَن، الفيروز أبادي، القاموس المحيط 353/1

ورؤية النفس بعين القلة والذّلة، والمواظبة على الدعاء للمسلمين في ظهر الغيب؛ يجعل المسيء والمحسن عنده بمثابة واحدة في دعائه، ويستصحب الإخلاص في جميع ذلك، مع تقديم النية عند كل قول وعمل، قال سيد البشر ﷺ: ((إنما الأعمال بالنيات ولكل أمريء ما نوى))،[1] ويتحرز عمّا يهدمه من الآفات مثل: الرياء، والعجب، والحسد، وسوء الظن، والنفاق، وحب المنزلة، والفرار من الذم، والحرص، والأمل، وكل خلق مذموم شرعًا ساقه حب الدنيا، ويتحلى بكل خُلقٍ حميد مثل: التوبة؛ والتوبة هي الأوبة، والأوبة؛ عبارة عن الرجوع من أوطان البعد إلى أوطان القرب، والخوف، والرجاء، والصبر، والشكر، والتوكل على الله، والمعرفة بالله[2]، والرضى [3] عن الله، والمحبة، والشوق. فإذا تنزهت هذه المرآة عن صدأ هذه الأخلاق الذميمة؛ المقدم ذكرها وما (أشبهها)[4] ثم جلّاها بالأخلاق المحمودة التي ذكرناها وما أشبهها، حتى صارت مثل المرآة في جلائها؛ انطبع فيها العالم الكبير بأسره حتى لا يشذ منه شيء، ويتضح له عند ذلك علم لا معلوم، يقول القلب حينئذٍ معبرًا بلسان حاله: وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا أي مائلًا عن الأكوان، وذاهبًا بفرط شوقه إلى الرحمن، ومن استبعد شيئًا من ذلك؛ فلإفلاسه عن نتائج الأسرار، ولإحالته عن مدلول علم الأبرار

الحردة مخلاف قديم تقع بالقرب من مدينة اللحية على ساحل البحر الأحمر وهي من البنادر المندثرة.

(1)53 – حَدِيثُ "إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى" وَفِي رِوَايَةٍ "وَلِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى" مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ2 وَلَهُ أَلْفَاظٌ وَمَدَارُهُ عَلَى يَحْيَى بْنِ سَعِيد. التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير: 215/1

(2)المعرفة في الاصطلاح الصوفي، صفة من عرف الحق سبحانه بأسمائه وصفاته ثم صدق الله تعالى في معاملاته، ثم تنقى عن أخلاقه الرديئة وآفاته، ثم طال بالباب وقوفه ودام بالقلب اعتكافه، فحظى من الله تعالى بجميل إقباله، وصدق الله في جميع أحواله وانقطع عنه هواجس نفسه، ولم يصغ بقلبه إلى خاطر يدعوه إلى غيره، فإذا صار من الخلق أجنبيا، ومن آفات نفسه بريا، ومن المساكنات والملاحظات نقيا، ودام في السر مع الله تعالى مناجاته، وحق في كل لحظة إليه رجوعه، وصار محدثا من قبل الحق سبحانه بتعريف أسراره فيما يجريه من تصاريف أقداره، يسمى عند ذلك عارفا وتسمى حالته معرفة. الرسالة القشيرية 601/2

(4) ساقطة من (ت)

قال ﷺ: ((من جهل شيئًا عاداه)).[1]

وهذا ما حضر من الكلام، مع ضيق الوقت وكثافة الحال، وظاهره النصح. وإن كانت حالتنا لا تفي لذلك، ولم نكن أهلا لما صدر من الكلام؛ لأنا بمعزل عن الاتصاف بمدلوله؛ فالخوف علينا أغلب من الرجاء. فنسأل الله تعالى أن يجعلنا وإياك من الذين إذا تكلموا أغنموا وإذا سكتوا سلموا. وأن يجعل ذلك خالصًا لوجه الكريم، إنه أرحم الراحمين.

[مراسلات الشيخ الزيلعي مع بعض مشايخ عصره]

[كتاب الفقيه حسين بن أبي بكر السودي]

وكتب إليه الفقيه حسين بن أبي بكر السودي [2] نفع الله به هذا الكتاب.

---

(1)2457 – من جهل شيئا عاداه. قال في التمييز ليس بحديث انتهى، وفي مناقب الشافعي للبيهقي أنه قال العلم جهل عند أهل الجهل كما أن الجهل جهل عند أهل العلم، ثم أنشأ يقول: ومنزلة الفقيه من السفيه *كمنزلة السفيه من الفقيه فهذا زاهد في قرب هذا * وهذا فيه أزهد منه فيه ويشير إليه قوله تعالى * (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه) * وقوله * (وإذا لم يهتدوا فسيقولون هذا إفك قديم) * ومن كلام بعضهم المرء لا يزال عدوا لما جهل، قال النجم وفي معناه الناس أعداء ما جهلوا. والله أعلم. كشف الخفاء 2/244

(2) الفقيه حسين بن أبي بكر بن علي بن عيسى. السلوك 2:315.[مسكنه المحرث وقبره به يزار، وذريته يعرفون ببني حسين بن أبي بكر، وكان في عصر الشيخ أبي الغيث بن جميل، وأخبرني بعض من ذريته أنه من ذرية عبدالرحمن أخي مُحَمَّد بن سود المذكور أولًا]..من زيادة البدر الأهدل في التحفة ج 2 ص94. كان قد شهر بالصلاح والفقه، تفقه على سليمان بن الزبير...ثم غلب عليه العبادة مع الورع، لكن اتهمه السلطان بالميل إلى الزيدية لاتصاله بالمطهر، إمام الزيدية في عصره، فهموا بإمساكه فكان لا يستقر بموضع ينالونه، وحبسوا بعض أهله بزبيد، حتى مات بعضهم في الأسر، وقام بإظهار ذلك منه الفقيه أحمد بن عمر الزيلعي صاحب اللحية، على ماحكاه الجندي (السلوك 2:315) وذكر أنه رفع أمره إلى السلطان المظفر وابلغه ميله إلى الإمام مطهر، وسبب قيامه عليه أنه كان ينكر عليه وعلى الفقراء السماع، والرقص والوجد، ولم يزل حذرًا من الغز (يعني آل رسول) إلى أن توفي لأربع وسبعمائة تقريبًا بعد الفقيه أحمد بن عمر الزيلعي بنحو شهرين، ذكره الجندي. الأهدل، حسين بن عبدالرحمن:تحفة الزمن . ج 2 ص 94.ـ ونص ترجمته في السلوك بعد ترجمته للشيخ احمد بن عمر الزيلعي،.قال: الفقيه حسين السودي توفي بعده بشهرين وذلك تقريبا وخلف أربعة أولاد أكبرهم وأفقههم عبد الرحمن تفقه بابيه وسلك طريقه وهذا احمد كان مع كمال العبادة فقيها معتمدا من الكتب على احياء علوم الدين تاليف الغزالي وهو الذي قاوم الفقيه حسين السودي ووصل إلى باب السلطان المظفر وابلغه مثله الى الامام المطهر. بهاء الدين مُحَمَّد بن يوسف الجندي (ت 732هـ)، السلوك في طبقات العلماء والملوك، تحقيق: مُحَمَّد بن علي بن الحسين الأكوع الحوالي: ص 318 ج 2

ـ وفيها توفي الفقيه الصالح حسين بن أبي بكر بن حسين السودي بفتح السين المهملة نسبة إلى بني سود. وكان فقيها صالحًا فاضلًا مشهورًا بالفقه والصلاح وشهرت له كرامات كثيرة وكان معظمًا عند الناس. تفقه على سليمان بن الزبير ثم غلبت عليه العبادة والورع وسلوك طريق فقهاء الناحية لكن بلغ الملوك عنه أنه=

بسم الله الرحمن الرحيم.. وصلى الله على رسوله سيدنا مُحَّد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

من الفقير إلى الله تعالى حسين بن أبي بكر..

إلى: جملة الإخوان والمحبين والمريدين والطالبين ومن يؤمن بأحوال المقربين، ومقامات الصديقين، وخصائص المرسلين.. أما بعد:

فإنّا نؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، وقضائه، وقدره، خيره وشره، ومشيئته، وإرادته، وإضلاله وهدايته، يهدي من يشاء، ويرحم من يشاء فضلًا، ويظل من يشاء، ويعذب من يشاء عدلًا، لا راد لحكمه، ولا معقب لقضائه، له الخلق والأمر وبيده ملكوت كل شيء، وإليه يرجع الأمر كله، فقدره تقديرا، لم توحشه الوحدة، ولم تؤنسه الخليقة، تبارك الله أحسن الخالقين، وإنا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، اللهم لا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يرحمنا، وتول هدايتنا، وكلايتنا، ورعايتنا، ومنَّ علينا بذلك، وجميع أوليائك أنك على كل شيء قدير.. أما بعد:

فإنا إن شاء الله تعالى، في وقتنا هذا واسطة عقد المحبين، وقطب رحَى العارفين، وطريق محجة العابدين، وأئمة العلماء الراسخين، وإنا وإن لم نشتغل بتحصيل العلم الظاهر؛ فإنا قد علمنا فوائده وأُعطينا ثمرته ومراده، وأحللنا من علم الشرع وسطه، وملكنا أرجأه، وذلك بواسطة سيد الكل وإمام الكل، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم، فله الحمد كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، وإن لم يصل إلى ذلك إلا من صفّا الله سريرته، وأنار بصيرته، ودليلي على ذلك قوله

=يتصل بإمام الزيدية في عصره وهو مُحَّد بن مطهر فكرهوه وهموا بأذيته فكان لا يستقر في موضع ينالونه فيه. وكان ينكر على القراء الرقص والسماع فلذلك أجمع الفقراء والفقهاء عليه ولم يزل حذرًا من السلطان حتى توفي في السنة المذكورة بعد الفقيه أحد الزيلعي بشهرين أعني المذكور قبله.

الخزرجي 146/1

تعالى: { فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا }. [1] الآية. وقوله عليه السلام: ((من عمل بما علم أورثه علم مالم يعلم))[2].

وقوله عليه السلام: ((من زهد في الدنيا علمه الله بلا تعليم، وهداه بلا هداية، وجعله بصيرًا، وكشف عنه العمى))، وأمّا عذري في ذلك، قوله تعالى: {وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّث}. [3] فحدث بالنعمة والتهمة جميعا، وقال حينئذٍ: أنا سيد ولد آدم ولا فخر، فهذا التحدث بالنعمة.

وأمّا التحدث بالتهمة، فهو مرور الرجلين المسلمين ورسول الله ﷺ قائم عند زوجته صفية؛ فلما أدبرا لحقهما وقال أنها صفية؛ فردَّا خيرًا.

وقال: خشيت أن يُلقي الشيطان في قلوبكما، على أني بحمد الله لو اجتمعت الأحياء على مدحي أو ذمي وأنا عند الله بخلاف ما قالوا ما اغتررت بذلك، ولا همني ما هنالك، إذ الحمد والثناء من الخلق لا تأثير لهما عند العارفين، إنما التأثير لهما إذا كان من رب العالمين أو على لسان سيد المرسلين ﷺ، وذلك معلوم ومفهوم. وأمّا الناقل لما لم يفهم والمتكلم بما لم يعلم؛ فإنه لو عَقِل عن الله أمره لكان شغله بنفسه خيرًا له من شغله بغيره، وأولى عند مليكهِ، إذ لم يكلف ذلك ولنال حظًا من دعائه عليه السلام، رحم الله إمرءًا شغله عيبه عن عيوب الناس.

وأما قوله: ما ذنبه إلا ذئب يوسف عليه السلام.

فو الله ما حسدناه على دنيا، ولا غبطناه على أُخرى، وإن من أوثق عُرى الإيمان الحب في الله، والبغض في الله، وإن التحبب إلى أولياء الله من جواهر عبادة الله، وإن ذرة من ذلك تعدل العالم بأسره، وإنما يعرف فضل أهل الفضل ذو الفضل، والله تعالى يمن على الجميع بالتوبة

---

(1) سورة الكهف: الآية 65.

(2) سبق تخريجه

(3)سورة الضحى: الآية 11.

على الإقبال عليه وطلب ما لديه، وإن طلب الحظوظ الدنيوية يوجب الطرد ويعقب البعد، وإن المصاب من طلب دنياه وأعرض عن آخرته ومولاه. نسأل الله تعالى أن يرد المعرضين ويقبل التائبين،ويتجاوز عن المسيئين برحمته إنه أرحم الراحمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

فأجابه ﵁:

بسم الله الرحمن الرحيم.. والحمد لله رب العالمين وسلام على عباده الذين اصطفى والصلاة على مُحَّد النبي وآله أجمعين.. أما بعد:

فقد انتهت اللطيفة من الألفاظ المعنوية الغريبة، مضمونها إشارة[1] تدق عن الأفهام الكليلة ويغمض استنباط معانيها عن الأنفس العليلة، بعلل أمراض حب الدنيا، والقلوب المحجوبة بحجب الغفلة عن الله تعالى، وليس الحرج بكتم العلم عن أهله أعظم من إفشائه إلى غير أهله، إذ في ذلك ارتكاب نهي بالتعرض لكشف سرّ مُصان، تحت رداء الغيرة إلا عن أهله، فأهله ذو المنصب الروحاني أهل الذوق. فمن تعرض لإفشائه كان منسوبًا إلى الظلم وداخلًا تحته بشهادة سيد الرسل ﷺ حين قال: ((لا تعطوا الحكمة غير أهلها فتظلموها، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم))[2].

وقال ﷺ: ((لا تخرج بالمرء عن طوره)) وقال ﷺ: ((أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم))[3]. وقال ﷺ: ((ما تحدث رجل بحديث عند من لم يفهمه إلا كان فتنة عليهم))[4]. أما فتنة المستمع من أجل أمرين؛ إما من تاويله مسموعة برأيه وبجهله أو بامتناع القدرة

---

(1)الإشارة ما يخفى عن المتكلم كشفه بالعبارة لدقة ولطافة معناه. الطوسي، اللمع ص414

(2) نهى عن ذلك رسول الله –ﷺ– بقوله: « لا تُحَدِّثوا الناسَ بما لا يعلمون ». وبقوله: « لا تُعْطُوا الحِكْمَةَ غَيْرَ أهلها فَتَظْلِمُوهَا. ولا تَمْنَعُوهَا أهلها، فَتَظْلِمُوهُمْ ». قال: وقد ضُرِبَ لذلك مَثَل: أنه: « تعليق اللآلئ في أعناق الخنازير». أخرجه أبو داود. جامع الاصول في احاديث الرسول: 9442/11.

(3)عزاه الحافظ ابن حجر لمسند الحسن بن سفيان عن ابن عباس بلفظ أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم قال وسنده ضعيف جدا. المقاصد الحسنة: ج:1 ص:164.

(4)رواه العقيلي وابن السني وابو نعيم وأورده مسلم في مقدمة صحيحه ص11مرفوعا عن ابن مسعود.

وقصور فهمه عن استنباط معنى قوله تعالى: {والله على كل شيء قدير} ولما كانت القلوب السليمة من طوارق الأنكار الصافية من كدورات أوصاف البشرية مجبولة على التصديق بطور النبوة من طريق شواهد العقل والنقل؛ تتواتر الآيات والمعجزات بواسطة النبي صلى الله عليه وسلم وتحدى بها كافة العرب والعجم، أدركوا بها وجه الحكمة في وجوب التحدي بإظهارها على النبي كذلك فهموا وجه الحكمة في تحريم إفشائها على الولي؛ لأن النبي ﷺ مكلف، والولي يفارق النبي بأمرين: أحدهما رفع التكليف بدعوى الولاية؛ لأن ذلك لا يليق بطور الولاية.

والثاني تحريم إفشاء الآيات لأن ذلك يؤدي إلى معارضة النبوة. ووقع الإجماع على أن إفشاء سر الربوبية[1] كفر هكذا جرت سنة الله تعالى ولن تجد لسنة الله تبديلا فإذا كانت النبوة مؤيدة بالمعجزة الظاهرة، والآيات التي هي خرق العادات، مع إدراك من النبوة بحاسة البصر، من قراين الأحوال التي يشهد بوقوعها العقل والنقل.

كان من ضرورة العقل لزوم الإيمان بطور النبوة وجميع ما أخبر به من أنباء الغيب، ولو كان ذلك من النبي قولًا مجردًا ألا يؤيده ما تقدم ذكره من شواهد الآيات والمعجزات؟ لم يكن لقوله تأثير على القلوب ولم يكن مفهومًا وأما دعوى الولاية إن كانت مقرونة بشواهد الآيات التي هي خرق العادات؛ فالقول في ذلك تَعَرُض لمعارضة طور النبوة، وخرق على الإجماع، وظهور على السنة الجارية التي لا تبديل لها، وإن كان ذلك قولًا مجردًا خاليًا عن شواهد الأدلة، وقرائن الأحوال فهو غير مفهوم، ومردود على قائله، وعلى الجملة إن كرامات الأولياء معجزة للأنبياء، لأنها وقعت مطابقة لصدق دعوى النبي ﷺ؛ فالكل منهم متعلق بذيله ومعبر عن فضله، ومقتبس من مشكاة أنوار نبوته، لتحققهم بعلو هداية من اهتدى بطاعته من قوله تعالى {وإن تطيعوه

(1) **سر الربوبية: هو ما أشار إليه سهل بن عبد الله، بقوله: إن للربوبية سرا، لو ظهر لبطلت الربوبية، ومعناه أن المربوب لما كان هو الذى يبقى على الرب ربوبيته، لكون الربوبية نسبة بين الرب والممكن، فلو ظهر هذا السر للخلق لبطل عندهم ما يترتب عليه الربوبية لطائف الاعلام 20/2.**

تهتدوا}، وتواعد الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم. ولو أن أحدهم بلغ من حاله حتى احتوى على الملك بأسره، وكان هو المحكم فيه لم يسعه إلا إتباعه. كما أخبر ﷺ عن موسى عليه السلام مع جلالة قدره ونبوته وتكليمه ولما رأى أوراقًا من التوراة بيد عمر رضي الله عنه ينظر فيها فقال: مه يا بن الخطاب والذي نفسي بيده لو لحقني صاحبها لم يسعه إلا اتباعي هذا وهو كليم الرحمن كيف بغيره؟ فمن صلحت سريرته وتنورت بصيرته، لم يلحقه ارتياب في تقديمه قبل إيجاد التكوين والتركيب في حضرة التمكين والتقريب، فإذا ظهر تقديمه بنداء قوله القديم على فقراء صنعه وفطرة كرمه {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرِ}.[1] ففي الآية إشارة على أن من نازعه وكابره ونابذ سنته؛ كان خارجًا عن الإيمان بالله، واليوم الآخر. ثم افترض على الكافة طاعته بقوله تعالى{مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا}.[2] كفى بهذه الآية دليلًا على تقديمه ﷺ. أوضحت الحقيقة؛ أن الرجل من عبر عنه حاله لا من أخبر عنه مقاله، أصح الأدلة على تفاوت منازل الرجال، ما أُدرك بحاسة البصر من قرائن الأحوال، وما سلك أحد هذه الجادة فيرى لنفسه قدرًا ولا قيمة؛ لتلاشيه عند نفسه فلم يرى نفسه أهلًا لإدراك حال ولا مقال، فصار مفقودًا لنفسه، موجودًا لربه؛ لأن من أثبت الله تعالى نفى نفسه، ومن أثبت نفسه نفى الله تعالى، ولو أنه وقف على سر تدبير العالم السفلي والعلوي حتى صار قلبه مرآة تنطبع فيها الأكوان لم يرض ذلك لنفسه محلًا، ولم ينزل دون جناية منزلًا، لاستيلاء سلطان المعرفة، وسطوع أنوارها على قلبه، فصار هذا القلب المقدس أوسع من جميع المكونات، لأن الكون بأسره يضيق ولا يتسع لمعاني مكونِهِ؛ لأنه منزه عن الحلول والتمكن والاستقرار، واستثنى قلب عبده

---

(1)الأحزاب. آية 21

(2) سورة الحشر: الآية7.

المؤمن الخصوصي بقوله [تعالى في الحديث القدسي]: ((ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن)).[1] وذلك من طريق المعنى، فمن هنا كلَّ لسان العارف كما جاء في الحديث المجمل من عرف الله كَلَّ لسانه. فهذه الأحوال ليست بكسبية، بل هي ضرورية ظهرت من عين الجود الإلهي، والاختصاص الرباني، من صفاء القلب وسطوع أنوار الذكر الصافي عن ممازجة أكدار ذكر الأكوان، ونتيجة وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض؛ حينئذٍ عبّر لسان حال العارف عن فرط شوقه، وذهابه إلى ربه، فمن صح ذهابه إلى ربه؛ ضرورته نسيان نفسه، وحرفته قطع علايق قلبه شوقًا إلى ربه مستمطرًا سحب هدايته.

وعلامة نسيان نفسه: غيبته عن وقته وحاله وإسقاط ذكر الماضي والمستقبل.

---

(1) وفي هذا المعنى يقول العز بن عبدالسلام: طلوع أنوار المعارف على ظلمة ليل العارف تذهب بظلمة الأشباح وتغلب سراج الأرواح، قد استولى عليها الاستغراق في أشعة ذلك الاشراق فالعارف بنور العرفان يسير وبحكمه يشير، وفي فضاء أشعته يطير (فبي يسمع وبي يطير). ثم اعلم أنه ظهر في سر هذا المعنى سر قوله تعالى: [في الحديث القدسي] ((ما وسعني سمولتي ولا أرضي ووسعني قلب عبدي))وذاك الوسع في الحقيقة لمن تدبر وتفكر أو استبصر إنما الله وسع نفسه وما وسعه غيره لأنه وسع كل شيء، وذلك أنه ثبت أن العبد لمّا انخلع عن صفاته الفانية خلع عليه السيد صفاته الباقية، وهو قوله كنت له سمعًا وبصرًا وفؤادًا فذلك الفؤاد الذي خلعه عليه هو الفؤاد الذي وسعه لأن الفؤاد والقلب إسمان لشيء واحد فثبت أن ما وسعه في الحقيقة إلا هو، ليس هو القلب الصنوبري الشكل لأن ذلك مضغة من لحم ودم محدث الوجود، وواجد الوجود سبحانه وتعالى منزه عن الحلول في الحادث المحدود.

ومعنى آخر في سر هذا الحديث وهو أن تعلم أن هذا الوسع يستحيل أن يكون وسعًا بالذات لأن الله تعالى لا يوصف بذلك وإنما هو وسع بالصفات وصفات الله تعالى على قسمين: نفي وإثبات فبنفي عنه ما يستحيل عليه كالشبيه والمثيل والعديل والشريك والضد والند والحد والقد والعد والعجز والضعف والنقص وما شابه ذلك ويثبت ما يجب له كالعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام وما شابه ذلك، فإذا علمت بقلبك ما يستحيل عليه وما يجب له فكأنك قد أحطت بصفاته فتكون قد وسعته بالصفات لا بالذات فهذا معنى ووسعني قلب عبدي المؤمن.

والحق سبحانه قد جمع معاني آياته وصفاته وجواهر حجمه وكلماته في صدفة كلمة الإخلاص ثم أطلع الخواص على ما فيها من الخواص، وهي كلمة أولها نفي وآخرها إثبات، دخل أولها على القلب فحلا ثم تمكن آخرها من القلب فجلا، فنسخت ثم رسخت، وسلبت ثم أوجبت، ومحت ثم أثبتت، ونقضت ثم عقدت، وأفنت ثم أبقت، فأولها يشير إلى الفناء وآخرها يشير إلى البقاء فإذا قلت لا إله فقد فني كل شيء وإذا قلت إلا الله فلم يبقى شيء سوى الله قال الله تعالى {كل شيء هالك إلا وجهه}: سورة القصص: آية 88. العز بن عبدالسلام زبد. خلاصة التصوف المسمى بحل الرموز ومفاتيح الكنوز. ضبط وتحقيق أ. د أحمد عبدالرحيم السايح: ص104

فماذا بعد الحق إلا الظلال؟.

وأما قولك إنما يعرف فضل أولي الفضل ذو الفضل:

اعلم رحمنا الله وإياك.. أن من استغرق نور الجلال؛ يرى بعين الحقيقة استيلاء سلطان العدم على صحراء الوجود،في الماضي كان الله ولا شيء معه، كذلك يرى طرد الحال مستمرًا من طريق الانسحاب في المستقبل فبقي الله ولا شيء معه. فصرت أنت أحد المفقودين. كيف أطلقت لسانك بذكر فضلك ونسيت سابق امتنانه عليك؟ من غير وسيلة تقدمت؛ من دفع مضرة، أو جلب مسرة ونعم لا تدخل تحت الإحصاء والحصر؟ فلو أنه خصك برتبة وأفردك بها دون أصحابك؛ لكان ذلك مدحة له لا لك وقطرة من بحر أياديه لديك. ولقد نبهك على الاعتراف بالعجز والقصور، عن أداء شكر ما ابتداك من سوابغ نعمه شرعًا وتحقيقًا.

أما الشرع فقوله: {وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا}(1) والتحقيق قول الله تعالى: {كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}(2) فإين أنت من شكرك؟. بل هو الشاكر لنفسه بفعله. له المنة شرعًا وتحقيقًا، فمن ادّعى رتبة أو كمالًا بعلم أو مستفادًا أو حال مدرك، أو رُقّيَ مقاما مما لا يدخل تحت الكسب، ضُرب بسوط أدب، {بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِين}،(3) فمن فهم رمز هذه الآية؛ لزمه الرجوع عن رؤية حالة ومقامه وحوله وقوته؛ بتوبة ماحية لأكدار أنواع دعاويه، لأنها معدودة من أعظم مساوئه، فيعظم ثناؤه بلسان عجزِه إذ الثناء على النعمة مستجد. فيقول: الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله. أجمعت الهداة على سقوط الرجل من درجة ادعاها. فمن شفقتي عليك أوضحت لك هذه النصيحة على عادة أحوال إخوان الصفاء كانوا أبعد الناس عن

---

(1)سورة النحل: الآية **18**.

(2)سورة القصص: الآية **88**.

(3)سورة الحجرات: الآية **17**.

التزين والتصنع وإن صدرت من أحدهم نصيحة كانت خالية عن شوب التكلف والنظر إلى الخلق، ولم يريدوا بذلك إلا وجه الله تعالى. كما حُكي عن بعظهم أنه كتب إلى أخ له أنك أصبت بما ظهر من علم الإسلام محبة عند الناس فاتخذ لك بما بطن من علم الإيمان محبة عند الله فإن إحدى الدارين ستغنيك عن الأخرى والسلام.

وامّا ذكرك للناقل فلم يطلق أحد لسانه بشيء تكرهه لو سمعته أكثر من كلمة واحدة وهي نسبة معاصي العباد وجرائمهم إلى أنفسهم وإلى الشيطان فقط فلا يخالطك سوء الظن بأحد ممن تكلم أو سمع فتأثم وأما الكلمة لما اشتعلت نارها،وطار في الآفاق ًشرارها، وعم قلوب العامة ضررها لكونها موجبة للنزاع ومخرجة عن طور الإجماع، وفشت في الخلق شرقًا وغربًا. ضاقت منها الصدور، ولم يبقى الاصطبار ولما ورد المسطور الكريم، طابت النفوس وزال الارتياب، هذه نصيحة تشمل على الشفقة، وأكيد المحبة، فإن قبلتها؛ فلك ثمرتها، وإن تكن الأخرى فالحكم لله العلي الكبير.

فلا تخلينا من مطالعتك ونصيحتك، وصالح دعائك. والسلام عليك وعلى جميع خاصتك ورحمة الله وبركاته.

[كتاب من الفقيه سليمان النحوي]

وكتب إليه الفقيه سليمان النحوي؛ من أهل الجبال.. يعتذر إليه عن الفقيه حسين ويلغز عليه في كتابه؛ وطلب منه الجواب. فأجابه رضي الله عنه:

بسم الله الرحمن الرحيم.. وصلى الله على سيدنا مُحَّد وأله وصحبه وسلم. الحمد الله الأزلي الذي ليس لوجوده علّة، بل هو علّة كل موجود، سابق الأزمنة الموجود قبل الأمكنة المتأبد بالبقاء والخلود، الأول الذي ليس لأوليته ابتداء، الآخر الذي ليس لآخريته انتهاء، الفايت عن حصر الوصف بالتقدير والحدود، السلطان الذي ذلت له الصعاب، وخضعت لغرته غلبُ الرقاب، الممتنع بغير جنود، القاهر

الذي عنت له الوجوه، الحاكم على كل غائب ومشهود، دبر الأمور وأحكم الصنع، وقدر المقادير، قضى لقوم وعلى قوم فهو على كلا الحالين محمود، فالعارفون غَرقى في لُجج زواخر بحار الأفكار، فغابوا به عن الشاهدة والمشهود، سكارى من خمر القدس، حيارى عن رؤية الزهد والمزهود.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده، لا شريك له الواحد الفرد المعبود، المبر عن الوالد والمولود.

وأشهد أن مُحَمَّد عبده ورسوله، المخصوص بالشرف والمقام المحمود، وصلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الركع السجود..أما بعد:

فإنه لما أوجد الله الخلق؛ لم يوجدهم ليستأنس بهم من وحشة، ولا يستكثرهم من قلة، ولا لحاجة اعترته لتُقضى، ولا لاستعانة على أمر أعياه في الحكم والقضاء؛ بل أوجدهم ليعرفوه بفطرته وبما أوضح من شواهد أدلة بدائع حكم قدرته، كم من آيات بينات وعلامات شاهدات، من أرض وسماء، وشمس وقمر ونجوم وبحور وحيوان ونبات، كم من طيها من علم شريف غامض لطيف، تنطق بلسان حالها معبره عن موجدها، وشاهدة بالخلق والإبداع لصانعها، لا يدركها إلا من ألقى السمع وهو شهيد، فعرفهم بما دلهم عليه من علم المعقول، والشرع المنقول، قال الله تعالى: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ}(1) فجميع آي القرآن؛ يتضمن التنبيه على النظر إلى هذا الصنع العجيب، والتركيب المحكم بعين مطهرة عن الالتفات إلى متاع الدنيا وزهرتها، وقلب فارغ عن العلائق العائقة، حتى يصير هذا القلب ميدانا تجول فيه خيول الأفكار، وقرارًا لواردات أنوار الأذكار. ومن لم

---

(1) سورة البقرة: الآية **164**.

يحسن قراءة هذه الخطوط الإلهية، في صفحات الوجود كان بليد الفهم عن ترجمة هذه الأسطر، في طي صحائف الكائنات، من ملكوت الأرض والسماوات، فليعد إلى مصحفه المختصر القريب إلى فهمه. وإن كان مع قصره وصغر حجمه يتضمن العالم الكبير بأسره، حتى لا يشد منه شيء إذ هو نسخة من العالم الكبير. قال الله تعالى: {وفي أنفسكم أفلا تبصرون}[1]. وهذا تكليف يعم كل مكلف، فصار من فروض الأعيان، ومن اعتقد أن معرفة الله تعالى غير واجبة؛ فهو كافر بالله ورسوله وجميع شرائع الأنبياء عليهم السلام.

قال الله تعالى: {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون}[2] فمعنى العبادة هاهنا؛ هي المعرفة بواسطة الآيات. فمن هو في غاية القصور عن القيام بفرض عينيه ولم يستغرق أوقاته بالإقبال على المهم من شأنه؛ فهو حري أن يخوض فيما لا يعنيه، ويبخل بما لا يعنيه.

فإذا كانت النفس ناقصة مائلة عن الاعتدال، قاصرة عن طلب الاستكمال، معرضة عن أهم الأشغال؛ استغرقت أيامها بالأماني، ترجوا الفوز بالكسل والتواني، فإذا كانت فاضلة ولها فطنة؛ أخذت حذرها من أعدائها المكتنفة بها، وهي أربعة:

النفس، والهوى، والشيطان، والدنيا.

فمتى يتفرغ العاقل عن مقاومة أعدائه الذين شمروا لأهلاكه، قال النبي ﷺ: ((من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه))[3] مراده أن كل من أقبل على مالا يعنيه لم يحسن إسلامه؛ لأن الإسلام هو في الظاهر والباطن بالإذعان للربوبية، والإقبال على الديمومية. ومن كان همه غير الله تعالى؛ فهو خارج عن هذا المعنى، قال الله تعالى: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ. أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ

---

(1) سورة الذاريات

(2) سورة الذاريات: الآية 56.

(3) سبق تخريجه.

مَا كَانُوا يَعْمَلُون}،[1] وقال الله تعالى: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا}[2] وقال ﷺ: ((من أصبح وهمه غير الله فليس من الله في شيء))[3]. [وتمامه في آخر الكتاب][4]

وأما طلبك الجواب؛ فليس المملوك أهلا للبلاغة التي هي نتيجة براعة الألسن بالفصاحة المقتبسة من أئمة علماء اللغة المزينة بزخارف تقويم الحروف بالإعراب.. فالإعراب بمعرفة الفاعل والمفعول يوجب تقويم اللسان، وإعراب القلب بالاستقامة والاعتدال، والغيبة عن الأشكال؛ يوجب القرب من الرحمن. سألت من ليس له غوص في استنباط مباحث صيغ ألفاظ العلماء، ولا قدم راسخ في حل مشاكلات نتائج ازدواجات ترتيب الحكماء، ولا ذوق يوجب المساهمة في العلوم الكشفية الغريبة في هذه الاعصار، فغربتها لفقد أهلها إذ هي من خصائص الصديقين، وأهل العناية من خواص المقربين.قال صلى الله عليه وسلم: الصديق لا تخطئ فراسته.

وأما اعتذارك عن الفقيه حسين بن أبي بكر عند وقوفك على الجواب؛ فإنه لم يصدر إلا عن وهم ساقه الجهل عن فحوى الجواب، ولو تأملته لم يلحقك ارتياب، إنه لم نتعبأ على تسطيره إلا على وجه الرفق، وإرادة الخير للمذكور، والشفقة على دينه لا لتصنع ولا لتزيُّن، ولا أجبناه إلا عن تكليف بليغ من الرسول ﷺ ولم يقبل العذر إلى الصباح، ولم نحمل أمره على الغضب والتعصب؛ بل كان غالب ظننا أنه

---

(1) سورة هود: الآية **15/14**

(2) سورة الإسراء: الآية **18**.

(3)حديث " من أصبح والدنيا أكبر همه فليس من الله في شيء وألزم الله قلبه أربع خصال: هما لا ينقطع عنه أبدا وشغلا لا يتفرغ منه أبدا وفقرا لا يبلغ غناه أبدا وأملا لا يبلغ منتهاه أبدا "

أخرجه الطبراني في الأوسط من حديث أبي ذر دون قوله " وألزم الله قلبه... إلخ " وكذلك رواه ابن أبي الدنيا من حديث أنس بإسناد ضعيف والحاكم من حديث حذيفة وروى هذه الزيادة منفردة صاحب الفردوس من حديث ابن عمر وكلاهما ضعيف: تخريج أحاديث الإحياء. **164/3**.

(4) ما بين المعقوفتين لم ترد في (أ) ووردت في (ت).

على منهج أسلافنا إذ كانوا يتهادون النصائح، ويتقلدون المنّة لمن نصحهم قال ﷺ: ((مثل الأخوين مثل اليدين تغسل أحدهما الأخرى))[1] وقال ﷺ: ((بئس القوم ليسوا بناصحين وبئس القوم لا يحبون الناصحين)). [2]

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: (رحم الله أمريءٍ أهدى إلى عمر عيوبه ليعرفها) ولما ورد عليه كتاب أبي الدرداء رضي الله عنه من الشام يقول: بلغنا أنك تجمع على مائدتك إنائين ولم يكن ذلك على عهد رسول الله ﷺ، ففرح عمر بذلك وكتب إليه وهو يقول: جزاك الله عن نصحك خيرًا، أما هذا فقد كفيته فلا تخلينا من مكاتبتك بمثل هذا.

قيل أنه أهدى إليه عيبه فيها ثياب يمانية، فقسمها على أصحاب رسول الله ﷺ ثوبًا ثوبا، وأمسك لنفسه ثوبًا فخرج إلى المسجد في حُلة، والحُلة ثوبان، فخطب الناس فقال: أيها الناس اسمعوا وعوا؛ فقال سلمان الفارسي رضي الله عنه: والله لا نسمع ولا نعي.

فقال عمر رضي الله عنه: ولم ذلك؟

فقال أعطيت أصحاب رسول الله صلى الله عليه ثوبًا ثوبا، وأمسكت لنفسك ثوبين. فقال عمر: لا تعجل عليَّ إنما أحدهما ثوب ولدي.

فقال سلمان: الآن نسمع ونعي، ولم يغيره ذلك وهو خليفة رسول الله ﷺ يومئذٍ.

وأما في وقتنا هذا فقد صار الأمر بالعكس؛ حتى صار المنكر معروفًا والمعروف منكرًا، والنصح غشاء. فجميع ما نحن فيه بضد ما

---

(1)حديث " مثل الأخوين إذا التقيا مثل اليدين تغسل إحداهما الأخرى وما التقى مؤمنان قط إلا أفاد الله أحدهما من صاحبه خيرا " رواه السلمي في آداب الصحبة وأبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس.

(2)قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول بئس القوم قوم لا يأمرون بالقسط وبئس القوم قوم لا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر حديث عمر بئس القوم قوم لا يأمرون بالقسط وبئس القوم قوم لا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر رواه أبو الشيخ ابن حبان من حديث جابر بسند ضعيف. إحياء علوم الدين ومعه تخريج الحافظ العراقي: 212/3.

كان عليه السلف الأول، وذلك لمجانبة التقوى، وركوب الأهواء. ومن قام للنصيحة في هذه الأعصار، لم يكن قصده إلا الرياء، وطلب الرئاسة، والأنفة من الرد عليه، فالله المستعان، وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، أصبحنا في أمر عظيم، وخطب جسيم.

[كتاب من الفقيه عبدالله بن محمد السودي]

وكتب إليه الفقيه عبدالله بن مُحَّد السودي، يشكوا ويستورد رأيه من الفتنة التي ظهرت عليه من أهله وأقاربه، وعلى الإسلام والمسلمين.

فأجابه رضي الله عنه:

من الفقير إلى الله تعالى أحمد بن عمر..يبلغ السلام التام ورحمة الله وبركاته؛

إلى الفقيه الأجّل السيد الموفق غريب عصره، وفريد دهره، أبي مُحَّد عبدالله بن مُحَّد صفاه الله من الكدورات البشرية، ورفع سره تنزيهًا عن الحظوظ الدنيوية، وأكرمه باتباع الآثار المحمدية، وحفظ عليه أوقاته بمنه وكرمه.. وبعد:

يا أخي إن الأمر جد، والحق لازم، والدليل حائر، والشيطان قد سُلط على القلوب فاستولى عليها حتى مالت عن حيز الحق، إلى حيز الباطل، حتى صار المعروف منكرا، والمنكر معروفًا، فأزال الورع، واستولى الطمع، وتدانوا بالمداهنة، وتعاونوا بالمخادعة، والناطق بالحق مريبًا، والصادق غريبًا، حتى صار الحق من غربته كالمفقود، ولذهاب أهله كالجحود، يُذل أهل الطاعة، ويعز أهل المعصية، حتى يصير المؤمن كالأمة، قال ذلك المصطفى ﷺ: ((يأتي بعدي زمان يكون فيه المؤمن كالأمة))[1] لأنه تموت فيه السنة، وتحيا فيه البدعة، يؤتمن فيه الخائن، ويخون فيه الأمين. فمن خالطهم لا ينفك من مداراتهم، فمن داراهم راياهم، وتصنَّع لهم رغبة في جاهِهم ومعونتِهم، ثم حُرِمَ ما في أيديهم،

---

(1) في حديث عن ابن عباس أن النبي ﷺ: ذكر من أشراط الساعة أن يكون المؤمن فيهم أذل من الأمة يذوب قلبه في جوفه كما يذوب الملح في الماء مما يرى من المنكر فلا يستطيع أن يغيره.. رواه ابن مردويه.

ولم يسلم منهم، فمن أراد السلامة في هذه الاعصار وقطع طمعه مما يرغب فيه الناس، واعتزل في مكان لا يراهم ولا يرونه، ففيها السلامة، من جميع الآفات، وربما كانت فريضة بعد أن كانت فضيلة، لتعذر السلامة مع المخالطة، فاقنع من الدنيا باليسير، يهون عليك معادات الناس.

فمن زاحمهم فيما يرغبون فيه؛ رأوه بعين العداوة. والذي أرى لك به لا تخالطهم، ولا تكاتبهم، واقنع باليسير من الدنيا، فليست دار إقامة، واتخذ من الله عوضًا من كل شيء، فليس شيء عوضًا من الله تعالى، وأخف ذكرك، ولا تنسى عدوك فإنه غير غافل عنك. واتق الله حيث كنت، يجعل الله لك فرجًا ومخرجا، ويرزقك من حيث لا تحتسب، وتوكل على الله تحصل على الكفاية، لا يهمك إلا أمر دينك بحسن الانقطاع إلى الله تعالى، تُكفي كل مؤن في الدنيا، ولا تهتم برزق غدٍ؛ لعلك لا تبلغه، اتخذ الله صاحبًا، ودع الناس جانبًا، واستأنس بذكر الله عن ذكر الخلق، فمن علامات الإفلاس؛ الاستئناس بالناس، ولا تغتر بالحديث الوارد عن سيد الرسل ﷺ وتترك التمييز في الحالين حيث قال: ((أكثروا من معارف المؤمنين)) فإن ذلك كان قبل زمان الفتنة، وذهاب الدين، وعدم اليقين، وحصول التكليف في القول والعمل والنية. قال ﷺ: ((أنا والأتقياء من أمتي بريؤن من التكلف))،[1] كن حذرًا من أهل عصرك، فارًا بدينك، ولا تطلعهم على سرك. والسلام عليك وعلى جميع خاصتك ورحمة الله وبركاته.

[كتاب من بعض إخوانه]

وكتب إليه بعض إخوانه: يشكوا من أحداث وقعت بهم.

فأجابهم رضي الله عنه:

سلام الله ورحمة وبركاته على إخواني حماهم الله من الالتفات إلى زخارف دار الحدثان بعين الإعجاب الموجب للخذلان. فالنظر إليها

---

(1) سبق تخريجة

بعين الإعجاب يوجب التعلق والأنس بها، وينقش صورة المنظور في مرآة القلب، ويتولد من ذلك رديء،والميل عن الاعتدال وذلك سبب ثوران بخار الحرص على نيل ما علق في نياط القلب من أكيد حبه. فلم يستطع النزوع عن ذلك،[1] ولم يتفرغ لاكتساب الفضائل العلمية والعملية؛ فهذه الحالة هي سبب الحرمان، والانقطاع عن المواد الربانية، والأنس بالأمور القدسية وذلك لتراكم سحاب الغفلات، والتلذذ بالأنس في مواطن الكسل عن الطاعات. فنسأل الله حراسة قلوبنا من التعلق بما يوجب للحجاب، ويعقب الطرد عن الجناب.. وبعد:

فإنه وقف المملوك على المسطور الكريم وتحقق ما بثثتموه من الشكاية من الأحداث الجارية في العالم؛ فأن كانت الشكاية من الخلق فأنهم منزوعون الإرادة، لا يجلبون مسرة، ولا يدفعون مضرة، وإن كان قد سبق نظركم إلى الفاعل الحق بلا علة رأيتم أن مصدر الأمور كلها منه، ولا يليق بمنصب العبودية بث شكوى أحكام الربوبية، بل تستقبلون ما وجهه إليكم بالتسليم الذي يوجب ترك الاعتراض وحسن الالتجاء في السراء والضراء، لأن من تعرف إليه في الرخاء لم يخذله في حال الشدة، وإياكم وطول اللسان على من قصدكم بالأذى، والاشتغال بذكرهم فيكلكم إليهم. قيل ليعقوب عليه السلام: ممَّ بياض عينك، فقال: حزنًا على يوسف، فنودي من سرادق الجلال أن يا يعقوب تفرغت تشكوني إلى خلقي، تشكوا من يملك ضرَك ونفعك إلى من لا يملك ضرك ولا نفعك. إن كان ولا بد من الشكوى؛ فألي من يجيب المضطر إذا دعاه، ويكشف السوء، ومعلوم أن شدة البلاء من مقارَفة الذنوب، والجرائم المتقدمة. قال ﷺ: ((ما نزل من السماء بلاء إلا بذنب ولا يرتفع إلا بتوبة)).

---

(1) فلم يستطع الرجوع عن ذلك.

وقال عليه السلام ((ما أنكرتم من زمانكم فبما غيرتم من أفعالكم))[1].

قال الله تعالى:{وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُم}[2] فكل ما ترون من تغير الأحوال، سببه الغفلة عن الله تعالى، وترك التمييز بين الحق والباطل، والميل إلى الرخص، والتعلق بالتأويلات الفاسدة حتى صار المنكر معروفًا، والمعروف منكرًا، ويجترئُ الصغير على الكبير، لا يتآمرون بالمعروف ولا يتناهون عن المنكر، حينئذ يسلط الله الأشرار على الأخيار، فيدعوا الأخيار فلا يستجيب لهم، فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم.

قال الله تعالى:{قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُم} [3] قيل هم الملوك السوء،ومن تحت أرجلكم قيل هم المماليك السوء، ويلبسكم شيعا قيل هو اختلاف الآراء، ويذيق بعضكم بأس بعض، فالنجاة من الآفات الدنيوية، والسلامة من العقوبات الأخروية بدون تقوى الله يتعذر[ذلك][4] يقول الله تعالى في بعض كتبه المنزلة: (يا عبدي أتقني فما دون تقواي نجاة أبدا)، فمن أراد السلامة من الآفات، أو من كل أمر يحاذر من نتائج التبعات، فعليه بملازمة تقوى الله تعالى فإنها حصن (في الدنيا)[5] حصين وأمان في الآخرة مكين. فيدل على صحة مجموعها كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

---

(1)حدثنا سلامة بن ناهض المقدسي وعبدوس بن ديزويه وعلي بن سعيد الرازيان ومُحَمَّد بن الحسن بن قتيبة العسقلاني قالوا ثنا عبد الله بن هاني ثنا أبي قال حدثنا إبراهيم بن أبي عبلة عن بلال بن أبي الدرداء عن أبي الدرداء قال ما أنكرتم من زمانكم فبما غيرتم من أعمالكم فإن يك خيرا فآها آها وإن يك شرا فواها واها سمعته من نبيكم ﷺ مسند الشاميين:ج1/ص38 ح26. موسوعة اطراف الحديث ص247841

(2) سورة الشورى: الآية 30.

(3) سورة الأنعام: الآية 65.

(4) مابين المعقوفتين من وضع المحقق.

(5)اقطة من (ت).

أما مدلول السنة قوله عليه السلام: ((اتق ونم حيث شئت))[1] تنبيهًا على أن من اتقى الله تعالى؛ اتقاه كل شيء، ومن لم يتق الله؛ اتقى من كل شيء.

وأما مدلول الكتاب قوله تعالى: {إن المتقين في مقام أمين}[2] فالذي أرى لي ولكم؛ اقتفاء آثار أسلافنا فأنهم أبدًا لم يعتزوا[3] بغير الله، ولم يرفعوا حوائجهم إلا إلى مولاهم، كانوا إذا نزلت بهم نازلة وهمهم أمر تبادروا إلى المساجد بقلوب سليمة من الإحن، وأقبلوا على تلاوة كتاب الله تعالى، وتحافلوا على الختمات[4]، وأظهروا التضرع إلى الذي بيده مقاليد الأرض والسماوات، ومصرّف الدهور والأوقات، ورفعوا حوائجهم إليه، ووجدوه قريبًا، فكان حيث ظنهم تصديقًا لوعده إذ قال: (أنا عند ظن عبدي بي، فليظن بي ما شاء)، فكونوا كذلك، ولا تنشغلوا بالأماني الفاسدة، والأخذ بالرخص، ولا تتبعوا سقطات الأئمة من قبلكم، واحفظوا موالكم في أوامره ونواهيه، يتولى حفظكم، ويحفظ عليكم أوقاتكم، حتى لا تمر في البطالة.

قال ﷺ: ((الكيّسُ من دانَ نفسه وعمل لما بعد الموت والأحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني))[5] وقال عليه الصلاة والسلام: ((احفظ الله يحفظك))، [6] فإن الله تعالى يُنزل العبد من

---

(1)قطعة من حديث عبدالله بن عمرقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في بعضِ ما أنزل اللهُ على أنبيائِه ابنَ آدمَ أخلقُك وأرزقُك وتعبدُ غيري ابنَ آدمَ أدعوك وتفرُّ منّي ابنَ آدمَ أذكُرك وتنساني اتقِ اللهِ ونمْ حيثُ شئتَ. الإرشاد:950/3.

(2) سورة الدخان، آية: 51.

(3)لاعْتِزاءُ: الاتّصالُ في الدَّعوَى إذا كانت حربٌ فكلُّ مَنِ ادَّعى في شعارِهِ أَنا فلانٌ ابنُ فُلانٍ أَو فلانٌ الفُلانِيُّ فقدِ اعْتَزَى إليه والعِزَةُ عُصْبَة من الناس والجمع عِزُونَ الأصمعي يقال في الدارِ عِزُونَ أَي أَصنافٌ من النَّاسِ والعِزَة الجماعةُ والفِرْقَةُ من الناسِ.لسان العرب.52/15

(4)اجتمعوا لقراءة القرآن الكريم وختمه.

(5) سبق تخريجه

(6)7073– عَنْ حَنَشٍ الصَّنْعَانِيّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ:كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ الله، ﷺ، يَوْمًا فَقَالَ: يَا غُلاَمُ، اِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، اِذَا سَأَلْتَ، فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَاذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِالله، وَاعْلَمْ أَنَّ الامَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيء، لَمْ يَنْفَعُوكَ اِلا بِشَيءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيءٍ، لَمْ يَضُرُّوكَ الا بِشَيءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الاقْلاَمُ، وَجَفَّتِ=

نفسه حيث أنزله العبد من نفسه، وتعاونوا على البر والتقوى، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان. ولو كان الأخذ بالرخص محمودًا، أو راحةً كان أكرم الخلق إليه أحق بذلك! بل كلفه إنذار أخص خاصته وأقربهم إليه بقوله تعالى: {وأنذر عشيرتك الأقربين}،[1] فلم يحضر سوى عميه وابنته وولديهما الحسن والحسين رضي الله عنهم وبلغهم رسالة ربه وانذرهم بأس الله وقال: إني لا أغني عنكم من الله شيئا لي عملي ولكم عملكم [أعمالكم]فكيف الاغترار بعد هذا.. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

[سؤال الشيخ الأحجف]

وسأله الشيخ علي بن الأحجف الساكن بالحرجة، من أرض سُردود، عن مسائل يحكيها الجواب.

فأجابه رضي الله عنه ونفع به:

بسم الله الرحمن الرحيم.. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم: الحمد لله الذي اخترع العالم على غير مثال سابق، وأبتدع الوجود بحكمة أزلية، وتدبير لائق، دبر الأمور أولًا وآخرًا، على وفق التقدير الأزلي، وترتيب محكم وتصوير لاحق، أودع سرَّ تدبير العالم ذرات الموجودات تنطق بلسان حالها، معبرة عن المصور الخالق.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة موقن بربوبيته، ومندرج تحت رِقِ عبوديته. وأشهد أن محمدًا عبده المصطفى ورسوله المرتضى صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه، وعترته من أهل الوفاء وعلى أتباعه مصابيح الهدى.. أما بعد:

فإن الله قد فرض على الخاصة والعامة معرفته، وإن تباينت الأحوال في المعارف وتفاوتت المنازل.

=الصُّحُفُ. أخرجه أحمد 293/1(2669) قال: حدثنا يونس، حدثنا ليث. وفي 303/1(2763) قال: حدثنا يحيى بن إسحاق، حدثنا ابن لهيعة، عن نافع بن يزيد. والتِّرْمِذِيّ" 2516 قال: حدثنا أحمد بن مُحَمد بن موسى، أخبرنا عبد الله بن المبارك، أخبرنا ليث بن سعد، وابن لهيعة (ح) وحدثنا عبد الله بن عبد الرحمان، أخبرنا ابو الوليد، حدثنا ليث بن سعد ثلاثتهم (ليث، ونافع، وابن لهيعة) عن قيس بن الحجاج، عن حنش الصنعاني، فذكره. المسند الجامع: 66/22

(1) سورة الشعراء: الآية 214

فمعرفة العموم:

إيمان جازم لا يلحقه تردد ولا ارتياب، وإن كان يتطرق إليه انحلال بادٍ في حادث يوجب الحيرة ولا يدري إلى أي مذهب يميل، فأمره على خطر.

ومنهم من عرفه بعلم مستفاد مستخرج من شواهد الأدلة بفهم ثاقب دقيق النظر.

ومنهم من عرفه بربوبيته وجعله شاهدًا على مصنوعاته لغيبته عن الآثار.

فصاحب هذا المقام؛ يشرب من بحر صفاء عين اليقين – وصاحب العلم يقتبس من أنوار علم اليقين(1)– وصاحب الإيمان يتلقى ما يرد عليه من أهل المقامين؛ بإيمان جازم لا يتخلله تردد ولا ارتياب.

فمن عرفه امتثل أمره، ولم يتعد حده، قال الله تعالى:{وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ}(2)، ويعتقد بعد ذلك أن طاعة الله تعالى مقيدة بطاعة رسوله ﷺ، قال الله تعالى:{من يطع الرسول فقد أطاع الله}،(3) وقال تعالى:{وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا}،(4) فبلغ أمره ونهيه.

فالوقوف عند حدود الشرع مما نقله الثقات بترك التعلل بالتأويلات الفاسدة، والأخذ بالرأي والقياس؛ هو من أوثق عرى الإيمان، وقد يلوح لأهل القلوب المهذبة بتربية العلم قبل صفاء الحال،(5) وشروق أنوار المعارف ما يضاد ما تقدم ذكره من وجوب

(1)علم اليقين: هو قبول ما ظهر من الحق، وقبول ما غاب للحق، والوقوف على ما قام به الحق. الأنصاري الهروي: منازل السائرين إلى رب العالمين تحقيق د. عبدالقادر محمود، ص 304

ـ علم اليقين ما كان ناشئا عن البرهان: حقائق التصوف ص 43

(2) سورة الطلاق: الآية 1.

(3) سورة النساء: الآية 80.

(4)الآية: مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ. سورة الحشر. الآية: 7

(5) . روى عن الجنيد (ت:297هـ) أنه قال: (الحال نازلة تنزل بالعبد في الحين، فيحل بالقلب من وجود الرضا والتفويض وغير ذلك، فيصفو له في الوقت في حاله ووقته ويزول) الطوسي اللمع ص 411.=

إتباع أمر الشارع، إما رؤيا أو خطاب، أو إلهام؛ فإن كان له من عناية الله عناية زجره الخطاب الخارجي المستفاد من مشكاة أنوار النبوة، فإنه مقدم على الداخلي لقوله ﷺ: ((إذا ورد عليكم أمر وحديث فاعرضوه على كتاب الله وسنتي فإن شهدوا له بالصّحة فخذوه، وإلا فانبذوه وراء ظهوركم)).

فشرع نبينا وشرائع الأنبياء حق،والإيمان بجملتها والعمل بمقتضاها واجب. فينبغي للعاقل أن لا يعتمد على زخارف أقوال المترفين من أهل الدنيا، صوفيًا كان أو عالمًا سكرانًا بحب الدنيا. فقبول قولهم يوجب القطيعة عن الرب، والمروق من الدين، وسواد القلب؛ إلا عالمًا يغلب عليه الخوف من الله تعالى[1] ينصف من نفسه ولا يَستَضِيف لها، حريصًا على النصح لخلق الله تعالى يريد بذلك وجه الله تعالى، لا عوضًا دنيويًا كان أو أُخرويًا؛ فهذا مما يعز[2] وجوده في هذه الاعصار؛ لأن المعروف في وقتنا منكرًا، والمنكر معروفًا. قال الله تعالى لداوود عليه السلام: (يا داوود لا تجعل بيني وبينك عالمًا قد أسكره حب الدنيا فيضلك عن طريق محبتي، أولئك قطاع الطريق عن عبادي المريدين)، قال ﷺ: ((العلماء أُمناء الرُسل مالم يميلوا إلى الدنيا، فإذا مالوا إليها فاحذروهم على دينكم))، وقال ﷺ: ((العلماء أمناء الرسل مالم يخالطوا السلاطين))، [3]فإذا خالطوهم فاتهموهم على دينكم، هذا في تلك الاعصار، وأنوار النبوة مشرقة، كيف بزمانك هذا، وأيسر ما فيه حيف الأئمة، وحيرة الإدلاء.

=وقال القشيري (ت:465هـ): (الحال عند القوم معنى يرد على القلب من غير تعمد منهم ولا اجتلاب ولا اكتساب لهم، من طرب أو حزن أو بسط أو قبض أو شوق أو انزعاج أو هبة أو احتياج) الرسالة القشيرية 206/1

(1) وما أصدق ما نقل عن الإمام الشافعي ﷺ أنه قال:

غلى قَدْرِ علم المرءِ يَعظُمُ خوفُه فلا عالمٌ إلا مِن اللهِ خائفٌ

وآمِنُ مكرِ الله باللهِ جاهلٌ وخائفُ مكرِ الله بالله عارفُ

(2) يندر وجوده.

(3)العلماءُ أمناءُ الرسلِ، ما لمْ يخالطوا السلطانَ، ويُدَاخِلُوا الدنيا، فإذا خالطوا السلطانَ، وداخلوا الدنيا، فقدْ خانوا الرسلَ، فاحذرُوهُمْ. رواه أنس بن مالك، نقله السيوطي في الجامع الصغير وحكم عنه بأنه: حسن

فواجب على من عرف زمانه؛ أنه لا يستنصح في دينه إلا من كان على الوصف الذي تقدم ذكره، فهذا أعز من الكبريت الأحمر في هذه الاعصار، ومن حصل له أدنى شيء من صحة الطلب للطريق إلى الله تعالى؛ فليتعرفه من كتاب الله تعالى، وسنة رسوله، وإجماع الأئمة، وليُدمِن النظر في مناقبهم وما كان عليه الصدر الأول من الصحابة، وأتباعهم وأتباع أتباعهم.

وإياك أن تُعرض عن طريقهم وعن نصحهم، فلست تجد نصحًا يزيد على نصحهم، ولا شفقة [1]تزيد على شفقتهم ولا طريق أسنى من طريقهم، قال ﷺ: ((خيركم في آخر الزمان؛ المتثبث))[2] أي المتوقف عن ورود الشبهات.والمتثبت على الكتاب والسنة؛ عند استيلاء الشهوات، وركوب خيول الأهواء، في ميادين الغفلات، فلم يذكر له جهادًا ولا شيء من أعمال البر والطاعات غير ذلك عند فساد الزمان، وتنكر الأحوال، وفقد أرباب المعارف، من أهل العلم بالله تعالى.

فمن عرف زمانه هجر إخوانه وفارق مكانه، وآثر الاعتزال عن الخلق [3]، وذلك لا يدرك إلا بعناية إلاهية، وصحة القصد وصفاء المعاملة، والأنس بذكر الله تعالى عن ذكر الخلق، وبكلامه عن كلام الخلق، والوحشة من ملاقات الناس، والإعراض بالكلية عما لا يعني. ولا يستشير في أمره إلا المتقين.، قال بعضهم الاستئناس بالناس من علامات الإفلاس. فإن نزلت به حادثة والتبس عليه أمر في سلوكه، ووجد في وقته من يدفع عنه الالتباس، ويكشف عنه الشبهة، ويشفي علته من أهل التقوى؛ فعليه بملازمة مجلسه، وامتثال أمره، والتسليم لكل ما يرد عليه منه، قال ﷺ: ((استشيروا في أموركم الذين يخشون الله)). فإن لم يجد في وقته من يصلح لذلك فلا يصحب إلا نفسه،

---

(2) سبق تخريجه

(3) الاعتزال عن الخلق: يُقصَد به تجنب لقاء الناس من غير ضرورة من تعيش وطلب علم أو تعليمه أو صلة الرحم مما هو مندوب أو واجب شرعا. عبده غالب أحمد عيسى. مفهوم التصوف: ص 32

ويداوم[على]الافتقار، وملازمة الكد، وبذل المجهود، ولا يدخر على سيده شيء. أول شيء يهون عليه بذل الروح حتى يكون ما عداها تابعًا لها.

فمن صح زهده في نفسه، صح زهده في غيره. فهؤلاء المرادون بقوله تعالى: {والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا}[1].فإن تعلق به أمر شرعي في حق من يتوجه عليه الخطاب المشروع لا يخلوا أن يكون أحد رجلين؛ إما فانيًا في التوحيد، أو فيه بقية من الالتفات. فأن كان فانيًا في التوحيد[2]؛ فهو خارج عن دائرة الخطاب الشرعي بفنائه عن نفسه وعن غيره، فإن كان فيه بقية من الصحو؛ توجه عليه الخطاب الشرعي في حق من يعول؛ ففرض التوكل يتعلق به دون عياله، قال صلى الله عليه وسلم: ((كفى بالمرء إثمًا أن يضيع من يعول))[3]، بل يقوم عليهم بما أمكن مما لا يتطرق إليه منه فساد الدين، ولا يشغل القلب عن الله طرفة عين، واثقًا بالله، ملازمًا لليقين متحققًا أن أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه، ومن شرطه أن يكون معرضًا عن سعيه وحركته، متيقنًا أنهما لا يحدثان، ولا يزيدان في رزقه ورزق من يتعلق به، وكذلك سكونه لا ينقص من المقدور شيئًا مما قُسِمَ له في الأزل، وأن يكون واثقًا بما في يد الله أوثق منه مما في يده فهذه شروط استصحابها واعتقادها، والعمل بمقتضاها، من فروض الأعيان، وإحرازها بصحة الاعتقاد، لم يخرجه عن دائرة التوكل مع الحركة، لصحة توحيده وعقيدته. فمن صح توحيده وعقيدته نظر إلى الخلق نظرة الأحياء إلى الأموات.. إذ الميت لا يجلب مسرة ولا يدفع مضرة.

فإذا كان كذلك يرى الخلق جملةً منزوعي الإرادة في الحالتين، لا يجلبون مسرة، ولا يدفعون مضرة، وبهذا النظر يهون عليه ترك الالتفات

---

(1) سورة العكبوت، الآية: 69

(2) هذا الفناء مبني على الكتاب والسنة ونظام الشريعة الثابت بعيدًا عن أوهام الإتحاد والحلول

(3) الحديث: قال عبد الله بن عمرو سمعت رسول الله ﷺ يقول: كفى بالمرء إثما أن يضيع من يعول السنن الكبرى: ج5/ص374 ح9176

إليهم في العطاء والمنع، والرد والقبول، والبر والجفاء. فمن أنس عند إقبالهم، وارتاح لقبولهم، أو أسف لفقدهم.. لا ينفك من الشرك الخفي.

وأمّا الانبساط والأخذ من أي وجه كان؛ يوجب الخروج عن الدين، و(يُعَرِضُ)[1] للوعيد الإلهي هذا مع اعتقاد تحريمه فإن اعتقد حله مع الأخذ؛ فهو كافر بشرائعنا، وشرائع الأنبياء كلهم؛ لأنه مكذب لله ولرسوله. وإن أخذه مع اعتقاد تحريمه.. فهو فاسق لا تقبل شهادته، ولا روايته، ولا فتياه.

فالورع على أضرُب، وأهله على مراتب شتى.

فالورع عن الحرام: واجب إن أمكن وجوده في هذه الاعصار.. فهو كافٍ عمّا عداه من مقامات أهل الورع، على قدر الهمم، ومراتب الناس، فلا يمكن شرحه على وجه الإيجاز والاختصار، فالنظر فيه والتدبير لمعانيه يغني عن التطويل.

والسلام عليكم وصلى الله على سيدنا مُحَمَّد النبي الأمي، وعلى آله وصحبه وسلم.

[وصية لبعض أصحابه]

وطلب منه بعض أصحابه وصية يوصيه بها.

فأجابه رضي الله عنه:

بسم الله الرحمن الرحيم.. والصلاة والتسليم على سيد المرسلين، وعلى آله وأصحابه المنتخبين..أما بعد:

فأن من عرف زمانه هان عليه تحمل مشاق العزلة عن أهل زمانه، ففي العزلة السلامة عن تكلف مداراتهم، فإنّ من داراهم رآئاهم، ومن رآئاهم وقع فيما وقعوا فيه وهلك كما هلكوا. ففي العزلة السلامة من التمضمض بأعراض الناس من غيبة، أو نميمة، أو مجاهرةٍ بالسؤال، أو سوء ظن، أو خديعة، أو حيلة، أو مخاتلة، أو ترك معروف، أو ترك نهي عن منكر، ففي العزلة السلامة من هذه الموبقات كلها. وما

---

(1) في (ت) وتعريضًا.

أشبهها مما لا يقدر أن ينفك منها أحد من أهل هذه الاعصار؛ لذهاب المتقين وفقد الورعين.. ولهذا خفيت طرق هذه المعاني واندرس[1] علمها وعملها.

اعلم أيها المتعرض لهذه المعاني ولزوم طريقها: عليك بملازمة تقوى الله في جميع حالاتك، عند يقضتك ونومك، وعند حركاتك وسكناتك، وعند طعامك وشرابك، وفي تتبع سمعك وبصرك. واعرف من أين يدخل عليك الدرهم، وفي أي شيء تخرجه، فقد قال صلى الله عليه وسلم (من لم يبال من أين أكل لم يبال الله من أي أبواب النار أدخله)[2] وهذه التقوى وصية الله تعالى للأولين والآخرين، قال سبحانه وتعالى: {وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ}.[3] فالتقوى هي رأس كل علم، قال ﷺ: ((رأس كل علم خشية الله))، وإياك أن تميل إلى التأويلات الفاسدة التي يستحل بها الأموال، فقد قال بعض الحكماء: إذا رأيت الرجل يتبع الرخص ويجنح إلى الكسل، ويتعلل بالتأويلات الفاسدة؛ فاعلم أنه ضلَّ عن الطريق. أوحى الله تعالى إلى داوود عليه السلام؛ (لا تسأل عني عالمًا أسكره حب الدنيا فيضلك عن طريق محبتي، أولئك قطاع الطريق عن عبادي المريدين).[4]

وهذا ما حضر الكلام، مع ضيق الوقت. فنسأل الله أن يجعل ما سطرناه خالصًا لوجهه، خاليًا من إرادة غيره، بمنه وكرمه، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

---

(1)اندرس: انطمس وذهب أثره وتقادم عهده.

(2)أورده الإمام الغزالي في إحياء علوم الدين. وشمس الدين الذهبي في الكبائر ص 120و.قال العراقي رواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عمر

(3) سورة النساء: الآية 131.

(4)ذكره الغزالي في " إحياء علوم الدين" وابو طالب المكي في قوت القلوب " بنفس السياق: " (وفي أخبار داود عليه السلام حكاية عن الله تعالى إن أدنى ما أصنع بالعالم إذا آثر شهوته على محبتي أن أحرمه لذيذ مناجاتي يا داود لا تسأل عني عالما قد أسكرته الدنيا فيصدك عن طريق محبتي أولئك قطاع الطريق على عبادي يا داود إذا رأيت لي طالبا فكن له خادما يا داود من رد إلي هاربا كتبته جهبذا ومن كتبته جهبذا لم أعذبه أبدا").

[أربع مسائل من الفقيه الأجل جمال الدين محمد بن عمر التبّاعي[1]]

وسأله الفقيه الأجل السيد الفاضل العالم العامل الزاهد الورع جمال الدين مُحَمَّد بن عمر التبّاعي..عن هذه الأربع المسائل:

فأجاب رضي الله عنه:

بسم الله الرحمن الرحيم.. الحمد لله الذي ابتدع العلم بقدرته، وجعلهم أطوارًا، وميزهم بحكمته فريقين: منهم من طبعه شقيًا في الأزل فمات مكتسبًا أوزارًا، ومنهم من تداركته يد العناية الأزلية فأخرجته من ظلم الغواية، مجددًا أوقاته توبةً واستغفارا. هذه قسمة الله تعالى بين عباده في سابق علمه فضلًا وعدلًا في حكمه وما جارا، وجعل أزِمّةَ القلوب بيد قدرته قهرًا يقلبها في اليوم كيف يشاء مرارا، سبحان من جعل الوجود بأسره بندرًا[2] جامعًا لجيوب بدائع جواهر الأسرار وجعله منارا، وجلى عروس الكائنات على أبصار اللّاحظين لجمالها، لمن أمعن

---

(1)أبو عبد الله مُحَمَّد بن عمرو بن علي التباعي، كان فقيها عالما عارفا محققا تفقه بأبيه وبغيره وكانوا يؤثرون الزهد في الدنيا والخلوة عن الناس، كتب مرة إلى الفقيه اسماعيل الحضرمي كتابًا يقول فيه: كيف النجاة وقد حف البلاء بمعاصٍ جمّة وأمور مهمة، وقلب قد أكله الأسى وأحرقه الهوى، وهو يطلب أن يكون من جملة السعداء؟.

فأجاب الفقيه اسماعيل فقال: بصحة الرجوع وصدق الالتجاء يصير كل بعد قربًا وكل وحشة أنسًا والسلام.، وكان الملك المظفر الكبير قد عوَّل عليه وألزمه أن يدرس في جامع واسط مور الذي عمره والده وتعلق به كثيرًا، فدرس فيه مدة يسيرة وهو كاره، فبينا هو ذات يوم يفكر في وجه يحسن به الخلاص، وقد ضاق صدره بسبب ذلك، إذ دخل عليه فقير فقال له: يافقيه أجد في نفسك كلامًا وقلقًا فأحب أن أُسمعك أبياتًا في هذا المعنى، ثم قال:

كُـن عـن همومـك معرضـا	وكـل امـورك إلى القضـا
وأبشـر بعاجـل فرجـةٍ	تنسـى بها مـا قـد مضـى
فلربـما اتـسع المضـيق	ولربـما ضـاق الفضـا
ولـرب أمـرٍ مسخـطٍ	لـك فـي عواقبـه رضـا
اللـه يفعـل مـا يشـاء	فـلا تكـن متعـرضـا

فوقع في نفس الفقيه ترك المسجد والزهد في جميع العلائق، وحصلت عليه حالة رمى بالكتاب في يده، ثم التفت فلم يجد الفقير، ثم تولى عليه الذهول بعد ذلك، فكانت تطرقه حالات يبقى فيها تارة شاخصًا ببصره إلى السماء ساعة طويلة، وتارة يكون مطرقًا لا يجيب أحدًا،.تحفة الزمن،ص 297

كان يؤثر الزهد في الدنيا والخلوة عن الناس. توفي سنة اثنتين وسبعمائة هجرية. انظر طبقات الخواص:297.

(2) البندر: البلد الكبير يتبعه بعض القرى.

النظر فيها، تأملًا وافتكارا، وأحيا بوابل ذكره بالقلوب المهذبة بتربية العلم النافع حتى ربت كفى بربك عزًا وافتخارًا، وسقاها من خُمُرِ القدس بكاس الحب، معتقة عقارا، يميل بها الوجد من فرط الحب تارة يمينًا وتارة يسارا، مهما بدا حسنه جمالًا خضعت لهيبته القلوب ذلة وافتقارا، وإن تجلى جلالًا أفنى معالمهم ولم يدع للديار آثارا، أودع نجائب صدور أحبته من مكنون جواهر الغيب علمًا وأسرارا، لما تجلى بحسن صفاته حجب لطائف الأرواح المستعدة عن درك حِمى ذاته إدراكًا وإبصارا، وقَصُر فصيح اللسان عن نعتِه، لقصوره عن إدراك حقيقة أمرِه، فلم يستطع عنه إخبارا، وجعل خزائن القلوب لقبول أطيار جواهر أسراره أوكارا، وجعل العقل السليم المتجرد عن التعلق بزخارف ما يُغني بريدًا إلى إقليم الوجود مترددًا سيارا، لقراءة أسطر المعاني المثبتة بقلم القدرة الأزلية في طيه مقتبسًا أنوارا، واستوفى هموم أحبته حتى صارت همًا واحدًا؛ فهم غرقى في بحار معرفته ناعمين بلذاذات مناجاته فلم يطيقوا عنه اصطبارا، يُطافُ عليهم بكؤس خمور الحب في مقاصير الأنس خمارا، وأفناهم عن إياهم فلم يبق لهم أثرا أصبحوا قتلى بحب الله حيارى، متلذذين بنعيم شهود جلال كبريائه متحفين بقربه للحبيب جوارا، آمنين من فزع خوف القطيعة مسترقين له ومن رق الأغيار أحرارا، محبورين لا يحزنهم خوف الفراق ولو إلى الفراديس في ظل قدسه سُمّارا، بل مطمئنين في رياض حضرته، لا يبغون عن جواره جورا، والبسهم خلع الكرامة من فيض جوده، وزادهم عزًا ووقارا.

واشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إلاهًا منفردًا بوحدانيته قهارا.

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله المجتبى، الذي أرسله رحمة للعالمين منارا.

ﷺ وعلى إخوانه النبيين والمرسلين صلاة دائمة على مر الدهور ليلًا ونهارا، وعلى آله وأصحابه إذ كانوا له حزبًا وأنصارا.. أما بعد:

فقد وردت عليَّ أسئلة أربعة؛ من بعض الإخوان محكمة في كسوة ألفاظ لطيفة وصيغة ظريفة، مضمونها إشارات تقتضى قرع أبواب المعارف، يدق فهمها عن أهل هذه الاعصار لعزتها وفقد أهلها، وإن وجدوا كانوا على الندور[1] ممن يعرف طرقها؛ فهم غرباء في هذه الأعصار؛ لأن من عرف غريبًا فهو غريب، سبب غربتها؛ إقبال الخلق على هذه العلوم الظاهرة، وإجماعهم على أنها أشرف العلوم تحت أديم السماء، فصار العلم النافع مهجورًا، معدودًا من جملة المنكرات. ولهذا خفيت هذه العلوم، واندرس علمها والعمل بها وبمقتضاها. وذلك لجهلهم بها، وعُدم السالكين طرقها [2]، قال عليه السلام: ((من جهل شيئًا عاداه))[3] وفي لفظ آخر ((من جهل شيئًا أنكره)).

فهذه العلوم الظاهرة؛ يؤل أمر مدلولها إلى الأحكام الدنيوية، وذكرها ذلك لفرط محبتهم للدنيا وأنبائها، وما يميلون إليه بالطبع إلى مشتهياتها. قال عليه السلام:((من أحب شيئًا أكثر من ذكره))[4] فهذا سبب إقبالهم على هذه العلوم الظاهرة في غفلتهم عن العلوم النافعة، التي كانت بغية علماء الآخرة، من السلف الصالح ﷺ؛ لأن مدلولها أيضًا يذكر بالله تعالى وبصفاته وبأحكام الآخرة، ولكل واحد منهما أهل، قال ﷺ: ((إن للدنيا أبناء وللآخرة أبناء))[5].. الحديث بطوله. قد علم كل أناس مشربهم كل حزب بما لديهم فرحون، وما أوردته من هذه الأسئلة الأربع بقوة بحثك؛ دليل على غوص فطنتك وبُعد غورك، وغزارة علمك، ونفاذ بصيرتك، وحسن سريرتك.

قال عليه السلام: السؤال نصف العلم. زادك الله تبحرًا في أغوار أسرار العلوم الربانية، وأهَلَكَ لمدارك الفهوم القلبية بمنه وكرمه. وأنا

---

(1) الندرة.
(2) بمعنى وانعدام طرقها على السالكين.
(3) سبق تخريجه.
(4) سبق تخريجه
(5)لم أقف عليه فيما لدي من المصادر.

أعتذر من طول المطال في الجواب وذلك لأمرين؛ أحدهما اعتقادي في نفسي أني لست أهلا لرتبة الإفتاء؛ لأن رتبة الإفتاء تستدعي حيازة منصب الاجتهاد، ومنصب الاجتهاد مقيد بشروط أربعة؛ أولها العدالة المطلقة. والعدل هو الذي لا يرتكب كبيرة، ولا يصر على صغيرة. ومن كان مجهول العدالة لا يُعْتَمَد على فتواه عند صاحب شرح اللمع[1] وغيره من أكياس العلماء. كيف يعتمد على فتوى من يتظاهر بالفسق في هذه الأعصار بترك التمييز في الطعام والشراب واللباس والكسب، لا يبالي من أي وجه يدخل عليه الدرهم وفي أي شيء يخرجه. فهذه وأمثالها واحدة منها؛ تسقط العدالة، فإذا سقطت العدالة؛ تعذر الاعتماد على من يتعاطى ذلك في الشهادة والرواية والفتوى، ذكره الإمام أبو حامد الغزالي [2] رحمه الله تعالى في باب استقبال القبلة من الجزء الثاني من كتاب الأحياء، كيف بسائر الشروط إذا فقدت.

فإذا كان الأمر مبينًا مقيدًا بهذه الشروط كيف ينعقد النكاح أو ينفذ الحكم بشهادة من يتظاهر بشيء مما ينسب صاحبه إلى الفسق في هذه الأعصار، وإن اجمعوا على الوقوع في خطر شبهة اختلاف العلماء في الولي إذا ظهر فسقُه، ولم يأخذ بالأحوط، استبراءً لدينهم مع علمهم بنص الشافعي رحمه الله تعالى. إن ذلك يوجب فساد العقد لخروجه عن الولاية بالتظاهر بالفسق.

أما شاهدي النكاح؛ فلا رخصة فيهما إذا ظهر فسقهما أو أحدهما.. فإن ذلك يوجب فساد العقد ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، إنا لله وإنا إليه راجعون؛ اندرست [3] معالم الدين لعدم النصيحة، ووجود المداهنة في أمر الدين، واستنباط دقائق الحيل

---

(1) سبق التعريف به

(2) قال ابنُ النجار: أبو حامد إمامُ الفقهاء على الإطلاق، وربَّانيُّ الأمة بالاتفاق، ومجتهد زمانه، وعينُ أوانه، برع في المذهب والأصول والخلاف والجدل والمنطق، وقرأ الحكمة والفلسفة، وفهِمَ كلامهم وتصدَّى للردَّ عليهم، وكان شديدَ الذكاء، قويَّ الإدراك، ذا فطنة ثاقبة، وغوص في المعاني. سير أعلام النبلاء . 335/119.

(3) اندرست زالت ومحيت.

لاستحلال مال الغير على وجه الإلجاء، وغير ذلك بما لم ينقل عن أحد من علماء السلف لتقديم الرأي والقياس على المنصوص من غير حيازة منصب الاجتهاد، بشروط عند من يرى الاجتهاد من العلماء المتأخرين، ممن حاز منصب الاجتهاد بشروطه حتى صار المنكر في هذه الأعصار معروفًا، والمعروف منكرا، فخشيت أن أكون منطويًا على شيء مما حضره العلم ورخص فيه علماء وقتنا. والعذر الثاني أني لم أكن من أهل التحصيل[1] لمعرفة صيغ ألفاظ العلماء، ولا لي قدم راسخ في حل مشكلات ازدواجات نتائج تركيب الحكماء، ولا لي حال مكين في معرفة طريق نيل العلوم الذوقية الغريبة في هذه الأعصار إذ هي من خصائص الصديقين، وأهل التمكين من خواص نجباء الأولياء الوارثين. لأنها ميراث الأعمال الصالحات، وملازمة تقوى الله في جميع الحالات.

قال الله تعالى: {**واتقوا الله ويعلمكم الله** }[2] وقال عليه السلام ((من عمل بما علم أورثه الله علم مالم يعلم)) [3]، فخفت أن أكون من المتكلفين.قال عليه السلام: ((أنا والأتقياء من أمتي بريؤن من التكلف))[4].

فهذه الأعذار هي سبب المطال وقد استخرت الله تعالى في الجواب مما لا يحيله العقل ويشهد بصحته النقل على وجه الإيجاز والاختصار.

السؤال الأول:

إن قال قائل بما عُرف الله تعالي وهو لا يُرى في الدنيا، وإنما تُرى أفعالُه التي تدُل على إثبات ذاته وصفاته ويرى في الآخرة،و كيف أيضًا معرفة صدق الرسول الله ﷺ؟ وما الفرق بين المعجزة والسحر.

---

(1) نجد في هذ الكلام قمّة الأدب مع الله جلّ جلاله، وكمال التّبري من الحَول والقوّة، التّمثُّل الكامل لحقيقة الفقر إليه سبحانه وتعالى كما نجد فيها الاستشعار التام لمعنى قوله تعالى: {وَمَآ أُوتِيتُم مّنَ العِلمِ إِلَّا قَلِيلًا }.

(2) (واتقوا الله ويعلمكم الله وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيم). سورةالبقرة: الآية 282.

(3) سبق تخريجه.

(4) سبق تخريجه

الجواب والله أعلم:

نقول وبالله التوفيق، وبه الهداية إلي أوضح الطريق: إن إثبات ذات الله تعالى وصفاته تدرك بدليلين واضحين؛ أحدهما شرعي، والآخر عقلي.

أما الشرعي فمن كتاب الله تعالى مثل قوله [تعالى]: {شهد الله انه لا إله إلا هو}[1] الآية، وقوله تعالى:{إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ[2] فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُون}[3]، وقوله تعالى: {ألم نجعل الأرض مهادا، والجبال أوتادا}، إلى قوله{ ألفافا}.[4] كم في القرآن من الآيات التي تدل على إثبات ذاته وصفاته، وكذلك أيضًا صفاته تدرك بدليلين واضحين: كتاب الله تعالى وثواقب العقول.

أمّا من الكتاب فما ورد من الآيات[التي] فيها ذكر الصفات من الحياة والعلم والقدرة والإرادة والقيومية وسائر صفات الجلال مما يتعلق بالأفعال مما لا يحصى كثرةً فهذه أدلة شرعية على إثبات ذات الله تعالى وصفاته، مما نطق به التنزيل، وشهدت بصحتها العقول؛ فليس بعد بيان الله تعالى بيان، فمن آمن بالقرآن وصح اعتقاده من غير أن يتخلله تردد وارتياب أنه كلام الله وصفته القديمة القائمة بذاته في جمله صفاته؛ وجب على كل مكلف أن يشهد بما شهد الله به لنفسه.

---

(1) سورة آل عمران: آية 18.

(2) في (ت) من هنا قال الناسخ "(إلى قوله تعالى: يَعْقِلُون)

(3)سورة البقرة آية: 164

(4)سورة النبأ: الآيات: أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا (6) وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا (7) وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا (8) وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا (9) وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا (10) وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا (11) وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا (12) وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا (13) وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا (14) لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا (15) وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا (16)

و أمّا من طريق العقل؛ أنه لما تَعبَّدَ الله البرايا من خلقه، بمعرفة ذاته وصفاته بقولة [تعالى] {وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ والإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدونِ}[1].

فمعنى العبادة هاهنا بقول الهداة؛ هي المعرفة بواضحات الأدلة على إثبات ذاته وصفاته من طريق علم النظر والخبر، فعلم الخبر قد مضى حكمه.

وأمّا علم النظر: [إن]تأملنا في هذا الصنع المحكم والترتيب المتقن؛ عرفنا بالضرورة أن له صانعًا أوجده، وعالِمًا رتبه ولم يصدر هذا الصنع المحكم إلا من حيٍّ عالم قادر مدبر متكلم في جملة الصفات، ويستحيل أن تصدر هذه الصنعة ممن هو متصف بأوصاف تضاد هذه الأوصاف السلبية. إذ تتقدس ذاته عن الاتصاف بأضدادها من الموت والعجز والجهل والغفلة والنسيان، وما أشبه ذلك من أوصاف البشرية التي تتقدس عنها ذاته تعالى عما يقول الظالمون علوًا كبيرا، وسع عرشه الوجود وجعلها شاهدة ودالة على صانعها، ومعبرة عن موجدها؛ كم من آيات بينات، وعلامات شاهدات على صحة وجوده، من أرض مدحية، وسماء مبنية، وشمس تجري، وقمر يسري، وأنجم زاهرة، وأبحر زاخرة، وأمواج متلاطمة، وحيوان ونبات يشهد على مر الدهور بوجود صانعها، ووحدانية خالقها، تسبح له بلسان حالها تسبيحًا رائقًا يدركها العقلاء ويفهمها الحكماء، لا يدركها إلا من ألقى السّمع وهو شهيد.

وإن أضاف إلى ما تقدم ذكره من نتائج العقول، وقضايا الشرع المنقول، مما يؤيد اعتقاده من نتائج القوانين، والموازين التي هي مستخرجة من ممارسة أكياس العلماء في كتبهم، مثل: القسطاس لأبي حامد الغزالي رحمه الله [2] وغيره من العلماء، وأمعن النظر فيها خرج عن

---

(1) سورة الذاريات: الآية:**56**

(2) ألف الإمام الغزالي عشرات الكتب في الأصول والفقه ومسائل الخلاف وفي الزهد والتصوف، وفي الرد على الباطنية والرد على الفلاسفة والمتكلمين. وقد ذكر تاج الدين السبكي المتوفى سنة 771هـ ـ سنة 1376م أن مؤلفات الغزالي ثمانية وخمسون مؤلفًا. طبقات الشافعية الكبرى ج6 ص 227.

رتبة التقليد، ولم ترد عله شبهة أبدا. والناظرون في هذا الصنع المحكم والترتيب المتقن، على ضربين؛ منهم من قصر نظره على ما يشاهد بعين رأسه ولم يتعد نظره إلى الحكم والأسرار المودعة في طيِّه، من أسرار تركيبات العالم وحكم جمّة إلى ما لا يتناهى مما يصلح ذكره لعلماء الدنيا القاصرة أبصارهم على ما يشاهدون من أجسام العالم. هم المرادون بقوله تعالى: {يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُون}،(1) هذا تنبيه على أنهم لم يدركوا من ترتيب الصنعة وآثار القدرة إلا ما يقع عليه مساحة الوجه، وقصرت أفهامهم عن إدراك الحكم الربانية، والأسرار الإلهية المودعة في طيها، فما من صورة إلا ولها معنى تقوم به في طيها من غرائب الحكم، وجواهر الأسرار المحجوبة تحت رداء الغيرة لعزتها، ولكيلا ينالها غير أهلها فأهلها: هم العلماء الراسخون في العلم، والحكماء الربانيون أهل الفهم. قال الله تعالى:{وما يعقلها إلا العالمون}،(2) مراده العلماء بالله؛ وهم الذين عقلوا عن الله أمره، لا تحصى مقدوراته ولا تتناهى معلوماته. قال الله تعالى:{وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ}(3).. فهذه معرفة أهل الظاهر.

وهذه حدود علومهم وقد مضى حكمها. لأنها مقصورة على علم النظر والخبر. ولم يعثروا على ما ورائها من الأسرار الإلهية التي تتحير فيها الأفكار.

والضرب الثاني: هم الذين ترقوا بعلومهم من حدود عالم الصور، إلى ما ورائها من الأسرار المعنوية المخبوئة تحت رداء الغيرة.

وأمّا معرفة صدق الرسول ﷺ. يدرك أيضًا بدليين واضحين؛ كتاب الله تعالى، وثواقب العقول.

أما الفقيه مُحَمَّد بن الحسن بن عبدالله الحسني الواسطي المتوفى سنة 776هـ ـ 1376م فقد أحصى ثمانية وتسعين مؤلفًا للغزالي. مؤلفات الغزالي ص 471.

(1)سورة الروم: الآية7

(2) العنكبوت: الآية 43.

(3) سورة البقرة: الآية 255.

أمّا أدلة القرآن مثل قوله تعالى: {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُل}[1] الآية. وقوله تعالى: {مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ}[2] الآية. وقوله [تعالى]: {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَه..}[3]. فهذه أدلة القرآن نطق بها الكتاب العزيز.

وأمّا من طريق العقل:

النظر في معجزاته مثل: انشقاق القمر وإنطاق العجماء، وإنباع الماء من بين أصابعه ﷺ. وغير ذلك من الآيات التي هي خرق للعادات، مع ما أدرك بحاسة البصر، من قرائن أحواله التي هي دلالة على صدقه فيما جاء به من أنباء الغيب ﷺ افضل الصلوات والتسليم.

فإن قلت: ما الفرق بين المعجزة والسحر؟.

الجواب والله أعلم:

إن المعجزة هي: أفعال الله تعالى التي يجريها بواسطة الرسل. دلالة على صدق دعوتهم، وتصديقًا لما جاءوا به من أنباء الغيب. لا يقدر الساحر أن يأتي بمثلها، ولا يقوم السحر في مقابلتها؛ مثل انشقاق القمر، وإنطاق العجماء، وقلب العصا لموسى عليه السلام حية، وغير ذلك من الآيات التي هي خرق للعادات، تعلوا على كل شيء يقوم في مقابلتها وتبطله يراد بها التأييد للرسل وصلاح الخلق، والسحر يفارق ذلك ولا يشاكله، لأنه من حركات السحرة التي يرتقب بها طوالع مخصوصة، يوافق طلوعها تلك الحركات مع استعانتهم بالشياطين، ويتلفظون عند ذلك بألفاظ من الكفر، وقد أجرى الله تعالى العادة بواسطة تلك الحركات، تخيل عصيهم وحبالهم أنها تسعى، ويتوصلون به إلى تفريق بين الزوجين، وفي ذلك من الإفساد؛ مع اعتقادهم تأثير تلك الطوالع والشياطين بتلك الحركات، يريدون بذلك

(**1**)سورة آل عمران: الآية **144**.

(**2**) ورة الأحزاب الآية **40**

(**3**) سورة الفتح، الآية **29**

إفساد الخلق؛ كما في المعجزة، من إرادة تصديق الرسل، وصلاح الخلق، كفى بهذا معرفة للفرق بين المعجزة والسحر على وجه الاختصار.

السؤال الثاني:

إن قال قائل ما الذي يزداد به العارفون بالله معرفة؛ بعد مجاوزة هذه الرتبة الأولى، من نتائج المعرفة بالله من طريق معرفة القلب والمواهب الربانية، التي ينفرد بها العارفون بالله تعالى؟.

الجواب والله أعلم:

إن هذه المعارف التي ترد على القلب؛ لها أوائل وأواخر لا ترد على القلب، ولا تستطيع أنوارها على البديهة إلا بتلك المقدمات. أولها الاستمطار من الجود الإلهي، والعطف الرباني، مع صحة الطلب، وصدق الإرادة المجردة عن إرادة الأغيار، والتردد في الآثار حتى ينزعج القلب للسفر إلى حضرة الربوبية؛ بحيث لا تعوقه العوائق، ولا تقيده العلائق. عند ذلك يطيب سفره، ويخف عليه حمل وعثاء السفر ومشاقه، ويستقبل ذلك بصبر جميل على ما يستقبله من المكاره جملتها، بطيب نفس من غير تكلف ولا ملالة.

أول شيء يستقبله في هذا السفر فرض الإنابة.

والإنابة؛ هي الأوبة من محال البعد إلى أوطان القرب، بتوبة صادقة من جميع المعاصي التي تتعلق بالأعضاء السبعة وهي؛ (العينين، والأذنين)[1] واللسان، واليد، والرجل، والبطن، والفرج.

فالذي يتعلق باللسان من النهي؛ ترك الغيبة وإن كان صدقًا، لأنها من الكبائر التي لا تمحوها التوبة والسبّ والتعنيف والملاحاة والمراء والجدال في الدين، وشهادة الزور، والخوض فيما لا يعني وغير ذلك من المناهي. فإذا تنزه اللسان عن المناهي كلها تحلى بالأوامر. منها المداومة على الذكر مع حضور القلب؛ في حال الذكر، وتلاوة القرآن بالتدبر،

---

(1) في (ت) العين والأذن.

والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ولين الكلام، وإفشاء السلام، وإرشاد الضال، وغير ذلك مما لا يحصى كِثَرُة.

ومما يتعلق بالسمع من المناهي: أن لا يصغي به إلى الغيبة، والنميمة، والفحش، وسماع الأغاني؛ التي فيها وصف النساء، من الأجانب ممن لا يملك عصمة نكاحها، أو لا تكون له مملوكة. فذكر الأجنبية بعينها يوجب الفسق، ويسقط العدالة؛ فإن لم تكن معينة؛ فذكر النساء بوصف الخد والقد، وغير ذلك ممن لا يملك نفسه عند سماعه؛ فإنه يورث ثوران الشهوة. فالإكثار منه يسقط المروءة. فإذا سقطت المروءة؛ سقطت العدالة. فإذا تنزه السمع عن جميع المناهي؛ استعمله بالإصغاء إلى ما أُمر به من المواعظ الحسنة؛ مما يذّكر بالله والدار الآخرة، وجميع ما وردت به الأخبار والآثار، من أحكام الآخرة وما أشبه ذلك.

وأمّا البصر: فيصرفه بالغض عن جميع المناهي؛ منها النظر إلى امرأة حسنة، أو إلى شاب مستحسن ينظره بعين الشهوة، أو إلى فرج حرام، أو إلى باطن فرج امرأته. ولا ينظر بهما إلى مسلم بعين الاحتقار من عاص أو مطيع، عبدًا كان أو حرًا، وغير ذلك من المناهي.

فإذا تنزه البصر عن جميع المناهي؛ استعمله إلى النظر إلى المكونات بعين الفكر، والنظر إلى المصحف، والكعبة، ووجوه الوالدين بعين البر والشفقة، والنظر إلى العلماء بالله من الصالحين من أولياء الله، وما أشبه ذلك من الأوامر.

ومما يتعلق باليدين من المناهي:

أن لا يؤذي بهما أحد من خلق الله تعالى ولو دابة، ولا يتناول بهما مالًا حرامًا أو شبهة. يتورع عن دقيق ذلك وجليله، وغير ذلك من المناهي، وكذلك البطن أن لا يدخله طعامًا حرامًا أو شبهة. ويلازم الورع في جميع ذلك، ولا يترخص، ولا يحتج بالتأويلات الفاسدة، من

استحلال مال الغير بدقائق الحيل المستخرجة من علم الرأي والقياس. قال ﷺ: ((من علم بما يدخل جوفه كتبه الله صديقا)).

وقال عليه السلام:((من لم يبال من أين أكل لم يبال الله من أي أبواب النار أدخله))[1] وكذلك الفرج؛ أن لا يحركه إلا إلى ما أحل الله له من امرأة منكوحة بنكاح صحيح شرعي مجرد عن ما يفسد النكاح، من فسق الولي على المنصوص، ويكون حريصًا على الخروج من شبهة اختلاف العلماء في ذلك، ويأخذ بالأحوط من الوجهين أو القولين في جميع أحواله، ويحترز في أمر الشاهدين بأن لا يكونا فاسقين، أو أحدهما. فأن الشاهدين لا رخصة فيهما ولا الاختلاف بين العلماء، فإن ظهر فسقهما، أو فسق أحدهما؛ يوجب فساد العقد.

ومما يتعلق بالرجلين من المناهي:

أن لا يسعى بهما إلى مجلس تهتك فيه حرمة مسلم في أخذ ماله أو روحه أو عِرّضِه، أو يدخل بيتًا مزخرفًا بالصور، أو دارًا مغصوبة، أو منزلًا من منازل الظلمة، أو يمشي بالنميمة بين اثنين، بل يسعى بهما إلى صلاة الجمعة والجماعة، أو إلى مجلس فيه ذكر الله تعالى وذكر الآخرة، ويتدارس فيه مناقب الصالحين، أو يسعى بهما إلى قضاء حوائج المسلمين، وإدخال السرور عليهم. فإذا أدبت هذه الأعضاء السبعة بأدب الشرع، ونزهتها عن المناهي كلها حتى لا يتعدى أمرًا واحدًا مما حدّ لك الشارع، وجريت مع الشرع حيث جرى؛ نظرت في أمر القلب لأنه أصعبها وأشدها علاجًا؛ لأنه مأوى كل شر أذا اعوج مثلما هو مأوى كل خير إذا استقام، ويتوجه عليك علاجه إذ صلاح الجوارح لا يغني عن صلاح القلب وإنما يستعان بإصلاح الجوارح على صلاح القلب؛ لأن صلاح الجوارح مقيد بصلاح القلب؛ إذا صلح.. صلح الجسد، وإذا فسد، فسد الجسد. هذا سر قوله عليه الصلاة والسلام: ((إن في جسد بن آدم مضغة إذا صلحت صلح له سائر الجسد، وإذا

([1]) سبق تخريجه

فسدت فسد بها سائر الجسد ألا وهي القلب))[1] فانظر إلى قلبك؛ تجد فيه من الخبائث ما لا يمكن ضبطه. منها الكبر، والعجب، والرياء، والحسد، والنفاق، وشدة الغضب، وسوء الظن، والمكر، والخديعة، وقلة الرحمة، والحرص، والأمل، وحب الثناء، وفرار القلب من الذم، والفرح عند إقبال الدنيا، والجزع إذا أصيب في شيء منها وغير ذلك من الأخلاق الدنية. ومنبع هذه الأخلاق جملتها: حب الدنيا. قال صلى الله عليه وسلم: ((حب الدنيا رأس كل خطيئة)).[2] ومفهومٌ من فحوى هذا الكلام؛ أن الزهد فيها رأس كل طاعة. فإذا فرغت من تزكية الأعضاء جملتها ووزنتها بميزان الشرع حتى لا تتعدى أمرًا واحدًا مما حدَّ لك الشارع واستقمت على الأوامر، وفرغت من علاج القلب أيضًا، وتنزهت عن كل خلق دني مما تقدم ذكره؛ ترقى إلى الأخلاق السَنية. فيستقبلك عند ذلك فرض التوبة عن جميع المناهي؛ في الظاهر والباطن.. هذه توبة عموم الخلق.

وتوبة الخصوص: من النظر إلى الطاعات برؤية المستعمل وذكر المنّة.

وتوبة خاص الخاص: من الالتفات إلى ما يستقبله في هذا السفر من أنواع الكرامات، حتى لا يعوقه التنزه في ذلك العالم؛ كلما انتهى إلى موقف طلب ما هو أعلى منه.. فإذا تناهى به السير إلى الغاية القصوى تاب إلى الله تعالى من الالتفات إلى الأكوان.

وهذا هو معنى الذهاب.

وإنما لهذا السفر آداب تختص به؛ من ملازمة الأمر واجتناب النهي، والعمل بالسنة. إذ هذه الثلاث أسباب: الأعمال الصالحات، قال الله تعالى: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ

---

(1)حدثنا يونس قال حدثنا أبو داود قال حدثنا شعبة عن مجالد عن الشعبي عن النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله ﷺ يقول إن في بن آدم مضغة إذا صلحت صلح سائر جسده وإذا فسدت فسد سائر جسده ألا وهي القلب

مسند الطيالسي: ج1/ص106 ح788. موسوعة اطراف الحديث 76568/1.

(2) سبق تخريجه.

فَانْتَهُوا}[1]، وقال تعالى: {مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّه}[2] ومن الآداب: ملازمة الصدق في الطلب مع الإخلاص في الأقوال والأفعال والنية ورؤية المنة.

ومن الآداب: قطع المطامع في سعيه من جميع الحظوظ الدنيوية والأخروية والإياس من الخلق، وطمس آثار الهوى، ومحو ما سطرته يد العادة والتحصن بالعفاف والرضا بالكفاف، وهو قوت يوم واحد، وقصر الأمل واستشعار سرعة الأجل، والتوكل على الله، والتفويض إلى الله، والتسليم لأمر الله والرضا بقضاء الله،[3] والصبر على ما يستقبله من المشاق، وترك الاعتراض على أقضية الربوبية؛ بما ساء وسرّ، ونفع وضر.

قال الله تعالى: {الم، أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ }[4]. فالبلاء محك الصادقين من أهل الطلب، حتى لو انهم قرضوا بالمقاريض، ما ردهم عن طلبهم، فهم لا تعوقهم العوائق ولا تقيدهم العلائق، إذ رأس هذه الآداب كلها: ملازمة تقوى الله تعالى، في جميع الحالات، والورع الشافي في الأقوال والأفعال والنية، وترك التعلل بالتأويلات الفاسدة لاستحلال الأموال بدقائق الحيل، وطِيّب الغذاء، وملازمة الكد، من غير ملالة ولا فترة عن طلب الفضائل العلمية والعملية، مستغرقًا أوقاته بالتفكر في هذا الصنع المحكم والترتيب المتقن، وملازمة ذكر الله تعالى في جميع الحالات، ويكون ذكره مجردًا عن ذكر الأكوان. وهذا الذكر له أول وآخرًا،وله ذكر اللسان على سبيل المداومة، إلا عند الغائط، وفي حال الجنابة فيكون ذكرًا بقلبه من غير تحريك اللسان، حتى يكون ذكره يجري به لسانه، وإن كان غافلًا حتى لا يفتر عنه بحال.

---

(1)سورة الحشر: الآية 7

(2) سورة النساء: الآية 80

(3) القضاء: علم الله عز وجل بحصول الأشياء.

(4) سورة العنكبوت: الآية 2/1.

فإذا بلغ حاله إلى ذلك ساعده القلب فصار يذكر بقلبه ولسانه فيكون القلب حاضرًا عند ذكر اللسان مستغرقًا أوقاته على ذلك، حتى يستولي الذكر على القلب. عند ذلك يسمع جميع آحاد الذرات من جميع الموجودات، في أقطار الأرض والسماوات، تنطق بذلك الذكر الذي بصدده على سبيل المداومة.

فأن دام على ذلك اتضح له أسرار تدبيرات العالم وما فيه من لطائف الحكم، وحسن التدبير، وعجائب الفطرة، وغرائب الصنعة، وما فيه من الأسرار الربانية المودعة في طيه، فلا يعوقك النظر إلى حسن تركيبه عن طلب ما هو أعلى منه فتحجب، فلا يزال ملازمًا للذكر حتى يتضح له عالم الجبروت(1) من الجن والشياطين، ولا يزال ملازمًا للذكر حتى يغلب ذكرك على القلب، فيستولي عليه حتى يصير ذلك عادة راسخة مع الاستعداد لقبول أنوار المعارف. حينئذٍ يعرج به الملكوت الأعلى، ويطالع الوجود الحقيقي من ذلك العالم، فتنطبع فيه أسرار الملكوت، ويتجلى فيه قدس اللاهوت.

فأول ما يتمثل له من ذلك العالم جواهر الملائكة، وأرواح الأنبياء، ونجباء الأولياء، من أهل العلم بالله تعالى ممن كان له ورث نبوي. فهذا أول شيء ينكشف من عالم الملكوت في حال بداية المسافرين إلى حضرة الربوبية. فإن تزايد نوره في صفاء تلك المراءة المقابلة لواردات الأنوار القدسية مع ركود الإحساس، وداوَمَ على ذلك حتى تعلوا درجته؛ تجَّلى له صريح الحق كفاحًا في كل شيء. أما ترى النائم إذا ركدت أحسّاسُه ينكشف له ذلك العالم على قدر استعداده

---

(1) الجبروت هو القهر والغلبة والعظمة . ويرى بعض أئمة الصوفية أن هناك ثلاث عوالم، عالم الملكوت، وهو العالم اللطيف الذي تحيا فيه النفوس اللطيفة من الملائكة، ثم العالم الأرضي، أو العالم السفلي، وهو عالم الدنيا والإنسان، وهو أقل العوالم ارتقاء، ثم هناك عالم وسط بين العالمين، يسمى أحيانا بالعالم البرزخي، كما يسمى أيضًا بالجبروت، وهو فوق عالم الأجساد وتحت عالم الملكوت. الشرقاوي، د . حسن، معجم ألفاظ الصوفية. ص 104.

وصفائه. فهذه الأحوال غير مستحيلة على من سلك هذا الطريق، بعد تقديم هذه المقدمات من الآداب التي ينبغي التزامها في كل موقف.

أوله التزكية[1] عن جميع أوصافه البشرية، والتباعد عن كل خلق دنيء، ورياضة النفس بقليل اللقمة والرقدة والكلمة، واختيار العزلة عن البرية، وترك الاهتمام بالرزق، والحزن الدائم مع الانكسار، والحياء تحت الهيبة، وغض الطرف عن تلمح الكائنات، وأن لا يأمن مكر الله طرفة عين، في جميع ما يستقبله من الآيات والكرامات.

فلا يزال يترقى من حال إلى حال، ومن مقام إلى مقام، حتى ينتهي إلى الغاية القصوى، التي ينتهي إليها أرواح المسافرين إلى الحضرة الربوبية.

فهذه جملة آداب ومقدمات تستمطر بواسطتها أنوار المعارف، بعد صفاء المرايا القابلة لأنوار الأسرار الربانية، وواردات الألطاف القدسية، وعلى قدر الصفاء الحاصل يزداد العارفون بالله تعالى معرفةً، على قدر تفاوتهم في المعارف، وتفاوت أحوالهم في المشاهدة والمكانة مع الله تعالى في الدنيا، وفي الرؤيا في الآخرة والله أعلم.

السؤال الثالث:

إن قال قائل: ما الذي يزداد به العارفون بالله في الآخرة بالنظر إلى وجه الله تعالى، مع أنه لا يحدّه الواصفون، ولا يكفيه الناظرون، فإن هذه العلوم يُحّتاج إليها لتأكد حقائق الإيمان من إثبات ذات الله وصفاته.

---

(1)الطريق إلى تزكية النفس اعتياد الأفعال الصادرة من النفوس الزاكية الكاملة حتى إذا ذلك معتادًا بالتكرّر مع تقارب الزمان حدث منها هيئة للنفس راسخة تقتضي تلك الأفعال وتتقاضاها بحيث يصير ذلك بالعادة كالطبع فيخف عليه ما كان يستثقله من الخير. فمن أراد مثلا أن يحصل لنفسه خلق الجود فطريقه أن يتكلّف تعاطي فعل الجود، وهو بذل المال، ولا يزال يواظب عليه حتى يتيسر عليه فيصير بنفسه جوادًا . وكذا من أراد أن يحصل لنفسه خلق التواضع وغلب عليه التكبّر فطريقه في المجاهدة أن يواظب على أفعال المتواضعين مواظبة دائمة على التكرّر مع تقارب الأوقات. الغزالي، أبو حامد: ميزان العمل ص 3,55.

قال السائل:

إن حصل في خاطري أن بالنظر إلى ذات الله في الآخرة ينكشف الغطاء عن تحقيق إثبات ذاته وصفاته كفاحًا، كما عُرِفَ في الدنيا أثبات ذاته وصفاته اعتقادًا، فينكشف الغطاء موافقًا لما سبق، غير محدود، ولا مكيف، وذلك لتكامل تهذيب المحل القابل للرؤية في الآخرة فتحصل الزيادة التامة؟.

الجواب والله أعلم:

إن النظر إلى الله تعالى في الآخرة؛ على قدر تهذيب المحل القابل، واتساعه بمحاكات ما يتجلى له في الدنيا، وحسن الانقطاع إليه قال الله تعالى: {واذكرِ اسم ربِّك وتَبَتَّل إليه تبتيلًا}.[1]

معنى التبتل هاهنا: هو عين الانقطاع إلى الله تعالى عن كل شيء سواه.

أول ذلك انقطاعك عن نفسك؛ إذ هي أكثف حجاب بينك وبين مولاك وعن أبناء جنسك. لا تسكن إلى معلوم لأن ذلك نتيجة عدم الثقة بربك، متبريًا من الأسباب، ومنقطعًا من الأحباب بهجر هواك، وتتنعم بلذيذ ذكر مولاك، تؤثر على ما سواه، شعارك التذكر[2]، وحرفتك التفكر بقلب سليم من الالتفات إلى الأغيار، مداومًا للاستغفار، متحليًا بالذل والافتقار، خائفًا من القطيعة والبوار، رقيق القلب، غزير الدمعة، ناسيًا لسعيك وجهدك، ذاكرًا لذنوبك لا تأمن من مكره في جميع حالاتك، ولا تيأس من عطفه عليك عند ظلمك لنفسك بقلب خاشع وبطن جائع.

---

(1)سورة المزمل: آية 8

(2)التذكر هو في البدايات الاتّعاظ بالمواعظ واستبصار العبر، وفي الأبواب استحضار ما فاته من الطاعات في الدنيا واستقراب ما وهو آت من أحوال العقبى، وفي المعاملات استذكار مبادئ خلقته ليستقر نفسه النقشبندي، أحمد الكشمخانوي. 1311هـ: جامع الأصول في الأولياء وأنواعهم وكلمات الصوفية ص 7,257.

إذ لا يدخل ملكوت السماوات من ملأ بطنه معرضًا عن الشهوات كلها، ومحوت عن كرسيك جميع الكدورات، وغبت بالكلية عن حدود عالم الصور المجازية، اطلعت عند ذلك على أسرار العالم بأسره مرقومة بيد القدرة الأزلية، في صفحات وجودك، تنطق بلسان طلق تسمعه أنت نطقًا رائقًا بغرائب أنواع التسبيح على مر الدهور، تشهد بوجود صانعها، ووحدانية خالقها، لا يسمعها إلا من كان له سمع مُنَزه عن جميع المناهي التي تتعلق بالسمع، وكذلك البصر إذا تنزه عن المناهي التي تتعلق بالبصر؛اطلع على أسرار تدبيرات العالم وكذلك سائر الأعضاء السبعة، كل عضو منها له كرامة يختص بها دون غيره من الأعضاء، وكذلك القلب إذا تنزه عن جميع المناهي التي تتعلق به مما تقدم ذكره، وتحلى بأضدادها، انطبعت فيه الأكوان حتى يصير العالم الكبير بأسره منطويًا في ذاتك، إذ أنت نسخة منه. كم في وجودك من غرائب جواهر الأسرار الربانية، ولطائف الأمور القدسية، محجوبة عنك لعزّتها، ولكيلا ينالها غير أهلها. من أعظم العبر أن عينك مفتوحة وأنت في إعداد العميان. إن كان لك هِمَّة صادقة في الترقي ورغبة مزعجة في التلقي، وكنت أهلًا لاستخراج تلك الأسرار المعنوية من مراكز أعماق بحار العلوم الغيبية.. سافرت عن نفسك وعن جميع الأكوان، ملازمًا للآداب التي هي شرط على كل مسافر إلى الحضرة الربوبية استصحابها، إذ لكل موقف أدب يختص به حتى تقف على تلك الأسرار اللطيفة الغيبية في ذاتك، فإذا لاحت لك أعلامها، وما فيها جائب الفطرة، وغرائب العلوم، ودقائق الأسرار، وحسن التدبير، فلا يعوقك النظر إليها عن السفر إلى تلك الحضرة، لأنها وضعت لتجديد أشواق المسافرين إلى الله تعالى لا لذاتها؛ بل لزيادة المعرفة بواسطها، ومن إلهاه النظر إليها بعين العجب فهو محجوب عن السفر إلى ما هو أعلى منها، فيتلافى أمره بالتزكية وصقالة تلك المرآة من الكدورات التي حدثت فيها، من الالتفات إلى شيء من الأكوان، إذ كل شيء يُلتفت إليه القلب في

ذلك السفر؛ مما يلوح من عجائب أسرار الملك والملكوت يحدث فيه كدورة تعمل في جلائها، حتى لا تبقى كدورة، مع ملازمة الذكر المجرد عن ذكر الأكوان، وبه تستمطر الأنوار الإلهية، ومعاملة الأفكار التي تزداد بها المعارف، فلا تزال ملازمًا للفكر حتى تغيب عن نفسك، وعن ذكرك، وتكون مستغرقًا بالمذكور حتى لا تشعر بشيء من الأكوان.

حينئذٍ يتجلى في تلك المرآة المجلية الصافية عن الكدورات كلها أعلام الأزلية، ومعاني السرمدية على قدر استقامة تلك المرآة عن الاعوجاج، لشروق الأنوار المحاكية لتلك المرآة من غير حلول في المرآءة، ولا انتقال من شيء إلى شيء، وإنما هو يتجلى في بعض المرايا أصح وأظهر، وفي بعضها أخفى وأميل إلى الاعوجاج، وهذا الكلام عائد إلى المرآة لا إلى المرئي؛ وذلك على قدر صقالة المرآة وصفائها وصحة استدارتها، وانبساط وجهها. ولذلك قال عليه الصلاة والسلام:((إن الله يتجلى للخلق عامة، ويتجلى لأبي بكر خاصة))،[1] وذلك على قدر صفاء المحل القابل عن جميع الكدورات واتساعه لواردات تلك الأنوار الباهرة. وإنما هذا بعد تقديم آداب السلوك. إذ لكل موقف ينتهي إليه أدب[2] يختص بذلك الموقف، وعلى قدر صفاء المحل القابل لشروق أنوار المعارف واتساعه يتفاوتون في المشاهدة في الدنيا، وعلى قدر مشاهدتهم تتسع معارفهم، وعلى قدر اتساع المعرفة تعظم اللذة، حتى لو أن أحدهم احتوى على الملك بأسره من عالم الدنيا والملكوت من عالم الآخرة لرأى جميع ذلك في جنب معرفة الله تعالى كاللعب بالعصفور.

---

(1) إشارة للحديث: يا أبا بكر أعطاك الله الرضوان الأكبر قال وما رضوانه الأكبر قال إن الله يتجلى للخلق عامة ولك خاصة". (ابن مردويه عن أنس. الحاكم وتعقب عن جابر) أخرجه الحاكم (83/3، رقم 4463). وأخرجه أيضًا: أبو نعيم فى الحلية (11/5). جامع الاحاديث 31/23

(2) هذا الجنس من الأدب يخص أهل الدين فبآدابهم تكون ((رياضة النفوس، وتأديب الجوارح، وطهارة الأسرار، وحفظ الحدود، وترك الشهوات، واجتناب الشبهات، وتجريد الطاعات، والمسارعة إلى الخيرات)) وهو على خلاف آداب أهل الدنيا أهل الدنيا الذين يقضون أوقاتهم في صنوف الفصاحة والبلاغة وحفظ العلوم وأسمار الملوك: أبو نصر الطوسي اللمع ص195

منهم من تكون هذه الحالة في حقه كالبرق الخاطف، ومنهم من يزور تلك الحضرة في اليوم مرة، وفي الأسبوع مرة، وفي الشهر مرة، وفي السنة مرة، وفي الدهر مرة، وذلك على قدر الاستعداد وتطهير المحل القابل وصفائه من ركود الإحساس، وبطلانها بالكلية، لاستيلاء سلطان الحقيقة التي هي نتيجة صفاء الذكر المنزه عن ممازجة ذكر الأكوان، والاستغراق بالمذكور، مع صدق التوجه إلى الحضرة المقدسة، معرضًا عن سائر الجهات، مداومًا على ذلك حتى يختطف عن نفسه بالكلية، وعن الأكوان حتى لا يشعر بشيء، فإن دام على ذلك؛ دام له الشهود، ولا يغيب عن تلك الحضرة ساعة.

ولكن لا تحصل هذه الحالة في الآخرة. كيف يحصل في الدنيا مع زحمة هذا العالم، وقوة التفات القلب إلى المتخيلات، وما يتعلق في القلب من الكدورات بالالتفات إليها.. وإنما يحصل تارة بعد تارة.

فما دام القلب مستغرقًا بالذكر عن نفسه وعن الأكوان؛ فلا يغيب عن تلك الحضرة.

فإذا رجع إلى عالم الحس والمحسوس: غاب عن تلك الحضرة إلى المحسوسات، وهو عين الحجاب. وإنما رجوعه إلى هذا العالم الكدر؛ من جميل رحمة الله تعالى بخلقه حتى ينتفع بالنظر إليه، واستهداء الدعاء منه.. فهذه الحالة تسمى مشاهدة لا رؤية؛ لأنها من وراء ستر رقيق، وإنما هي بدور الرؤية في الآخرة.

ولذلك قال قائلهم: لو كشف الغطاء ما أزدت يقينًا.. بل وضوحًا بانقطاع تلك العلائق التي كانت تصد عن دوام الشهود،[1]

---

(1) . الشهود هو شهود القلب لحقائق التوحيد أو رؤية الله بحقائق الإيمان كما ذكر الجنيد. وقد نادى الغزالي أيضًا . بوحدة الشهود وأصحاب التصوف السُني المعتدل يتحدثون دائمًا عن وحدة الشهود، ولا يتحدثون عن وحدة الوجود، والفناء في التوحيد مقصود منه وحدة الشهود وليس وحدة الوجود.د. جلال شرف: دراسات في التصوف الإسلامي ص 318 . 319.

والشهود هنا: هو حالة شعورية تعبر عن حال الصوفي حال الفناء.. إن صح وصفها فهي تجربة باطنية ذوقانية يقصد إليها الصوفي شعورًا وذوقًا بالفناء في التوحيد. د.مجدي مُحَّد إبراهيم، التصوف السني حال الفناء بين الجنيد والغزالي: ص423

واستكمال اللذة بالنظر إلى الحضرة المقدسة. فإذا ارتفعت تلك العلائق الشاغلة، وارتفع ذلك الستر الرقيق بالموت؛ تضاعفت اللذة بالنظر في ذات الله تعالى كفاحًا من غير حجاب.

فالنظر إلى الله تعالى في الآخرة؛ على قدر هذه المحل القابل في الدنيا واعتداله، وحسن استدارته واتساعه؛ لأنه يتجلى في الآخرة أيضًا في بعض المرايا أصح وأظهر وأقوم، وفي بعضها أخفى وأميل إلى الاعوجاج عن الاستقامة. فهذه الأحوال راجعة إلى المراءة لا إلى المرئي. تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

وعلى قدر ذلك يتسع النظر، وعلى قدر اتساع النظر تعظم اللذة، فيحصل التفات في ذلك، وعلى قدر تفاوتهم في ذلك تتفاوت أحوالهم مع الله تعالى، والنظر إلى ذاته في الآخرة، ومن كان له ذوق من هذا المشرب وحظ وافر من ذلك؛ يحتقر في جنبه عامة نعيم الجنان، وما أعد لأوليائه من دوام الملك، والتمتع مع الحور الحسان.

ولقد عجبت من قولك هذا السؤال الثالث؟ بالنظر إلى الله تعالى في الآخرة ينكشف الغطاء عن تحقيق إثبات ذاته وصفاته كفاحًا؛ كما عرف إثبات ذاته وصفاته في الدنيا اعتقادًا. فينكشف الغطاء موافقًا لما سبق غير محدود ولا مكيف، وذلك لتهذيب المحل القابل للرؤية في الآخرة، فتحصل الزيادة التامة.

أفتهذيب المحل القابل في الدنيا لم يفدا [يفيدا] إلا صحة الاعتقاد، أم هو أمر وراء ذلك؛ إن كان مرادك أن هذه المرآة الصافية في قوة جلائها لا تفيد إلا صحة الاعتقاد في الدنيا ولا تقبل شيئًا مما يتجلى لها عند المقابلة.

إن قلت أنها تقبل فهو المراد، وإن قلتم لا تقبل.. فالمراد بتهذيبها وصقالتها من الكدورات. إذا كانت لا تقبل شيئًا يكون في مقابلتها إلا في الآخرة؛ فهذا كلام يبعد عما أُدرك بحاسة البصر وأدركه العقل.

وعُرف بالتجارب إن المرايا تقبل كل شيء يكون في مقابلتها من غير انتقال المرئي في المرآة وحلوله فيها فليس حال القلب مع لطافته دون حال المرآة في كثافتها وخشونتها. إنها إذًا صقلت زال ما كان يعلوها من الكدر والصدأ، فإذا صفيت؛ قبلت كل شيء يكون في مقابلتها من المرئيات، والقلب أشرق وألطف إذا صفي عن جميع الكدورات حتى يكون في أكمل صفاء. كيف يستحيل أن ينطبع فيه كل شيء يكون في مقابلته من غير حلول وانتقال من مكان إلى مكان وذلك في الدنيا؟.

قال النبي ﷺ: ((لولا الشهوات لنظرتم ملكوت السماوات)).

ووقع الإجماع أن التجلي [1] في الدنيا لأهل القلوب الصافية من الكدورات: على قدر صفائها واتساعها قبل الموت. وتشهد هذه القلوب الصافية جلاءً لا يدرك بالفهم ولا يدخل تحت الوهم حظهم من ذلك الدهشة والحيرة. وما الفرق بين حالة الموت وحالة الفناء [2] والاستغراق؛

---

(1)التجلي: الظهور، يقال: أجليت الأمر بينته وأظهرته. المفردات ص96

والتجلي: في مصطلح التصوف: ظهور نور الإيمان في قلب المؤمن، من خلال المراقبة ومشاهدة أفعال الربوبية، وهذا المعنى لا يعارض الأصول القرآنية والنبوية، ومن أقوالهم الدالة عليه:

ما روى عن سهل بن عبد الله التستري (ت:293هـ)، أن التجلي على ثلاثة أحوال تجلى الذات: وهى المكاشفة أي كشوف القلب في الدنيا، كقول ابن عمر رضي الله عنه: " كنا نتراءى الله في ذلك المكان"، يعنى في الطواف، وقال: " اعبد الله كأنك تراه "، وتجلى صفات الذات: ومعناه، أن تتجلى له قدرته عليه، فلا يخاف غيره، وكفايته له، فلا يرجو سواه، وتجلى حكم الذات: وهى الآخرة وما فيها، وكشوف العيان في الآخرة، إذ يكون فريق في الجنة وفريق في السعير، وينسب لأبى الحسين النورى (ت:295هـ) كلام نفيس دقيق في مصطلح التجلي حيث قال: (تجلى لخلقه بخلقه، واستتر عن خلقه بخلقه، فبتجليه حسنت المحاسن وجملت، وباستتاره قبحت وسمجت) (3)، وروى عن الجنيد (ت:297هـ) أنه قال: (التجلى قد يكون بطريق الأفعال، وقد يكون بطريق الصفات، وقد يكون بطريق الذات) (4). وقد نقل كتاب المصطلحات القدامى هذا المعنى عن الصوفية، فقال أبو نصر السراج الطوسى (ت:387هـ): (التجلى إشراق أنوار إقبال الحق، على قلوب المقبلين عليه. الطوسي، اللمع ص 16,439)

ويذكر الهجويرى (ت:465هـ) أن التجلى هو ما يسطع من الأنوار الربانية على قلوب المقبلين، التى بها يتمكنون من رؤية الله تعالى بقلوبهم)

(2) الفناء في اللغة: الزوال، والاضمحلال، قال الله تعالى: كل من عليها فان. الرحمن آية 26

الفناء الوارد هنا: من المصطلحات الصوفية. (ومعنى الفناء: أن يفنى العبد عن الأوصاف الخبيثة، ويبقى في أوصافه الحميدة، ويتحلى بالخصال الطيبة لتفنى عنه الخصال السيئة، فيدنو من الله بجلائل الأعمال التي=

أليس الموت زمانه البدن وركود الإحساس!. وبطلانها بالكلية حتى ينكشف له ذلك العالم.

فإذا انتهت حالة السالك من المسافرين إلى الحضرة الربوبية، إلى حالة الموت من ركود الإحساس، وبطلانها بالكلية حتى أنه لا يشعر بشيء من الأكوان مع صفاء المحل القابل لمحاكات ما يتجلى له، فلا يستحيل انطباع المرئي في صفاء تلك المرآة، على قدر استعدادها واتساعها، من غير حلول ولا انتقال، احترازًا عن اعتقاد الحلولية من الحشوية، ومن استبعد حالة الفناء والاستغراق، ولم يسلمها لأهل القلوب الصافية عن جميع الكدورات، فليستبعد أيضًا ما يطرقه من هموم الدنيا حتى يذهل عن نفسه وعن غيره، ويجري الحديث بمحضره؛ فلا

=يقدمها طاعة وقربانًا إليه ثم يفنى عن صفاته الذميمة ولا يزال في هذه المرتبة من الفناء إلى أن يفنى عن آثام المخلوقين. ويقوده الفناء إلى التحلي بالأخلاق القويمة والتخلي عن الرذائل الدنيئة فمن فني عن جهله بقي بعلمه، ومن فني عن شهواته بقي بإنابته، ومن فني برغبته بقي بزهده، ومن فني عن أمله بقي بإرادته، وكذلك القول في جميع تصرفاته. المعجم الصوفي ص 831

يشرح ابن القيم معنى "الفناء" ويراه فناء عن شهود السوي، وليس مرادهم فناء وجود ما سوى الله في الخارج، بل فناؤه عن شهودهم وحسهم فحقيقة غيبة أحدهم عن سوى مشهوده، بل غيبة أيضًا عن شهوده ونفسه، لأنه يغيب بمعبوده عن عبادته، وبمذكره عن ذكره وبموجوده، عن وجوده، وبمحبوبه عن حبه، وبمشهوده عن شهوده". ابن القيم: مدارج السالكين، ج 1 ص181.

ويرى إبن القيم أن هذا النوع من الفناء هو فناء خواص الأولياء وأئمة المقربين، لا تشوبه شائبة النقص ولا ينحدر بصاحبه إلى منحدرات الذلة. وإنما يحتفظ السالك برقابة العقل وحماية العلم فيكون بالله مع الله، وفي الخلق مع الخلق، التفرقة له واجبة والفناء لازم من لوازم المحبة وإسقاط الإرادة، وهو فناء صحيح في العقل والشرع

البقاء فى الاصطلاح الصوفى:

يعنى دوام اتصاف العبد بالأوصاف الحميدة ومجانبته اللائمة لكل ما هو مذموم فى الكتاب والسنة، وهذا المعنى نجده عند إبراهيم بن شيبان (ت:330هـ) حيث روى عن أنه قال: (علم الفناء والبقاء يدور على إخلاص الوحدانية، وصحة العبودية، وما كان غير هذا فهو من المغاليط والزندقة) طبقات الصوفية ص404، ومن الجدير بالذكر أن علم البقاء والفناء، لم يعرف فى مرحلة التصوف الأولى البسيط، وإنما ظهر فى بداية مرحلة التصوف الأولى المركب فحمله المعتدلون من الصوفية على المعنى البسيط، الموافق للأصول القرآنية، كما هى عبارة إبراهيم ابن شيبان، لكنه حمل على معنى بدعى معقد ظهر فى المراحل التالية وانظر نشأة التصوف الإسلامى، للدكتور إبراهيم بسيونى، طبعة دار المعارف بمصر ص228، والتصوف الإسلامى الخالص، محمود أبو الفيض المنوفى، طبعة دار نهضة مصر ص158

صفته..يرتقي عن ذلك بفنائه عن رؤية فنائه. وهذا يسمونه فناء الفناء. القشيري ـ الرسالة القشيرية ص69.68.).

يسمعه ويجتاز الناس عنده؛ فلا يراهم من قوة استغراقه بذلك المهم، حتى يرتفع عنه سلطان العقل ودرك الإحساس.

فإن كان الاستغراق في هموم الدنيا يخرج متعاطيها عن معقوله، وعن ما يدرك بالإحساس.. كيف ينكر حالة الفناء والاستغراق بأمر لا يدرك بالإحساس ويخرج عن حد القياس؟ حظهم من ذلك الدهشة والحيرة، صُمٌ بكم عمي لدينا محضرون، كما قال قائلهم.شعر:[1]

فرد عليه الوجد أفنيت ذكره فلم يبق إلا زفرة ونحيب

ومن أنكر هذه الأحوال لأولياء الله تعالى في الدنيا لزمه إنكارها للأنبياء عليهم السلام، لأن أسرار الولاية، وأسرار النبوة: اقتباسهما من معدن واحد، وإن تفاوتت المقامات؛ فقد أجمع الجمهور من الأمة أن كرامات الأولياء معجزات للأنبياء، ولا مبالاة بقول من يخالف الجمهور ويحتج بأن كرامات الأولياء وجدت بعد مضي زمان الدعوة.. فهذا لا يصح ولا يسمح؛ لأن خدام شريعته والدعاة إلى ملته في كل عصر من الأعصار وزمن من الأزمان لم يخل في كل قطر من الأقطار وعلى رأس كل قرن من القرون من قائم لتجديد شريعته وإحياء ملته.

أما ترى أن هذه الكرامات وقعت مطابقة لخبره وداله على صدقه فيما أخبر من أنباء الغيب قبل وقوعها؛حيث يقول صلى الله عليه وسلم: ((من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم)).[2] وقال[ﷺ] أيضًا: ((إن من العلم كهيئة المكنون أو كاالشيء المدفون لا يعلمه إلا العلماء بالله تعالى وإذا نطقوا به لا ينكره إلا أهل الاغترار بالله تعالى))[3] وقال الله تعالى: {وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمْ اللَّهُ}.[4] فوقوع هذه العلوم الباطنة بوسايط العلوم الظاهرة والعمل بموجبها من الأمر

---

(1) ذكر هذا البيت أبن القيم الجوزية في طريق الهجرتين وباب السعادتين.إلا أنه قال زفرة وتحسر بدلا من زفرة ونحيب

(2)سبق تخريجه.

(3) سبق تخريجه.

(4)(واتقوا الله ويعلمكم الله وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيم). سورةالبقرة: الآية 282.

والنهي وسائر الآداب الشرعية وملازمة تقوى الله في الظاهر والباطن؛ ليس هي من الكرامات في حق الولي ومعجزة في حق النبي لأنها وقعت دالة على صدقه فيما أخبره به من أنباء الغيب قبل وقوعها فصارت معجزة في حق النبي كسائر المعجزات والمقامات، إذًا ثلثه علم عقلي برهاني، وعلم يقيني ذوقي، ومقام إيماني تقليدي يوجب حسن الظن وتسليمه لأهله. قال الله تعالى: {يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ}[1]. فأُلْحِق أهل الإيمان المجرد من ممازجة الشك والإنكار بأهل العلم، ورفَعَهُم إلى درجة العلماء بالله تعالى.

ومن لم يكن له نصيب من هذه العلوم؛ فلا أقل من الإيمان بها وتسليمًا لأهلها تسليمًا لا يمازجه تردد ولا إنكار، كسبيل علماء الوقت ممن بُلي بالإنكار عليهم لإفلاسهم عن مدلول علم الأبرار. فمن بُليَ بالوقوع على أهل هذا العلم ابتلاه الله تعالى بسوء الخاتمة والعياذ بالله، ذكره الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله في كتاب العلم من الأحياء.[2]

وقيل أيضًا: حديثًا مرفوعًا إن من أنكر على أهل هذه العلوم عقوبته أن لا يرزق منها شيئًا أبدًا.

السؤال الرابع:

إن قال قائل: هل ترد على المؤمن وسوسة في الله تعالى تورث ظُلُمَةً في القلب يكرها ويقلق منها؟. وهل تكون هذه الحالة.. حالة قبض فلا يستريح العبد إلا بنور وموهبة من الله تعالى تذهب تلك الظلمة والوسوسة.

---

(1) الآية: يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم وإذا قيل انشزوا فانشزوا يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير. سورة المجادلة: الآية 11.

(2) كتاب ((إحياء علوم الدين)) هو كتاب ألفه الإمام الغزالي في فترة خلوته وفي أيام عبادته وقربه من الله تعالى.إنه ثمرة من ثمار القرب وهو من خير ما يتخذ الإنسان من الذخائر. ويقول عنه الإمام النووي: ((كاد الإحياء يكون قرآنًا)) وذلك أنه يستمد من القرآن. والإمام النووي حجة في السنة حجة في الفقه وكلمته لها وزنها الكبير. مقدمة لطائف المنن للإمام الأكبر الدكتور عبدالحليم محمود شيخ الازهر،ص12

فإن خرج الجواب بأنها ترد على المؤمن.. فهل يخلص منها أحد من المؤمنين فلا يرد عليه شيء منها البتة؟.

وما علاج هذه الوسوسة (حتى)[1] تنكشف عنه ويتخلص منها؟. وما المراد ببلواه في الوقوع فيما يكره[وهل][2]وتسمى هذه الحالة حالة بسط أم لا؟.

الجواب والله أعلم:

إن هذه الوساوس تنقسم إلى قسمين: (محمودة ومذمومة)[3]، فالمذمومة أيضًا تنقسم إلى قسمين:

نفسانية - وشيطانية.

فالنفسانية على ضربين، ضرب منها يسمى هاجس النفس - وضرب يسمى حديث النفس.

وما ورد من الوساوس غالبًا من غير عقد ولا عزم على فعل بمقتضى ما يرد عليه من الوساوس فهو: حديث النفس. وما كان من وساوس رديئة ترد في الله تعالى، وفي صفائه، وفي الرسل، والرسالة، وأحكام الآخرة، من العرض على الله تعالى، والميزان، والصراط، والجنة، والنار، فإذا وردت وساوس يضاد ما يعتقده أهل الحق؛ فاعلم أن ذلك هاجس النفس.

وأمّا الوساوس الشيطانية:

هي الوساوس التي يلقيها العدو من تزيين الأعمال، وترويج الشّر في معرض الخير، أو تسويف الأجل بطول الأمل، وتأخير التوبة، والأمر بالسوء والفحشاء، أو غير ذلك مما يلقيه العدو.

فإذا وجدت خاطرًا ينازعك إلى هذه الأمور وما أشبهها، فاعلم أن ذلك من قبل العدو، فخذ حذرك منه.

---

(1) في (ت) إلى.

(2) ما بين المعقوفتين من وضع المحقق ليستقيم المعنى.

(3) ساقطة من (ت).

القسم الثاني:

هي الخواطر المحمودة: وهي أيضًا تنقسم ثلاثة أقسام:

ربانية[1] وملكية[2]، وشيطانية[3]، لا يعلمها إلا من استضاء بمقباس النور الفرقاني المستفاد من ملازمة تقوى الله تعالى.

ولكل واحد منها علاج مخصوص وسيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

نرجع إلى ذكر الوساوس الرديئة وميراثها من ظلمة القلب، حتى يكرهها ويقلق منها، إن قلت أن هذه الحالة تسمى حالة قبض ولا يستريح من بُلى بها إلا بنور وموهبة تذهب تلك الظُلّمَة؛ فإذا حصلت هذه الحالة.. هل تسمى حالة بسط أم لا؟.

اعلم رحمنا الله وإياك أن حالتي القبض ـ والبسط: [4]

هما حالتان متضادتان لازمتان لقلوب عموم الخلق، متعاقبتان لا ينفك أحدٌ من الخليقة من تعاقبهما أبدًا؛ لعموم الآية.. قال الله تعالى، {وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُط}[5] إنما طريانهما على قدر أحوال الخلق وتباينهم، ومنازلهم عند الله تعالى؛

إذ هم يفترقون على ثلاثة أصناف: الصنف الأول:

هم أهل الدنيا الذين استمال قلوبهم حبها عن الله تعالى، حتى استغرقها عن ذكر الآخرة ونعيمها، ولم يبق فيهم متسع لغيرها من أحكام الآخرة؛ وإليهم الإشارة بقوله عليه الصلاة والسلام: ((حبك

---

(1)يرد على القلب بإرادة الربَّ؛ وهو لايخطئ أبدًا.عروسي 96/2؛بتصرف

(2)لأهل المجاهدات: المصدر السابق

(3)لأهل الغفلات: المصدر السابق

(4) القبض والبسط يعنيى الخوف والرجاء.

والبسط فى الاصطلاح الصوفى، بسط إيمانى، ويعنى الفرح بالتوفيق، والثقة بالوعد فى الآيات، واتساع الرحمة على جميع الكائنات، وهذا بسط البديات عندهم. معجم الكاشانى ص354.

والبسط قد يطلق عندهم على غلبة الرجاء فى القلب، كما ذكر عن الجنيد بن مُحَّد (ت:297هـ) أنه قال: (الخوف من الله يقبضنى، والرجاء منه يبسطنى). الرسالة 212/1.

(5) سورة البقرة، الآية: 245

للشيء يعمي ويصم))،[1] جعلوها عوضًا من الآخرة فصاروا لها عبيدًا بانقيادهم لأهوائهم المتفرقة؛ وهم المرادون بقوله عليه الصلاة والسلام: ((تعس عبد بطنه، تعس عبد فرجه، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الدنيا)). [2] الحديث بطوله.

وهم المرادون بقوله تعالى: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا}،[3] وقال تعالى: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ، أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}،[4] كم من آيات وأخبار وآثار في ذم هذا الصنف؛

ولهم حالتان في القبض والبسط فطرياهما [5] من أحد أمرين: إما من تعذر نيل المطلوب، أو استشعار هجوم مفاجآت المرهوب، فيتولد من ذلك كآبة في القلب يضيق منها ذرعًا تسمى: حالة قبض.

وأمّا طريان حالة البسط في حقهم من أحد أمرين: إمّا من ظَفَرِهِ بأمر كان يحاوله، أو من كفاية أمر كان يحاذرُه.. فيتولد من ذلك نشاط وانتشار في القلب.

الصنف الثاني:

هم الذين ترقوا عن ركاكة رتبة هذه الفرقة وخستها وهم: طلاب الآخرة من الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا على الأوامر، وترك المناهي، وعلموا أن حياة قلوبهم بطاعة الله تعالى، فلم يعرجوا على ما فاتهم من

---

(1) سبق تخريجه.

(2) لم أقف عليه بهذا اللفظ. وعند ابن ماجة في سننه: (64931 – حدثنا يعقوب بن حميد ثنا إسحاق بن سعيد عن صفوان عن عبد الله بن دينار عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ * تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش \4138

ابن ماجه في سننه ج 2/ ص 1386 حديث رقم: 4136

(3) سورة الإسراء، الآية: 18

(4)سورة: هود. الآية: 15، 16

(5) من يطرأ. وفي المعجم الوسيط (طرءا وطروءا حدث وخرج فجأة فهو طارئ)

الدنيا وحظوظها جعلوا طاعة الله عوضًا عن متاعها الفاني، تطرقهم حالة القبض في سيرهم وحال بدايتهم، فيتولد من ذلك كآبة تضيق منها أنفسهم حتى إنهم لا يجدون متسعًا لأنفسهم فضلًا عن غيرهم، منبعها من إحدى أمرين:

إمّا خوف مزعج من الرد، بعد بذل المجهود واستفراغ الطاقة في طاعة مولاهم، وهم المرادون بقوله تعالى: {وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ}[1].

ومن خوف عقوبات القلب التي هي سبب البعد من الله تعالى؛ كالقسوة والفضاضة، ووجود الجفوة، ونزوع الرحمة من القلب، وفقد حلاوة الطاعة، وضيق الصدر من تلاوة القرآن، والنفور عن ذكر الله تعالى، وغير ذلك من عقوبات القلب.

فإن وجد قبضًا لا يعلم من أين ورد؛ فليعلم أن ذلك زاجرًا من الله تعالى، وتنبيهًا له؛ فليتفقد حاله وربما أتى من سوء الأدب في سيره من فتره تطرقه، أو وقفة، أو ميل إلى رخصة في المطعم، والمشرب، أو خوض فيما لا يعني، فهذه وأمثالها تورث القسوة، وتنزع الخشية من القلب، فليحذرها أشد الحذر.

وأما طريان حالة البسط في حالة الابتداء:

فمثارها من أحد أمرين: إمّا من قوة الرجاء الذي هو نتيجة حسن الظن بالله تعالى مع المجهود، لا كسبيل رجاء المغتربين بلامع السراب من زهرة الحياة الدنيا، والعاكفين على مزابل الهوى المتفرقة. إذا زجروا عن ما هم بصدده من سوء الحال، وقبيح الأفعال؛ تعللوا بالرجاء مع ارتكاب الكبائر، والإصرار على الصغائر؛ فذلك رجاء كاذب مصداقه قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيم}.[2] وقال تعالى: {فَمَنْ

(1) سورة المؤمنون. الآية 60

(2) سورة البقرة، الآية: 218

كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا}،[1] فصدق الرجاء؛ يورث حب الطاعة وبغض مخالفة من يرجوه، وإلا فهو رجاء كاذب، وإن ترقوا عن هذه الرتبة، وعلت همتهم حتى تطهروا من نجاسات أوساخ كدورات أوصاف البشرية، والأخلاق الدنية.. ربما يجدون عند ذلك سرورًا وانبساطًا في قلوبهم؛ وذلك لمطالعة قلوبهم لما يلوح لهم في حال الابتداء، إذا بلغوا هذه الرتبة من تقريبات الحق، وملاطفاته لهم في أسرارهم وإن وردت هذه الحالة ولم يعلم من أين وردت، فليأخذ حذره منها بما يكون في طيها خفي المكر، والاستدراج.

مصداقه قوله تعالى: {سنستدرجهم من حيث لا يعلمون}[2]، فنسأل الله تعالى الإقالة.

وأما الفرقة الثالثة:

هم المحبون لله تعالى، والعارفون به من أهل النهايات.

لهم أيضًا حالتان تتعاقبان من القبض والبسط.

أما طريان حالة البسط عندهم:

فذلك عند تجلي معاني أوصاف الربوبية، على بساط الأنس؛ وما ينعمهم به من لذيذ سماع نعيم كلامه تعالى، حتى تغلب عليهم الدهشة [3]والحيرة، فينبسطون عند ذلك بألفاظ تخرجهم عن الأمر المرسوم، والحد المحتوم، عند عموم العلماء من أهل الظاهر لجهلهم بأحوالهم؛ إذ ((من جهل شيئًا عاداه))[4].

وهم يزدادون بذلك قوة الأحوال، وزيادة القرب، ومن أنكر أحوالهم فليتذكر ما أخبر الله تعالى به من مباسطة صفيه موسى عليه

---

(1)سورة الكهف، الآية 110

(2) سورة الأعراف، الآية: 182

(3) الدهشة هي: قوة مسيطرة تملك المحب من هيبتة من حبيبه، الذي هو الله تعالى، وهي موقف خوف ورجاء تتملك العبد فكأنه قد غشي عليه من قوة الذي تملكه، وبعد الدهشة تلقى السكينة فيهنأ ويسعد.معجم ألفاظ الصوفية. الشرقاوي، د. حسن: ص 141.

(4) نص حديث شريف سبق تخريجه

السلام في حالة الأنس، [1] على بساط القرب، وما تواردت به الأخبار والآثار عن سائر الأنبياء، والأولياء من الانبساط؛ في حالة مناجاتهم بما لا يسع ذكره إلا لأهله. وكل ذلك مقبول منهم ومستحسن؛ بل هو كمال في حقهم وزيادة قرب.

وأمّا ما ورد حالة القبض عندهم:

فذلك من مطالعة القلب لأوصاف الجلال.. من العزة وتمام القدرة، والقهر والجبرية، وتصريف الأمور بحكم الاقتدار من غير مبالات، وتنفيذ الأحكام من غير تردد.. إذ له إيلام البريء من غير جرم سابق، ولو أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعًا كان ذلك عدلًا منه، ولم يكن جورًا، فعند ذلك تعتريهم حالة القبض حتى تضييق بهم الأرض بما رحبت.. وذلك من مخاوف شتى منها:

خوف البعد والحجاب والسلو وخوف السلب. وخوف قطع المزيد، وخوف الإعراض، والأمن من مكر الله تعالى، وإلى هذه الإشارة بقول عليه السلام:إن لي وقتًا لا يسعني فيه إلا ربي، وقوله عليه السلام: ((اللهم إني أعوذ بك منك))[2].. هذا المقام من خاض لجة الحقائق وفني بالحق عن الخلائق.

نعود إلى ذكر الوساوس الردية التي يقلق من بلي بها ويكرهها: إن قلت ما المراد ببلواه في الوقوع فيما يكرهه.

اعلم أن البلاء أربعة أنواع: يراد به تعجيل العقوبات فذلك لمن أصر على الصغائر

---

(1) ويتصل بحال الشوق.ومعناه: "الاعتماد على الله والسكون إليه والإستعانة به "

(2) قطعة من حديث ـ((عن أبي بردة عن أبيه قال كان النبي ﷺ إذا صلى يرفع صوته حتى يسمع أصحابه يقول اللهم أصلح لي ديني الذي جعلته لي عصمة ثلاث مرار اللهم أصلح ديناي الذي جعلت فيها معاشي ثلاث مرات اللهم أصلح لي آخرتي التي جعلت إليها مرجعي ثلاث مرار اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك ثلاث مرار اللهم إني أعوذ بعفوك من نقمتك ثلاث مرار اللهم إني أعوذ بك منك ثلاث مرار اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد. الطبراني في معجمه الأوسط ج 7/ ص 141 حديث رقم: 7106. موسوعة التخريج: 25140/1

ولم يتجنب الكبائر، ونوع يراد به تمحيص ما تقدم من الجنايات؛ فذلك للتائبين من أهل البدايات.

ونوع ثالث: يفتن به صدق الطالبين، ويستخرج به صفو الإرادات، حتى أنهم لو قرضوا بالمقاريض ما ردهم عن دينهم ولا ردهم عن طلبهم.

قال الله تعالى: {الم، أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ}[1]. فمعنى الفتنة هاهنا عين التجربة.

ونوع رابع: يراد به علو الرتبة وقرب المنزلة.

فهذا مقام الرسل، وحال أهل التمكين[2] من أهل النهايات.

فاعرف أين منزلتك من هذه المنازل؟. وأين رتبتك من هذه المراتب؟.

فإذا عرفت ذلك، وتحققت؛ تبين لك المراد بما يتوجه إليك من البلايا والمحن.. والله أعلم.

فإن قلت هل يخلص أحد من هذه الوساوس فلا يرِد عليه من ذلك شيءٌ البتة؟.

إن خرج الجواب أنها ترد، فهل يخلص منها أحد بعد ورودها، أم لا؟.

نقول والله أعلم إن كل من تعرض لسلوك هذا الطريق لا يخلص من طريانها عليه، وإن خلص كان على الندور. فإن قلت ما علاج هذه الوساوس الردية (حتى)[3] تنكشف عنه، وتنقطع بالكلية؟.

---

(1) سورة العنكبوت الآية 2:1

(2) (الراجح بعد البحث أن أصحاب التمكين هم أهل الرسوخ في ميادين العرفان،وهم أهل العلم والمعرفة الذين ثبتوا على حالة لا تزعزعها الواردات ولا تغيرها الطوارئ والحركات.. فلا ينزعجون لواردة ولا يتغيرون لبارقة إنما الحركة والانزعاج باب من أبواب الشطح وهو مالا يقبله أهل التمكين من الراسخين ولا يقبله كذلك أهل الصحو والحضور. د.مجدي مُحَمَّد إبراهيم. التصوف السني حال الفناء بين الغزالي والجنيد ص ـ 56

(3) في (ت) التي.

الجواب والله أعلم:

إن كان هذا السالك له شيخ يقتدى به ممن له ذوق كشفي، وبصيرة نافذة، عارف بالعلل وأمزجة أربابها، يعالج كل علة منها بما يوافقها من المراهم المخصوصة للعلل، المتباينة.. قد يكون شخصان فصاعدا علتهما واحدة، ومرهم كل واحد منهما غير مرهم الآخر، وذلك على قدر تباين الأمزجة واختلافها، ويكون هذا الشيخ حريصًا على دينه ودين من يتعلق بصحبته، حتى تكون أفعاله وأقواله موزونة بميزان الشرع، ناصحًا للخلق من غير مداهنة ولا مرائات، وبعيد من الأطماع بالإياس مما في أيدي الناس، مُعرضًا عن طلب جاهِهم ومعونتهم، حتى عُرِفَ ذلك منه بحاسة البصر، أو بقرائن الأحوال، أو بتجربة بليغة، أو سمع ذلك عنه من عدل، فعليه أن يتلمذ له حتى يكون بين يديه كالميت بين يدي الغاسل؛ بحيث أنه لا يعترض عليه في شيء مما يرد عليه من أوامر، وإن كانت أوامره ظاهرها منكر عنده، فلا ينبغي أن ينكرها منه؛ لأنه أعرف بباطنها. فليتذكر عند ذلك قصة موسى والخضر عليهما السلام؛ إذ كان كل واحد منهما على غير علم الآخر، لا ينبغي تفضيل احدهما على الآخر؛ لأن ذلك مستأثر علم الله تعالى، الذي يغيب عن الخلق على الإطلاق، فلم يستطع الكليم أن يرى رأي الخضر لما رأى ظاهر فعله ما هو منكر عنده؛ فلما كشف له حقيقة الأمر، وعرف باطن ما غاب عنه عليه السلام لم يسعه إلا التسليم من غير تردد ولا إنكار، وكان ذلك سبب فراق ما بينهما، هذا مع جلالة قدر صفي الله تعالى ومنزلته عنده، وإذا استسلم المريد لشيخه في جميع ما يرد عليه من أوامره بترك المخالفة أو المراجعة له ولو في أمر واحد؛ مع حسن ظنه، وقوة صدقه في الطلب؛ فإنه يتخلص من ذلك عن قريب إن شاء الله تعالى. وإن تعذر وجود من يقتدى به ممن هو متصف بهذه الأوصاف المقدم ذكرها:

فلا يصلح إلا نفسه لا سيما في هذه الاعصار، ويجاهد نفسه وهواها، ويلزم الجادة مع صرف الرغبة إلى من يجيب المضطر إذا دعاه، بقوة العزيمة حتى تأتيه الألطاف الربانية الآخذة له عن نفسه وبهدايتة إلى سواء السبيل، قال الله تعالى: {وَالذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلنَا}[1] الآية. وإن تقاعدت هِمَّةَ من بُلي بهذه الوساوس وضعفت عزيمته عن رتبة المجاهدين لأنفسهم.. فليقف على هذه النبذة اليسيرة المختصرة، وليدم النظر في أقسام تلك الوساوس، ويعالج كل قسم منها بما يوافقه من المراهم المخصوصة بكل عِلة.

فإن أردت أن يتميز لك خاطر النفس من خاطر الشيطان: فقابل كلما يرد عليك من الوساوس الرديئة؛ بالمداومة على ذكر الله تعالى مع حضور القلب، وقراءة القرآن بالتدبر، وغير ذلك من أنواع الطاعات.

فإذا لم يوثر فيها شيء من ذلك؛ فاعلم أنه من هواجس النفس الأمارة بالسوء، لا من وساوس الشيطان. فإذا عرفت ذلك وتحققته؛ أمكنك علاجها بما يوافقها.

وتقطع مددها من علاجها أن تستقبل ما يرد عليك من تلك الوساوس الرديئة التي اعتقادها والإصغاء إليها بميل القلب؛ ينقل متعاطيها عن الملة وتورث تبديل الشريعة.

فإن أردت أن تعالج هذا الداء المعضل؛ فاستقبل ما يرد عليك من تلك الخطرات الردية بمعتقدات أهل الحق من أهل السنة على سبيل الورعين، وطريق المتقين من السلف الصالح من الصحابة والتابعين وأتباعهم ﭬ لا على قول المبتدعين ممن زاغ عن طريقهم من المتأخرين، من غير توسع في إقامة الحجج لعقلية، والبراهين الواضحة الجلية المستخرجة من علم الرأي والمعقول، قدرًا يسيرًا مما لا بد من تحصيله ومعرفته مما يوجب التنزيه والتقديس لذات الله تعالى، وصفاته، وأفعاله

(1) سورة العنكبوت: آية 69.

الدالة عليه.. ففي كتاب الله تعالى ما يُغني عن التطويل والتفريع والغوص والنظر في علم الرأي والمعقول مثل قوله تعالى: {ليس كمثله شيء}[1] وكسورة الإخلاص، وغير ذلك من الآيات التي تدل على التنزيه لذات الله تعالى وصفاته.

وما جاء في هذا المعنى من الأخبار الواردة والآثار. فكلما أدركه الحسّ، وتخيله الوهم؛ فالله سبحانه بخلاف ذلك فأن استقبلت ما يرد عليك من الوساوس الردية بهذا العلاج، وتضيف إليه معجون حسن الابتهال والتضرع إلى الله تعالى؛ مع ترك المسامرة لتلك الخواطر بترك المبالات، والإعراض البالغ عنها، والتهاون بورودها إذ هي من هواجس النفس الردية الأمارة لا من وساوس الشيطان.

فإن دمت على هذا العلاج مع صرف الرغبة إلى من يجيب المضطر إذا دعاه في الاستدفاع؛ انقطع عنك مددها، ويفل حدها عند ذلك تتخلص منها ومن غوايلها؛ وتجد طعم العافية إن شاء الله تعالى.

فإن أردت صفاء وقتك، وانشراح صدرك بالكلية؛ فادرأ ما يرد عليك من تلك الخطرات بصفاء حاصل علم اطلاع الله على قلبك، مع استشعار الحضور بين يديه، وتعلم أنك لا تغيب عن نظره طرفة عين لعلك تستحي أن يراك ملتفتًا إلى الأغيار، مشحونًا بهذه الوساوس الردية مع وساوس أخرى في أمور دنياك،مما تميل إليه بطبعك من الشهوات المعتادة، أو من سائر اللذات من المحبوبات، مباحًا كان أو محذورًا بقول الله تعالى في بعض كتبه المنزلة: (أيما قلب اطلعت عليه فرأيت الغالب عليه التمسك بذكري توليت سياسته وكنت أنيسه وجليسه ومحادثه وأيما قلب اطلعت عليه فرأيت فيه غيري سلطت عليه إبليس وتركته لشريكي أنا أغنى الشركاء عن الشرك).

فمن استشعر هذا الحضور بين يدي الله تعالى على سبيل المداومة، أورث ذلك شدة الهيبة من النظر إلى الأغيار، فالخطرات أيضا

---

(1) تكملة الآية: "وهو السميع البصير". سورة الشوري: آية 11

أعلى قدر علائق القلب، فمن قلت علائقه قلت وساوسه، وكذلك إذا أردت أن تعالج نفسك المشحونة بأنواع الوساوس المتفرقة؛ ينبغي أولًا أن تعرف وجه عداوتها، وكونها حريصة على سلب دينك، وخراب آخرتك، وانقطاعك عن الرب؛ لأنها مأوى كل شر كما وصفها خالقها، فإذا عرفت وجه عداوتها وإنها حريصة على هلاكك بمكرها وخدعها وفاسد أمانيها؛ حينئذٍ يشتد عليها غضبك، وتحذرها أشد الحذر، وتراها بعين العداوة حتى لا تصحبها أبدًا، عند ذلك تستعد لمحاربتها، وتنتصب لمقاومتها، لأنها من اقوى أعدائك عليك، وأشد حرصًا على هلاكك، قال سيد البشر ﷺ: ((اعدى عدو نفسك التي بين جنبيك))،[1] فإن أردت إن تضعف قواها بالكلية؛ فضيق مدارك مجاريها بقطع ما تميل إليه بطبعها عن المألوفات المعتادة.. من أكل شهي، وشرب بارد روي، أو ملبس رائق بهي، أو مركب حسن نفيس، جرى على غير ذلك من الشهوات المعتادة، التي هي من جنود الهوى، وسلاح العدو.

فهذه المعرفة للنفس بهذه الأوصاف؛(توجب)[2] الزهد فيها، فإذا تيسر لك الزهد فيها.. هان عليك فراق الدنيا والزهد فيها، إذ الدنيا بأسرها مراده للنفس فإذا زهدت فيها؛ فالزهد فيما ورائها أيسر.

ويتولد هذا الزهد مفارقة الأخلاق الردية جملة مثل: الكبر والعجب، والرياء، والحسد، والنفاق، وحب الشرف، وحب المنزلة عند الخلق، وحب الثناء والمدح، وفرار القلب من الذم، والفخر، والخيلاء، والمكر، والخديعة، والغش، وقلة الرحمة، والفرح عند النعمة، والجزع عند المصيبة، والحرص، والأمل، وما أشبه ذلك من الأخلاق الردية.

---

(1) سبق تخريجه.
(2) في (ت) يوجب.

ومنبع هذه الأخلاق جملتها حُب الدنيا، إذ حبها رأس كل خطيئة. ويتولد من حبها؛ حب البقاء، وحب البقاء نتيجة حب النفس.

فمجموع هذا الذي تقدم ذكره وما أشبهه؛ هو علاج النفس الأمارة المعلولة بعلل أمراض حب الدنيا، المشحونة بأنواع الوساوس المتفرقة العارضة. فصار معرفة النفس طريق إلى معرفة الله تعالى، قال ﷺ: ((من عرف نفسه عرف ربه)) [1] أليس معرفتها وعلاجها طريق إلى معرفة الله تعالى.

وأمّا الوساوس العارضة التي ترد على القلب غالبًا من غير عقد ونيه، ولم تكن مرادة للعبد؛ فمثارها من كثرة علائق القلب المثيرة للوساوس، فهي معفو عنها، والعبد غير مؤاخذ بها؛ لأن القلب لا ينفك منها أبدًا، قال ﷺ: ((رُفِعَ عن أُمَتي ما حدثت به نفوسها)). [2]

لكنها تصد عن الطريق الحق، وتحجب القلب عن الفكر والتنعم بلذيذ الذكر، وتشغل مناجاة القلب.. فما دام القلب مستغرقًا بهذه الخطرات الواردة عليه، مباحًا كان أو محضورًا فهو محجوب عن الباب، ومطرود عن الجناب، وإن صدرت هذه الخطرات عن نية جازمة، وهمّة

---

(1):قال السخاوي في "المقاصد" 1149: قال المظفر السمعاني: لا يعرف مرفوعًا، وإنما يحكي عن معاذ الرازي. وقال الحوت في "أسنى المطالب"، 1436: قال: النووي: ليس بثابت. ونسبه بعضهم إلى أبي سعيد الخراز. قال السيوطي في "الحاوي"، ج/238: إن من عرف نفسه فقد دلّ ذلك منه على أنه عرف الله من قبل، فالأول حال السالكين، والثاني حال المجذوبين. قال أبو طالب المكي في "قوت القلوب" معناه إذا عرفت صفات نفسك في معاملة الخلق، أنك تكره الاعتراض عليك في أفعالك، وأن عاب عليك ما تصنعه؛ عرفت منها صفات خالقك، وأنه يكره ذلك، فارض بقضائه وعامله بما تحبّ أن تعامل، وفي معناه قال النووي "في فتاويه"، 286: من عرف نفسه بالافتقار إلى الله تعالى والعبودية له عرف ربّه بالقوة والقهر والربوبية والكمال المطلق والصفات العليا، ومن عرف ربه بذلك كل لسانه عن بلوغ حقيقة شكره والثناء عليه كما ثبت بالحديث الشريف الذي أخرجه مسلم في "صحيحه"، كتاب الصلاة، باب: ما يقال في الركوع والسجود، 222، عن عائشة رضي الله عنها قالت: فقدت رسول الله ﷺ ليلة من الفراش فالتمسته فوقعت يدي على بطن قدميه وهو في المسجد، وهما منصوبتان. وهو يقول: " اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك لا أُحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك. والله أعلم

هامش سر الأسرار، عبدالقادر الجيلاني ص 52.

(2)سبق تخريجه.

باعثة على الأقدام على فعل محرم بعزم قطعي.. فهي معدودة من جملة مساوئه المكتسبة بجوارحه، مصداقه دليلين واضحين من الكتاب والسنة، أما الكتاب فقوله تعالى:{ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ }[1] وإن اعترض معترض وزعم أنها منسوخة بآية السيف فحكمها لا ينسخ.

ومن السنة قوله ﷺ: ((إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار، قيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول "فاعتل بقوله" إنه أراد قتل صاحبه)).[2] فجعل مجرد الإرادة الباعثة على العزم القطعي؛ فعلًا معدودًا من جملة ما اجترحه بجوارحه الظاهرة من الأعضاء السبعة، وما انطوى عليه قلبه من الأخلاق الردية.

الصنف الثاني: ما صدر من الوساوس المكتسبة في صدور الناس، مصدرها من الشيطان الذي هو جاثم على القلب. فإن أرادت التخلص من وحيه، وغروره وكنت من أهل العناية الأزلية صادقًا في الطلب، وحريصًا على التخلص من ذلك مع شدة الرغبة في سلوك طريق الحق، وإنما أنت لم تتقدم لك معرفة بآفات النفس، ونزعات العدو بعد، فسبيلك ملازمة ذكر الله بعد طهارة القلب من الخبائث الردية، والأخلاق الدنية التي تقدم ذكرها. فإذا ورد ذكرك على القلب وأنت على هذا الوصف؛ خنس الشيطان مالم تفتر عن الذكر. فإذا وقعت فترة رفع رأسه بالوسوسة؛ لايزال هذا دأبه ما دام الذكر مستمرًا، والفتور متواترًا يتعاقبان.. فهذه الوسوسة مع هذا الحال ضعيفة لا مدد لها لعزة عظمة أنوار الذكر وقهر سلطانه مالم يميل الذاكر إلى الغفلة والفتور، مع اتباع الشهوات المعينة للعدو. فإذا أنقطع مدده من التعلق بشهوات النفس، ضعفت دواعيه وانكسرت أمانيه وقلت وساوسه.

---

(1) الآية: {وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }سورة البقرة: الآية 284.
(2) سبق تخريجه.

فإذا كان السالك بهذا الوصف من طهارة القلب من الخبائث كلها.. كان ذكره في جنب الشيطان كالأكلة في جنب البعير، وإليه الإشارة بقوله ﷺ ((ذكر الله في جنب الشيطان كالأكلة في جنب البعير))[1] فإن أردت حسم باب وسوسته بالكلية، وقطع مواده، وما أراك تطيق ذلك.. فطهر قلبك من ذكر غير الله تعالى، وكنس زواياه من أدناس خبائث القلب كلها، واغسله بما الثقة به والإخلاص في القول والعمل والنية، واجعل الصبر قرينك، والخوف معقلك، والرجاء كهفك، والورع حارسك، والتفويض الموجب للتسليم حرفتك، والتوكل عمدتك، والذكر الدائم الموجب لنفي ما سوى المذكور شعارك ودثارك، والله رقيبك

حتى إنك لا تفتر بحال من الأحوال، حتى يستولي الذكر على القلب.

حينئذٍ يلوح القلب المقدس من لطائف الغيب، وعجائب الملكوت ما يجل عن الوصف، ولا يدرك بالعبادة؛ بل لا يدخل تحت الإشارة. فإذا رأى الشيطان بهجة وجه الذكر المتصف بما تقدم ذكره.. صُرع منه، فلا يفيق من صرعته ما دام الذكر مستمرًا متواترًا، فتبتدره الشياطين فيقولون: ما لهذا المصروع؟.. يقال أنه مسّهُ الأنس، فهذا من المرادين بقوله تعالى: {إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ}[2] فليس كل الأذكار يصرع منها الشيطان؛ كسبيل ذكر العارف المتصف بما تقدم ذكره، ولا يكون في جنبه كالأكلة على سبيل ذكر السالك المتقدم ذكره، وإنما الذكر الذي يُصرع منه الشيطان: هو الذكر الذي يصدر عن لسان طاهر متنزه عن التعلق بكل ما نهى الله تعالى عنه، فيستغرق

---

(1). أخرجه الديلمي (2/ 207–208) من طريق ابن السني: حدثنا مُحَّد بن إبراهيم الأنماطي: حدثنا أبو سالم العلاء بن مسلمة، عن علي بن عاصم، عن أبي علي الرحبي، عن عكرمة، عن ابن عباس مرفوعًا.
وفي حديث40332 – حدثنا أبو بكر عمر بن عبد الله بن أحمد، ثنا أبي، ثنا زكرياء بن عصام، ثنا مُحَّد بن عبد الملك الهمذاني، ثنا علي بن عاصم، عن الحريري، عن أبي عطاف، عن كعب، قال: « سبحان الله في جنب الشيطان كالآكلة في جنب ابن آدم » أخبار ر اصبهان ص 266. والأكلة كما في لسان العرب: والأكلة، مقصور: داء يقع في العضو فيأتكل منه.اهـ
(2){ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ.} سورة الحجر. الآية 42

القلب بالذكر الصادق الذي يغيب عن الحفظة فظلًا عن غيرهم،والمدمن على تلاوة القرآن بالتدبر والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ إن أمكن وجوده لا سيما في هذه الاعصار، وإن تعذر ذلك لفساد الوقت، وعدم [انعدام][1] الأعوان، توجه عليه فرض الاعتزال عن الخلق لتعذر السلامة مع المخالطة، حتى لا تجري تلك المنكرات بمحضره فيتوجه عليه الخطاب. إذ مهاجرة أهل السوء فرض يقتضيه فتوى الفقهاء من أهل الظاهر[2].

قال ﷺ: ((المهاجر من هجر ما نهى الله تعالى عنه))[3]. فإذا اعتزل؛ سقط عنه فرض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فهذا طريق العلاج في قطع مواد الوساوس كلها التي هي من هواجس النفس، وما يلقيه العدو الذي هو ملازم لثمرة القلب.

وأما القسم الثالث: فليس ذكره من غرضنا لشهرته؛ لأن الملك منزه عن إلقاء الباطل، وكل ما يلقيه حق وصدق. وإنما السالك يحتاج إلى تمييز الخطرات الواردة عليه من خطرات الخير من أين ورودها، إذ هي أيضًا تنقسم ثلاثة أقسام:

ربانية ومَلكيّة وشيطانية.

فالوارد الذي يرد من الله تعالى من خواطر الخير: يرد على القلب غالبًا لا يستطيع العبد دفعه، حتى يزعجه عن أوطاره، ويحقرها في عينيه حتى ينتهي إلى قضاء تلك الأوطار التي ترد عليه طوعًا وكرهًا.

وأما الخاطر الذي يرد من قبل الملك:

فهو الخاطر الذي يرد على سبيل الوسوسة ثم يضمحل ولا يدوم، وإنما يرد على العبد عند ثوران خاطر الشر. فإن كان العبد مرادًا

---

(1)مابين المعقوفتين من وضع المحقق.

(2) من غير أهل التصوف.

(3)رواه البخاري. ـ 43828 –) حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا مُحَّد بن جعفر ثنا شعبة عن إسماعيل يعني بن أبي خالد عن الشعبي عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ انه قال * ان المهاجر من هجر ما نهى الله عنه والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده 6934. ـ ابن حنبل في مسنده ج 2/ ص 205 حديث رقم: 6912. موسوعة التخرج. 13383/1.

بالخير وقد سبقت له من الله الحسنى؛ مال إلى الخاطر الذي يرد من الملك؛ لأنه حق وصدق، فورده بما يضاد خاطر الشر.

وأما الخطرات التي ترد من قبل العدو، ومن خواطر الخير فإنه يسوقه على سبيل المكر والخديعة، فينظر العبد حينئذٍ في أي نوع هو من أنواع العبادات.

إذ هي تنقسم ثلاثة أقسام:

منها العبادة البدنية؛ كالصوم، والصلاة، والحج، والعمرة، والغزو، وما أشبه ذلك من أنواع النوافل التي لا يتعدى نفعها.

والقسم الثاني:

هي العبادات المتعدية عن متعاطيها إلى الخلق؛ مثل السعي في قضاء حوائج الخلق، وإدخال السرور عليهم من تحمل مؤنهم، وحمل أذاهم، وكف الأذى عنهم، والنصيحة لهم، والفرح بسرورهم، إذا لم تتطرق إليه معصية، والاهتمام بأمورهم إذا نابتهم نائبة، ونشر محاسنهم، والكف عن نشر مساوئهم، والإيثار(1) لهم عند الملاحات، والمماراة مع اليقين، وما أشبه ذلك مما لا ينحصر من حقوق الخلق.

والقسم الثالث:

في العبادات القلبية؛مما يختص بها القلب من الأحوال السنية مثل: التوبة، والحزن على ما فات من الأوقات في البطالة، والتمادي في أنواع الجنايات، والصبر، والشكر، والخوف، والرجاء، والزهد، والتوكل على الله، والرضى بقضاء الله، والمحبة، والشوق، هذا إذا كان مريدًا لسلوك طريق الحق،(أعلاها وأشرفها لمن فتح له سلوك طريق)(2) الحق مستغرقًا بأنواع الذكر والفكر، ناسيًا لحظ نفسه من الدارين، لا يرجوا

---

(1)الإيثار: تفضل الغير على النفس، قال تعالى: {وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ } [الحشر/9]، أي يفضلون غيرهم عليهم.

والإيثار في الاصطلاح الصوفي يرد على المعنى القرآني ويرد على غيره: فمن المعنى القرآني: الإيثار هو تخصيص الغير على النفس. لطائف الإعلام 257/1

(2) مابين القوسين زيادة في (ت)

بذلك ثوابًا ولا يخشى عقابًا بأمر، تخلا عن الدنيا بقلبه، لم يقض منها وطرًا ولا في الآخرة يعرف له خبرًا. فصارت العبادات ثلاثة أنواع: أعلاها وأشرفها لمن فتح له باب السلوك طريق الحق؛ هو الاستغراق بالذكر والفكر مع ملازمة أحوال القلب؛ التي تقدم ذكرها، ثم السعي في حوائج الخلق، والتردد

في إدخال السرور عليهم، ثم العبادات البدنية؛ إذ نفعها لا يتعدى متعاطيها، بل هي مقصورة عليه يريد بها العوض من الله تعالى، من حظ عاجل مثل: الكرامات وما أشبهها، أو ثواب آجل مما وعد به أهل الطاعة من نعيم الجنان، والحور الحسان.. فانظر أيها السالك أين مقامك من هذه الأقسام الثلاثة.؟

فإن كنت ملازمًا للباب؛ سالكًا طريق الحق بملازمة الذكر والفكر،وجدت خاطرًا ينازعك ويزين لك قضاء حوائج الخلق، والتردد في إدخال السرور عليهم ويتلو عليك ما ورد من الأخبار والآثار، من الفضائل في إدخال السرور على الخلق، وقضاء حوائجهم؛ فاعلم أنه خاطر العدو ومراد انقطاعك عن الرّب فإن استجبت لدعائه، وقمت تسعى في قضاء حوائج الناس، تعذر عليك القيام بحقوقهم كلها من إجابة دعائهم لحضور الولائم، والاملاكات وعيادة مرضاهم، واتباع جنائزهم، والسعي في أغراضهم مما لا ينحصر في حقوق الخلق، فيعسر القيام بجميعها مع التعميم لهم، وترك التمييز لبعضهم على بعض، فيوجب ذلك تأثيرًا ووحشة في (القلوب)[1]وبطّل[2] عليك ما كنت بصدده بالذي انتحلته من خاطر العدو، فتصبح مطرودًا عن الباب، محجوبًا عن الجناب، فخذ حذرك منه.

وإن كان مقامك استغراق وقتك في السعي في قضاء حوائج الخلق، والتردد في إدخال السرور عليهم، وقد رزقت الشفقة على الخلق

---

(1) في (ت) في القلب.

(2) مفردة تستعمل في تهامة اليمن. وتعني أُترك أو دع.

ثم ورد عليك خاطر يدعوك وينازعك إلى العبادات البدنية مما تقدم ذكره؛ فاعلم أن ذلك من قِبَلِ العدو، والنفس الأمارة بالسوء، إذ هي من جنوده تريد انقطاعك عن الأفضل والأتم، وقد تقدم الكلام إن تردد العبد في قضاء حوائج المسلمين أفضل من سائر العبادات البدنية. وبهذا المعيار يتميز لك خاطر الخير من أين وروده، وهذا المعيار والتمييز مستخرج نتائج أنوار التقوى الذي يقذف في قلب المتقي بعد طهارة المحل من أوساخ كدورات شهوات الدنيا. وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم: حاكيًا عن ربه تعالى ((القلوب المتعلقة بشهوات الدنيا عقولها محجوبة عني)) [1] قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا}، [2] قيل هو النور الذي يقذف في قلب المتقي يفرق به بين الحق والباطل.

فإن قنعت بهذا المعيار، وعاملت به نفسك؛ سلمت من وحيه وغروره بتوفيق الله تعالى وعصمته. ومع هذا خذ حذرك من مكره وخدعه، وفاسد أمانيه، أن يزين لك عملك فتعجب، فإذا أدخل العجب إلى القلب؛ حبط العمل. قال سيد البشر ﷺ: ((ثلاث مهلكات شح مطاع. وهوىً متبع. وإعجاب المرء بنفسه)) [3]

فما دام فيك الرمق وتردد الروح في جسدك؛ فلا تأمنه، أو يأخذك مولاك إليه أخذًا لا يغادر فيك لنفسك بقية، ولا لغيرك، حينئذٍ ترتسم في عبادة المختصين؛ الذين استثناهم في كتابه المبين بقوله تعالى: {**إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَان**}. [4]

---

(1) حَدَّثَنا إسحاق حَدَّثَنا إبراهيم حَدَّثَنا أحمد قال حدثني أبو سليمان قال: شهدت مع أبي الأشهب جنازة بعبادان فسمعته يقول أوحى الله تعالى إلى داود عليه اسلام يا داود حذر فأنذر أصحابك أكل الشهوات فإن القلوب المتعلقة بشهوات الدنيا عقولها محجوبة عني قال أبو سليمان فكتبته في رقعة وارتحلت ما معي حديث غيره. حلية الأولياء. 26/9

(2)الآية: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ. سورة الأنفال. الآية 29

(3)أخرجه البزار والطبراني وأبو نعيم والبيهقي في الشعب من حديث أنس بإسناد ضعيف. تخريج احاديث الأحياء 17/1

(4) سورة: الإسراء الآية. 65.

فهذا معيار حق، وميزان صدق فلازمه وعامل به نفسك، ولا تَمِل إلى تُرَهاتِ المبطلين، وفاسد أقوال المغترين بلامع السراب ممن هجر الحق، وخالف طريق السلف الصالح، وأخذ بالرخص التي هي مستخرجة من علم الرأي والقياس حتى صار المنكر في هذه الاعصار معروفًا، والمعروف منكرًا، فضلوا وأضلوا، قال ﷺ: ((يأتي بعدي زمان يصير المعروف فيه منكرًا والمنكر فيه معروفا يخرج الرجل من بيته بدينه ويرجع بلا دين، يصبح الرجل مؤمنًا ويمسي كافرا قيل يا رسول الله: ما سبب ذلك قال: القرناء السوء يخوضون فيما لا يعنيهم وما نهى الله عنه حتى يخرجوا من الدين))،

وقال ﷺ: ((إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يجد لها بالًا يحبط بها عمل عشرين سنة))،[1] ((وقتل شهيد بين الصفين بين يدي رسول الله فقال الناس: هنيئًا لك الجنة فقال ﷺ: وما يدريكم لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه أو يبخل بما لا يغنيه))، [2] فكن من الذين إذا قالوا أغنموا بإرادتهم بما نطقوا لوجه الله تعالى، وصلاح الخلق. وإذا سكتوا سلموا بإرادتهم، بسكوتهم السلامة من الآفات. فهذه علوم قد درست وعفى أثرها لعُدم[3] أهلها والعاملين بموجبها، فإنا لله وإنا إليه راجعون، ثم إنا لله وإنا إليه منقلبون ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، وحسبنا الله ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير.

هذا ما حضر من الكلام مع كثرة الاشتغال وضيق الوقت، فنسأل الله تعالى الإقالة مما زل به القدم، أو جرى به القلم، ويجعل ما سطرناه خالصًا من جميع الآفات، خاليًا عن إرادة غيره، بمنه وكرمه، أنه بذلك جدير، وعلى ما يشاء قدير، والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا مُحَّد النبي الأمي، وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(1) سبق تخريجه.

(2)أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت (109) وأبو يعلى (4017) والطحاوي في شرح الآثار (2423) إسناده صحيح أو حسن "بزيادة ويمع ملا يضره"

(3)لانعدام.

ومن كلامه قدس الله روحه ونور ضريحه في غير هذا الموضوع:

ثمرة العقل: حب الله تعالى والتحبب إلى خلقه بالسعي في أغراضهم في طاعة الله تعالى والإعراض عنهم بالزهد، في مالهم وجاههم ومعونتهم.

تم الكتاب بحمد الله ذي النعم صاحب الجود والكرم.

[من كلامه شعرا]

وهذه الأبيات من كلامه أيضًا: ﷺ ونفع به..شعر

فيا سعادة من يتلوه معتبرًا	**ويعملن بما فيه من الكلم**
فأنه ثمرة التحقيق خالصة	**وجوهر العلم والأسرار والحكم**
ومرشد السالك المفضي بهمته	**إلى طريق ذوي الألباب والهمم**

وله أيضًا ﷺ ونفع به: شعر.

لله ليلتنا بشاطىء دجلة حلف	**الزمان بمثلها لا يغلط**
بتنا بها والليل في غلساته	**وله بنور البدر فرق أشمط**
والطل في تلك الغصون كأنه	**درر يصافحها النسيم فيسقط**

والطير يقرأ والغدير صحا-ئف والريح يكتب والغمائم تنقط

تم الكتاب بحمد الله وعونه وحسن توفيقه على يد أفقر العباد إلى مولاه الغني السيد إبراهيم بن مُحَمَّد الشاطري.[1]

وذلك يوم الأثنين حادي عشر شهر ربيع الثاني سنة ألف ومائة وتسعة عشر من الهجرة النبوية، على صاحبه أفضل الصلاة والسلام. وذلك ببندر جدة المحروسة حرسها الله من جميع الآفات وصلى الله على سيدنا مُحَمَّد وآله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين. آمين.

(1) الشاطري: من السادة آل باعلوي الحسينيين بحضرموت في بلاد اليمن وغيرها.

المصادر

1) القرآن الكريم.
2) مُحَمَّد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي . الجامع الصحيح سنن الترمذي . دار إحياء التراث العربي – بيروت . تحقيق: أحمد مُحَمَّد شاكر وآخرون
3) الامام الحافظ مُحَمَّد بن يزيد القزويني . سنن ابن ماجة . تحقيق مُحَمَّد فؤاد عبدالباقي ط 1 دار إحياء الكتب العربية. مصر
4) السخاوي،عبدالرحمن،المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث، المشتهرة على الألسنة، دار الكتاب العربي،
5) الإمام النووي، بستان العارفين
6) ابن منظور . لسان العرب . دار صادر – بيروت،ط1
7) مقدمة ابن خلدون . عبدالرحمن بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن خلدون
8) مُحَمَّد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي . مختار الصحاح . تحقيق محمود خاطر. مكتبة لبنان ناشرون – بيروت
9) اتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين . الإمام مُحَمَّد مرتضى الزبيدي
10) أبو حامد الغزالي . إحياء علوم الدين . دراسة إصلاح عبدالسلام الرفاعي ط1 . مركزالاهرام للدراسات والنشر.
11) منهاج العابدين، ابو حامد الغزالي
12) ابو نعيم الاصبهاني . حلية الاولياء . دار الكتاب العربي . بيروت
13) شمس الذهبي ت748هـ . سير أعلام النبلاء . مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط . مؤسسة الرسالة ط3، 1405 هـ / 1985 م.
14) أبي عبدالرحمن السلمي . طبقات الصوفية . تحقيق د. أحمد الشرباصي . ط2.
15) عبدالجليل العطار . أحكام الدلالات على تحرير لعبد الكريم بن هوازن القشيري ت 465هـ . دار النعمان للعلوم. ط1
16) الدكتور مجدي مُحَمَّد إبراهيم . التصوف السني حال الفناء بين الجنيد والغزالي . الناشر مكتبة الثقافة الدينية ط1
17) أبي نصر السراج الطوسي. اللمع . حققه وقدم له وخرج أحاديثه . د. عبدالحليم محمود، وطه عبدالباقي سرور ط1، 1380هـ . 1960م
18) عبد القادر الجيلاني . الفتح الرباني والقبض الرحماني . ط2. 1393هـ . 1973م

19) عبدالرزاق الكاشاني . معجم إصطلاحات الصوفية.
20) شيخ الإسلام أحمد بن تيمية . أمراض القلوب وشفاؤها . المطبعة السلفية القاهرة ط2.
21) عبد القادر الجيلاني . الفتح الرباني والقبض الرحماني . ط2. 1393هـ، 1973م.
22) عبدالقادر الجيلاني . سر الأسرار. تحقيق خالد مُحَمَّد عدنان الزرعي . مُحَمَّد غسان نصوع عزقول . دار الأنصاري ودار السنابل.
23) العز بن عبدالسَّلام . زُبَدُ خُلَاصَة التصوف المسمى بحل الرموز ومفاتيح الكنوز. ضبط وتحقيق أ.د . أحمد عبدالرحيم السايح . المستشار توفيق وهبة. الناشر مكتبة الثقافة الدينية.
24) الشيخ أبي طالب المكي، مُحَمَّد بن علي بن عطية ت 386هـ . قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المُريد إلى مقام التوحيد . حققه وقدم له، وعلق حواشيه د . محمود إبراهيم مُحَمَّد الرضواني، دار العلوم جامعة القاهرة ط1.مكتبة دار التراث.
25) الشيخ عبدالله عجيبة ت 1244هـ . معراج التشوق إلى حقائق التصوف . تحقيق د. عبدالمجيد الخيالي . مركز التراث الثقافي المغربي.
26) د. سعاد الحكيم . المعجم الصوفي . دندرة للطباعة والنشر . ط1
27) كشف المحجوب للهجويري ـدراسة ةترجمة وتعليق الدكتورة إسعاد عبدالهادي قنديل 1394هـ .1974 م
28) الدكتور عبدالحليم محمود شيخ الأزهر. لطائف المنن ط1، 1991.1411م
29) عمر بن علي بن سمرة الجعدي . طبقات الفقهاء في اليمن . تحقيق فؤاد سيد . دار القلم بيروت لبنان.
30) الإمام أسعد اليافعي . مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان
31) مُحَمَّد قلعجي . معجم لغة الفقهاء. دار المعجم العربي بلبنان.
32) المعجم الوسيط، مدخل إلى التصوف الإسلامي ط4
33) د. محمود عبد الرازق . المعجم الصوفى (أول دراسة علمية فى الأصول القرآنية للمصطلح الصوفي).
34) د. حسن الشرقاوي . معجم ألفاظ الصوفية . موسسة مختار للنشر، القاهرة ط 1
35) مُحَمَّد بن يعقوب الفيروزآبادي ت 817هـ . القاموس المحيط . تحقيق أنس الشامي وزريا جابر أحمد . 1429هـ . 208م . دار الحديث القاهرة

36) محمّد بن محمّد مرتضى، الزَّبيدي . تاج العروس من جواهر القاموس تحقيق: مجموعة من المحققين: دار الهداية.
37) ابن سمرة، عمر بن علي . طبقات فقهاء اليمن . تحقيق فؤاد السيد . دار القلم بيروت لبنان.
38) المحبي، مُحَمَّد بن فضل الله . خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ج1و2. (القاهرة، دار الكتاب الإسلامي).
39) أبي العباس أحمد بن عبداللطيف الشرجي ت 893هـ . طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص . الدار اليمنية للنشر والتوزيع ط1 1406هـ . 1986هـ
40) السيد البدر حسين بن عبدالرحمن الاهدل . تحفة الزمن تاريخ سادات اليمن ج2 ص44 تحقيق، عبدالله مُحَمَّد الحبشي، مكتبة الإرشاد صنعاء
41) الشرجي . طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص
42) الشيخ علي ابو الحسن الخزرجي . العقود اللؤلؤية تاريخ الدولة الرسولية، مطبعة الهلال، مصر
43) مُحَمَّد بن مُحَمَّد زبارة . في نيل الوطر من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر ط1
44) القاضي أبي عبدالله بهاء الدين الجندي . السلوك في طبقات العلماء والملوك . تحقيق مُحَمَّد بن علي الأوع الحوالي . متبة الإرشاد صنعاء اليمن.
45) المؤرخ عبد الرحمن عبد الله أحمد صالح الحضرمي (1933–1993). تهامة في التاريخ . من اصدارات المعهد الفرنسي للشرق الأدنى.
46) عبدالله بن مُحَمَّد الحبشي . الصوفية والفقهاء في اليمن . مكتبة الجيل الجديد صنعاء اليمن.
47) العقيلي، مُحَمَّد بن أحمد . تاريخ المخلاف السليماني، ج1. ج2، ط3.
48) الإمام علي بن أبي طالب، نهج البلاغة؟.
49) الامام اليافعي . نشر المحاسن الغالية.
50) أبو الفضل زين الدين . تخريج أحاديث الإحياء
51) عبدالرحمن بدوي . تاريخ التصوف الإسلامي.
52) إيمان البلوي . اليافعي شاعرا . رسالة ما جستير، ط
53) المؤرخ السيد إسماعيل بن مُحَمَّد الوشلي ت 1356هـ . نشر الثناء 52. الحسن على بعض أرباب الفضل والكمال من أهل اليمن . مخطوط
54) وطيوط، حسن بن اسماعيل . تاريخ المعلم وطيوط . مخطوط.

الفهرست